النص الكامل لكتاب

الحيدة والاعتذار

في الرد على من قال بخلق القرآن

للإمام عبد العزيز الكناني

المتوفى سنة ٢٤٠ هـ رحمه الله تعالى

تقديم

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء

فضيلة الشيخ خالد بن علي بن عبد العزيز العرج

مدير الإدارة العامة للإفتاء

فضيلة الشيخ عبد القادر بن محمد عطا صوفي

أستاذ الدراسات العليا بقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن حامد آل ثابت

أستاذ الفقه وأصوله في كلية جبرة العلمية

تحقيق

أبي عبد الرحمن الأثري

نضال بن عبد الكريم بن موسى آغا البرازي

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

الحيدة والاعتذار

في الرد على من قال بخلق القرآن

الطبعة الرابعة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع

طباعة ـ نشر ـ توزيع

المملكة العربية السعودية ـ المدينة المنورة

شارع الفيصلية ـ خلف الجامعة الإسلامية

00966532627111

00966590960002

daremslm@gmail.com

daremslm

مركز سطور للبحث العلمي

Sutor.center@gmail.com

بحث علمي ـ صف ـ تنسيق ـ تصميم

النص الكامل لكتاب

الحيدة والاعتذار

في الرد على من قال بخلق القرآن

للإمام عبد العزيز الكناني

المتوفى سنة ٢٤٠هـ رحمه الله تعالى

تقديم

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء

فضيلة الشيخ خالد بن علي بن عبد العزيز العرفج

مدير الإدارة العامة للإفتاء

فضيلة الشيخ عبد القادر بن محمد عطا صوفي

أستاذ الدراسات العليا بقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن حامد آل ثابت

أستاذ الفقه وأصوله في كلية جبرة العلمية

تحقيق

أبي عبد الرحمن الأثري

نضال بن عبد الكريم بن موسى آغا البرازي

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدَمة سماحة الشَّيخ
عبد العزيز بن عبد الله آل الشَّيخ
- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين، وَبَعْدُ:

فإنَّ كتاب (الحَيْدَةِ) -لِلْإِمَامِ عَبدِ الْعَزِيزِ بنِ يَحْيَى بنِ مُسْلِمٍ الكِنَانِيِّ، المُتَوَفَّى سنة (٢٤٠ هـ)- مِنَ الكتبِ المُؤَلَّفة في العقيدة، وهو كتابٌ جليل القَدْر؛ وتلقَّاه كبارُ علماءِ الإسلام بالقَبول ونقلوا عنه، وهو مِنَ المُؤَلَّفات المُتَقدِّمة في التَّأليف، ويُعْنَى بِرَدِّ فتنةِ القولِ بخَلْقِ القرآنِ المجيدِ، كلام الله تعالى. وفيه فوائد قَيِّمة ومناقشات مفيدة في ردِّ ذلك القول الباطل.

ونسألُ اللهَ تعالى أن ينفع به، وأن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

مفتي عام المملكة العربيَّة السُّعوديَّة
ورئيس هيئة كبار العلماء
عبد العزيز بن عبد الله آل الشَّيخ

المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء
١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم:
التاريخ: ٢٣/١٢/١٤٢٩هـ
المشفوعات:
الموضوع:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن كتاب (الحيدة) للإمام عبدالعزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المتوفى سنة ٢٤٠هـ من الكتب المؤلفة في العقيدة وهو كتاب جليل القدر وتلقاه كبار علماء الإسلام بالقبول ونقلوا عنه، وهو من المؤلفات المتقدمة في التأليف ويعنى برد فتنة القول بخلق القرآن المجيد كلام الله تعالى، وفيه فوائد قيمة ومناقشات مفيدة في رد ذلك القول الباطل.

ونسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يهدينا جميعاً صراطه المستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء

عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

مقدمة فضيلة الشَّيخ خالد بن عليّ بن عبد العزيز العرفج -حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على رسولِ اللهِ وآله وصحبه أجمعين، وَبَعْدُ:

فإنَّ كتاب (الحَيْدَةِ) -لِلْإِمَامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مُسْلِمٍ الْكِنَانِيِّ الْمَكِّيِّ، المُتَوَفَّى سنة (٢٤٠ هـ)- مِنَ الكتب المهمّة في العقيدة، المُؤَلَّفة قديمًا في وسط القرن الثَّالث الهجريِّ تقريبًا، وتكمن أهمِّيَّته في أمرين:

الأوَّل: أنَّ هذا الكتاب يتعلَّق بالقرآن الكريم، وأنَّ كلامَ اللهِ منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ.

الثَّاني: أنَّ هذا الكتاب يُعَدُّ من كتب العقيدة المُتَقدِّمة؛ لقرب عصر المُؤَلِّف من عصر التَّابعين.

وهذا الكتاب نشرته الرِّئاسة من ضمن الكتب المختارة في العقيدة.

وقد عاصر المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ القولَ بأنَّ القرآنَ الكريمَ مخلوقٌ؛ وقد جادل القائلين بهذا القول الفاسد، كالخليفة المأمون وبِشْرٍ المَرِيسِيِّ وغيرهم، كما هو مُبيَّن ومُوضَّح في هذا الكتاب القيِّم، وقد نصره اللهُ عليهم وسُرَّ المسلمون جميعًا بما وهبه الله له من إظهار الحَقِّ وقمع الباطل.

مقدِّمة فضيلة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حامد آل نابت -حفظه الله-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، وصلَّى الله وسلَّم على رسوله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدِ اطَّلعت على كتاب:

«الحَيْدَة والِاعْتِذَار فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ»

لِلْإِمَامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى الْكِنَانِيِّ، وهو كتاب عظيم، نصر فيه السُّنَّة، وأظهر به الحقَّ في مسألة الكلام على خلق القرآن، وأنَّ كلام الله ليس بمخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فالكلام كلام الباري والصَّوْت صوت القاري، وأنَّ الكلام إِنَّما يضاف إلى مَنْ تكلَّم به ابتداءً، لا مَنْ تكلَّم به مؤدِّيًا مبلِّغًا.

وردَّ فيه على شُبَهِ بِشْرٍ المَرِيسِيِّ المُعْتَزِلِيِّ الضَّالِّ، وأظهر فساد قوله وحجَّته، بما يبهر العقول، من دلائل الكتاب والسُّنَّة والحجج العقليَّة؛ فرحمه اللهُ رحمة واسعة.

وقد قام الأخ الفاضل أبو عبد الرَّحمن الأثريُّ، بقراءته والتَّعليق

عليه والمقابلة بين نسخه؛ لإخراج النَّصِّ صحيحًا سليمًا مِنَ التَّحريف، مع القيام بتخريج نصوصه، وعزوها إلى مصادرها.

وبهذا العمل الجليل نرجوا أن تكون هذه الطَّبعة أجودَ من سابقاتها، كما نسأل الله أن ينفع القُرَّاء بهذا الكتاب، ويتقبَّل من أخينا أبي عبد الرَّحمن جهده، ويجعله في موازين أعماله يوم القيامة، إِنَّهُ وليٌّ ذلك والقادر عليه.

قاله بفمه ورقمه بقلمه

عبد الرَّحمن بن حامد آل نابت

عضو هيئة التَّدريس بكلية جبرة العلميَّة

السُّودان - الخرطوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ؛ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أَنْفُسِنا، ومن سيِّئاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلَا هَادِيَ له، وأشهدُ أن لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الكلام كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمَّد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار[(١)].

---

(١) هذه خُطبة الحاجة الَّتِي كان رسول الله ﷺ يبدأ بها خطبه، وتُشرع بين يدي كُلِّ حاجة، وقد أخرجها كثير من المحدِّثين -على اختلاف ألفاظها- كالإمام مسلم وأصحاب السُّنن رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وللإمام الألبانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة مفردة في تخريجها وجمع طرقها بعنوان «خطبة الحاجة».

وَبَعْدُ:

فإنَّ موضوعَ هذا الكتابِ يتناولُ قَضِيَّة عِلْميَّة مُهِمَّة من قضايا الاعتقاد، وهي من أكبر القضايا الَّتِي تنازعت فيها الأُمَّة على مرِّ العصور، وتكمن أهمِّيَّتها في كونها متعلِّقةً بكلام الله القرآن العظيم.

«فكلامُ الله تعالى صفةٌ من صفاته، غيرُ مخلوقٍ كسائرِ صفاته، سواءٌ كان القرآنَ العربيَّ، أو التَّوراةَ العِبْريَّة، أو غيرَ ذلك من كلامهِ تعالى، مِمَّا وقعَ من كلامه، وممَّا لم يقع بعد.

ولقد كان السَّلف في صدر الإسلام في غنًى عن إطلاق لفظ: (غير مخلوق)؛ لأنَّه كان من المسلَّم عندهم: أنَّ كلامَ اللهِ صفةٌ من صفاته؛ وصفاتُه غير مخلوقةٍ، حتَّى ظهرت الجَهْميَّة، فنفَتْ صفةَ الكلام عن الله تعالى، لكنْ لمَّا كان هذا القولُ منكرًا شنيعًا، تنفر منه قلوبُ النَّاس، وتقشعرُّ منه جلودُهم، ويرفُضهُ إيمانهم = أبدلوه بقولهم: كلام الله مخلوق. فتظاهروا بإثبات الكلام، وأبطلوه بقولهم: مخلوق. فلمَّا كان حقيقة قولهم إبطال صفة الكلام وتعطيلها؛ قابلَهُم السَّلفُ برفضِ هذه البدعة، وإنكارها، والتَّشديدِ عليهم في ذلك، إلى حدِّ إطلاقِ تكفيرهم؛ لأنَّهم رأوا أنَّ حقيقةَ قولهم الكفر؛ لما تضمَّن من تكذيب القرآن، وإثباتِ النَّقصِ للرَّحمن، فقال السَّلف حينئذٍ: كلامُ الله -كالقرآن وغيره- غيرُ مخلوق»[1].

وممَّن رفضَ هذه البدعة وأنكرَها وشدَّد على أصحابها الْإِمَامُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْكِنَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -صاحب كتاب الحَيْدَةِ- فقال:

«اتَّصل بي وأنا بمكَّة -حرسها الله- ما قد أظهرَ بِشْرُ بْنُ غِيَاثٍ

(١) «العقيدة السَّلفية في كلام رَبِّ البريَّة» (ص: ١١٩).

الْمَرِيسِيُّ ببغداد مِنَ القولِ بخلق القرآن، ودعائِهِ النَّاسَ إلى موافقته على قوله ومذهبه، وتشبيهِهِ على أمير المؤمنين المأمون، وعامَّةِ النَّاس، وما قد دفع إليه النَّاس مِنَ المحنة، والأخذِ بالدُّخول في هذا الكفر والضَّلالة، وترهيبِ النَّاس، وتفزُّعهم من مناظرته، وإحجامِهِم عَنِ الرَّدِّ عليه بما يكسرون به قوله، ويدحضون به حُجَّته، ويبطلون به مذهبه... فأزعجني ذلك عن وطني، وأقلقني، وأسهرَ ليلي، وأطالَ فِكْري وغمِّي وهمِّي، فخرجتُ من بلدي متوجِّهًا إلى رَبِّي عَزَّوَجَلَّ، أسألُهُ سلامتي، وتبليغي أمَلي، حتَّى قَدِمْتُ بغداد، فشهدتُ من تغليظ الأمر، واحتداده أضعافَ ما كان يتَّصل بي، ففزعتُ إلى رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أدعوه، وأتضرَّع إليه راغبًا وراهبًا؛ واضعًا له خدِّي، وأبسُط إليه يدي، وأسأله إرشادي وتسديدي وتوفيقي ومعونتي، والأخذَ بيدي، وأن يُسلِّمني ولا يَكِلَني إلى نَفْسِي، وأن يفتحَ لفهم كتابه قلبي، ويُطلِق به لساني، ويشرح ببيانه صدري؛ وأخلَصْتُ للهِ نِيَّتي، ووهبْتُ للهِ تعالى نَفْسِي، فعجَّل اللهُ تعالى إجابتي، وثبَّت عزيمتي، وشجَّع جَناني، وفتحَ لفهم كتابه قلبي، وأطلق به لساني...»[1].

ثُمَّ ذكر المناظرة البديعة، بينه وبين بِشْرٍ المَرِيسِيِّ، في حضرةِ الخليفة المأمون، ثُمَّ قال: «فأظهرَ اللهُ تعالى (كسْرَ قولِ بِشْرٍ) ودحضَ حجَّته، وبطلانَ مذهبه، ووقوفَ أميرُ المؤمنين، وسائرُ الأولياء، وأهلُ الفقه والقرآن، وأصحابُ الحديث، ومَنْ بحضرة مدينة السَّلام من سائر النَّاس على ذلك، وما أعزَّ الله تعالى به الإسلامَ وأهلَه، وأذلَّ الكفرَ وأهلَه، وجميعَ أهل الضَّلالة والرَّدى، والدُّعاةِ إلى مخالفةِ الإسلام ونقضِ أخبار القرآنِ، والتَّشبيهِ على عبادِ الله تعالى، فقويَتْ قلوبُ المؤمنين وظهرَ سرورُهم، وعلا الحَقُّ وجهر به القول، وامتحقَ الباطلُ

---

(١) انظر هذا الكتاب (ص:٧٦).

واستخفى به الصَّوت، وكَبتَ اللهُ تعالى أعداءَه»(١).

طَبَعَاتُ الْكِتَابِ:

هذا؛ ولأهمِّيَّة الكتاب طبع عِدَّة طبعات منها:

١- طبعة بتحقيق الدُّكتور جميل صليبا(٢).

٢- طبعة مكتبة التَّوعية الإسلاميَّة بمصر.

٣- طبعة مركز شؤون الدَّعوة بالجامعة الإسلاميَّة في المدينة النَّبويَّة.

٤- طبعة بتحقيق الشَّيخ إسماعيل الأنصاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- طبعة بتحقيق الدُّكتور عليِّ بن محمَّد بن ناصر الفقيهي -حفظه الله-، وهي أجود طبعة للكتاب.

وبعد قراءة نشرة فضيلة الشَّيخ عليِّ الفقيهي -حفظه الله تعالى، ومتَّعنا بعلمه-(٣) ظهرَ لي أَنَّهُ قَدِ اعتراها شيءٌ مِنَ الخللِ، فقامَ في عزمي خدمةُ الكتاب على وجهٍ مرضيٍّ يليقُ بأهمِّيَّته، فحصلتُ على النُّسخة الخَطِّيَّة الَّتي اعتمد عليها الشَّيخُ عليُّ الفقيهي -حفظه الله-(٤)،

---

(١) انظر هذا الكتاب (ص٢٠١).

(٢) قال الشَّيخُ عليُّ بن محمَّد الفقيهي -حفظه الله- في المقدِّمة (ص٤): «هي طبعة محقَّقةٌ ولكن بتحقيق رجلٍ نصرانيٍّ، وقد ظهر في مقدِّمته للكتاب نزعتهُ للقوميَّة العربيَّة.
ونحن نعلم أنَّ الرَّدَّ -على هؤلاء الزَّنادقة الطَّاعنين في القرآن كبِشْرٍ المَرِيسِيِّ وغيره مِمَّنْ سبقه- مِنْ علماء الإسلام هو رَدٌّ لحماية العقيدة الإسلاميَّة بالأدلَّة الصَّريحة مِنَ الكتابِ والصَّحيحة مِنَ السُّنَّة، ولا صلة لتلك الرُّدود بقوميَّةٍ عربيَّةٍ».

(٣) وقد رمزت لها بـ «ط».

(٤) وقد رمزت لها بـ «م».

وثلاث نسخ خَطيَّة أخرى لم يعتمدها أحدٌ قبلُ من محقِّقِي هذا الكتاب.

- نسخة مكتبة جامعة ييل[١]، وتمتاز هذه النُّسْخَة؛ بأنَّهَا أقدم نسخة للكتاب -فيما أعلم-، وجاء في آخر النُّسْخة: «بلغ مقابلته حسب الطَّاقة على نسخة المُؤَلِّف».

- نسخة ثانية كاملة للكتاب[٢].

- نسخة مقدسيَّة للجزء الثَّاني للكتاب[٣].

ومن خلال النُّسخ الخَطِّيَّة للكتاب ظهر لي: أنَّ الكتاب لم يخرج إخراجًا صحيحًا سليمًا، كما أنَّ نسخة (ي) و(أ) تميَّزت باحتوائها على زيادةٍ نفيسة -لم تُطبع من قبل إلَّا في طبعة صليبا[٤]- رُبَّما تعدل نصف كتاب الحَيْدَةِ[٥]، وفي طبعة صليبا تحريفٌ وسقطٌ يتجاوز في بعضِ المواضع عدَّة صفحات[٦]، فالحمدُ لله الَّذِي بنعمته تَتِمُّ الصَّالحات.

عَمَلِي فِي الْكِتَابِ:

يتلخَّص عملي في هذا الكتاب بالآتي:

١- قمت بمقابلة النُّسخ الخَطِّيَّة للكتاب، وأثبتُّ الصَّواب أوِ الرَّاجح في المتن.

---

(١) وقد رمزت لها بـ «ي».
(٢) وقد رمزت لها بـ «أ».
(٣) وقد رمزت لها بـ «ق».
(٤) وقد رمزت لها بـ «ص».
(٥) وقد أشار إليها الإمام عبد العزيز بقوله: «وأنا أذكر ما قد لحقني بعد هذا المجلس، وما جرى بسبب تلك الأوراق الَّتِي كتبها النَّاسُ عنِّي في كتابٍ مفردٍ بعد هذا إن شاء الله تعالى». انظر هذا الكتاب (ص: ١٩٧).
(٦) انظر (ص: ٩٤ - ٩٧)، و(ص: ١١٦ - ١١٨).

٢- أثبتُّ الفروقَ بين النُّسخِ، وأهملت ما لا داعي لإثباته -كترك الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ، أوِ التَّرضي عَنِ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، أو قول: «قال عبد العزيز» في بداية الفقرات- أو أثبتُّه من دون تنبيه.

٣- صوَّبتُ بعض الأخطاء النَّاشئة عَنِ التَّحريف.

٤- قمتُ بخدمة نصوص الكتاب من تخريج وعزو.

٥- علَّقتُ على مواضعَ مِنَ الكتاب دعَت الحاجة إليها.

٦- ترجمتُ لكُلٍّ من: عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ، وبِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، والخَلِيفَةِ المَأْمُونِ، ترجمةً مختصرةً.

٧- نقلتُ كلام طائفة من أهل العلم، مِمَّن نَسَبَ كتاب الحَيْدَةِ أو المناظرة، إلى الإمام عبد العزيز الكِنَانِيِّ.

٨- ذكرتُ نماذج مِنَ الفروقِ بين هذه الطَّبعة والطَّبعة السَّابقة.

هذا ما وفَّقني الله إليه، فإن أصبت فبمِنَّة الله وفضله، وإن كان غير ذلك، فمن عجزي وضعفي...

سائلًا الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته أن يتقبَّلها منِّي، ويجعلها في ميزان حسناتي، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

وفي الختام أتوجَّه بالشُّكر -بعد شكر الله تعالى- لشيخنا العلَّامة سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشَّيخ؛ مفتي عام المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ورئيس هيئة كبار العلماء؛ على تكرُّمه بكتابة تقديم للكتاب، والتَّعريف به، وبيان أهمِّيَّته، وذكر مكانته؛ وهذا من حرصه -حفظه الله- وذبِّه عن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة. أسألُ اللهَ العظيمَ أن يحفظ شيخنا، ويبارك فيه، وأن يَمُدَّ بعمره على طاعته..

والشُّكر موصول لفضيلة الشَّيخ خالد بن عليٍّ العرفج؛ مدير

الإدارة العامّة للإفتاء، وفضيلة الشَّيخ الوالد عبد القادر بن محمَّد عطا صوفي؛ أستاذ الدِّراسات العليا بقسم العقيدة في الجامعة الإسلاميَّة، وفضيلة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حامد آل نابت؛ عضو هَيْئَةِ التَّدريس بكُلِّيَّة جبرة العِلْميَّة في السُّودان، على تكرُّمهم بكتابة تقديم لتحقيقي للكتاب، فزادوا الكتاب نورًا على نوره، فجزاهم الله عَنِّي خيرًا..

والحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ..

وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ..

كتبه(١)

الرَّاجي رحمة ربِّه العليّ

أبو عبد الرَّحمن الأثريّ

نضال بن عبد الكريم بن موسى آغا البرازيّ

❁ ❁ ❁

---

(١) كتبْتُ هذه المُقَدِّمة -أوَّل مرَّة- قبل أكثر من عشر سنين!
وهأنذا أعيد النَّظر فيها، وفي الكتاب كُلِّه؛ سلخ ذي الحِجَّة سنة (١٤٤١هـ).
والله المستعان وعليه التُّكْلانُ.

التَّعْرِيفُ بِالإِمَامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ(١)

اسمُه ونسبُه:

عَبدُ العَزِيزِ بنُ يَحْيَى بنِ عَبدِ العَزِيزِ بنِ مُسلِمِ بنِ مَيْمُونَ الْكِنَانِيُّ المَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كان يلقَّب بـ (الغُولِ) لِدَمَامَتِهِ.

قال محمَّد بن القاسم بن خلَّاد: «لَمَّا دخل عبد العزيز بن يحيى المكِّيُّ على المأمون، وكانت خِلْقته شُنْعةً جِدًّا؛ فضحك المعتصم. فأقبل عبد العزيز على المأمون فقال: يا أميرَ المؤمنين، لم ضحكَ هذا؟! لم يَصطَفِ الله يوسف لجماله وإنَّما اصطفاهُ لدينه وبيانه، وقد قصَّ ذلك في كتابه بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، لم يقل: لَمَّا رأى جمالَه.

فبياني -يا أميرَ المؤمنين- أحسَنُ من وجه هذا. فضحِك المأمونُ وأعجَبهُ قولُه. وقال للمعتصم: إنَّ وجهي لا يكلِّمك، وإنَّما يكلِّمُكَ لساني»(٢).

(١) انظر: «الفهرست» لابن النَّديم (٢٧٥)، «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢١٢)، «تهذيب الكمال» (١٨ / ٢٢٠)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٥٥٧)، «العبر» (١/ ٣٤١)، «الوافي بالوفيات» (١٨/ ٣٤٨)، «طبقات الشَّافعيَّة» للسُّبكيِّ (٢/ ١٤٤)، «تهذيب التَّهذيب» (٦/ ٣٢٤).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢١٢).

مكانتُه وفضلُه:

كان ناصرًا للسُّنَّة في نفي القول بخلق القرآن، كما دلَّت عليه مناظرته وكتابه (الحَيْدَة)، وكان قليلَ الحديث.

وكان أحد أتباع الشَّافعيِّ، والمقتبسين عنه، والمعترفين بفضله، وطالت صُحبته للشَّافعيِّ وأتباعه؛ خرج معه إلى اليمن، واشتهر به، وآثارُ الشَّافعيِّ في كتبه ظاهرةٌ بيِّنة، وكانت له مصنَّفات عديدة.

قال داود بن عليٍّ: «عبد العزيز المكِّيُّ مِمَّنْ له فَهْمٌ بمعاني القرآن، وكان أحدَ أصحابِ الشَّافعيِّ»(١).

قال الخطيب: «قدم بغداد في أيَّام المأمون، وجرى بينه وبين بِشْرٍ المَرِيسِيِّ مناظرةٌ في القرآن، وهو صاحب كتاب (الحَيْدَةِ)، وكان من أهل الفضل والعلم، وله مصنَّفاتٌ عِدَّة، وكان مِمَّن تفقَّه بالشَّافعيِّ واشتهر بصُحبته»(٢).

شيوخُه وتلامذتُه:

روى عن: عبد الله بن معاذ الصَّنعانيِّ، وهشام بن سليمان المخزوميِّ، ومروان بن معاوية الفزاريِّ، وسفيان بن عيينة، ومحمَّد بن إدريس الشَّافعيِّ.

وروى عنه: أبو العَيناء محمَّد بن القاسم بن خلَّاد، والحسين بن الفضل البَجَليُّ، وأبو بكر يعقوب بن إبراهيم التَّيميُّ... وغيرهم.

نقل الخطيب: أنَّ عبد العزيز قال: «دخلتُ على أحمد بن أبي

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢١٢).
(٢) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٤٩).

دؤاد وهو مفلوجٌ، فقلت: إنّي لم آتِكَ عائدًا، ولكن جئتُ لأحمَدَ الله أنْ سَجَنكَ في جِلْدِكَ»(١).

قال الذَّهبيُّ: «فهذا يَدُلُّ على أنَّ عبدَ العزيزِ كانَ حَيًّا في حدودِ الأربعين»(٢).

وفاتُه:

تُوُفِّي في حدود الأربعين ومائتين.

❁ ❁ ❁

---

(١) «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٣٣).

(٢) «طبقات الشَّافعيَّة» (٢/ ١٤٥).

التَّعْرِيفُ بِالْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ(١)

اسمُه ونسبُه ومولدُه:

أَبُو العَبَّاسِ، عَبدُ اللهِ بنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ بنِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ بنِ أَبِي جَعْفَرَ المَنْصُورِ، العَبَّاسِيُّ.

ولد: سنة سبعين ومائة، ودُعي له بالخلافة في آخر سنة خمس وتسعين.

فضلُه وعلمُه:

كان عالمًا، فصيحًا، مُفوّهًا، برعَ في: الفقه، والعربيّة، وأيَّامِ النَّاس.

وكان يقول: «معاوية بعَمْرِه، وعبد الملك بحجَّاجِه، وأنا بنفسي»(٢).

وكان من رجال بني العَبَّاس حَزْمًا وعَزْمًا ورَأْيًا وعَقْلًا وهَيْبَةً وحِلْمًا.

قال الذَّهبيُّ: «كان جَوَادًا مُمَدَّحًا مِعْطَاءً، ورد عنه أَنَّهُ فرَّق في جلسة ستَّةً وعشرين ألف ألف درهم»(٣).

وقال أبو مَعْشَرٍ المُنَجِّمُ: «كان المأمون أمَّارًا بالعَدْل محمودَ

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٨٣)، «الكامل» لابن الأثير (٦/ ٢٨٢)، «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٧٢)، «فوات الوفيات» (٢/ ٢٣٥)، «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٢٤٤)، «تاريخ الخلفاء» (ص٣٠٦)، «شذرات الذَّهب» (٢/ ٣٩).

(٢) «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٣٠).

(٣) «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٧٦).

السِّيرة، ميمونَ النَّقيبة فقيهَ النَّفْس؛ يُعَدُّ من كبار العلماء»[(١)].

قال المأمون: «لو عرفَ النَّاسُ حبِّي للعفو، لتَقرَّبوا إليَّ بالجرائم»[(٢)].

وقال يحيى بن أكثم: «كان المأمون يَحْلُم حَتَّى يُغيظَنا»[(٣)].

صفتُه:

قال ابن أبي الدُّنيا: «كان أبيضَ رَبْعَةً حسَنَ الوَجْهِ تعلوهُ صُفرةٌ قد وَخَطَهُ الشَّيب، وكان طويلَ اللِّحية أعينَ ضيِّق الجبين على خدِّه شامة».

شيوخُه وتلامذتُه:

سمع من: هُشَيم، وعبَّاد بن العوَّام، ويوسف بن عطيَّة، وأبي معاوية، وطائفة.

وروى عنه: ولدُه الفضلُ، ويحيى بن أكثم، وجعفرُ بن أبي عثمان الطَّيالسيُّ، والأمير عبدُ الله بن طاهر، ودِعْبِلٌ الشَّاعر، وأحمدُ بن الحارث الشِّيعيُّ.

اعتقادُه وقولُه بخلق القرآن:

قال الذَّهبيُّ: كان شيعيًّا، وأظهرَ تفضيلَ عليٍّ على الشَّيخَين.

وقيل: أمرَ لتشيُّعِهِ بالنِّداء بإباحَةِ المتعة -متعة النِّساء- فدخل عليه يحيى بن أكثم، فذكر له حديث عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بتحريمها، فلَمَّا علم بصحَّة الحديث رجع إلى الحَقِّ وأمر بالنِّداء بتحريمها.

---

(١) «فوات الوفيات» (٢/ ٢٣٧).
(٢) «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٧٩).
(٣) «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٧٩).

أظهرَ القول بخلق القرآن، وامتحن العلماء في ذلك وشدَّد عليهم، وما رجع عنه.

وقيل: إنَّ المأمون استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس.

وكان يُجِلُّ أهل الكلام، فقرَّبهم وتَناظَروا في مجلسه(١).

امتحانُه للعلماء:

قال إبراهيمُ نِفْطَوَيْهِ: «حَكَى داودُ بنُ عَلِيٍّ، عن يحيى بن أَكْثَمَ، قال: كنتُ عند المأمون، وعنده قُوَّاد خُرَاسان، وقد دعا إلى القول بخلق القرآن، فقال لهم: ما تقولون في القرآن؟ فقالوا: كان شيوخنا يقولون: ما كان فيه من ذكر الحمير والجمال والبقر فهو مخلوق، فأمَّا إذْ قال أمير المؤمنين: هو مخلوق. فنحن نقول: كُلُّه مخلوق. فقلت للمأمون: أتفرَحُ بموافقة هؤلاء؟»(٢).

قال الذَّهبيُّ: «وكتب المأمون إلى نائبه على العراق إسحاق بن إبراهيم الخُزَاعيِّ كتابًا يمتحن العلماء، يقول فيه: وقد عرفنا أنَّ الجمهورَ الأعظم والسَّواد من حَشْوِ الرَّعِيَّة وسَفَلَةِ العامَّة، مِمَّن لا نظر لهم ولا رَوِيَّة، أهلُ جهالةٍ وعمًى عن أن يعرفوا اللهَ كُنْهَ معرفته، ويُقَدِّرُوه حقَّ قَدْرِه، ويفرِّقوا بينه وبين خلقه، فساوَوْا بين اللهِ وبين خَلْقِهِ، وأطبقوا على أنَّ القرآنَ قديمٌ، لم يخترعه الله... -إلى أن قال-:

فمالَ قومٌ من أهل السَّمت الكاذب والتَّخشُّع لغير الله إلى موافقتهم، فرأى أميرُ المؤمنين أنَّهم شَرُّ الأمَّة، ولَعَمْرُو أميرِ المؤمنين:

---

(١) انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٧٩-٢٨٩).

(٢) «فوات الوفيات» (٢/ ٢٣٨).

إنَّ أكذبَ النَّاس مَنْ كَذَبَ على الله ووَحْيِهِ، ولم يعرف اللهَ حقَّ معرفته.

فَاجْمَعِ القُضَاةَ وامْتَحِنْهُمْ فيما يقولون، وأعلِمْهم أنِّي غيرُ مُستعينٍ في عملٍ، ولا واثقٌ بمَن لا يوثَق بدينه، فإنْ وافقوا فمُرْهُم بنصِّ مَنْ بحضرتهم مِنَ الشُّهود، ومسألتهم عن علمهم في القرآن، ورَدِّ شهادة مَنْ لم يُقرَّ أنَّهُ مخلوقٌ»[1].

وقال أيضًا: «وكتبَ المأمون -أيضًا- في أشخاص سبعةٍ: محمَّد بن سعد، وابن معين، وأبي خَيْثَمَة، وأبي مسلم المُسْتَمْلي، وإسماعيل بن داود، وأحمد الدَّوْرقِيِّ، فامتُحِنُوا فأجابوا -قال ابْنُ مَعِينٍ: جَبُنَّا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ- وكتب بإحضار مَنِ امتنع منهم: أحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد، وأبي حسَّان الزِّياديِّ، والقَوَاريريِّ، وسجَّادَة، وعليِّ بن الجعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وعليِّ بن أبي مُقَاتل، وذَيَّال بن الهَيْثَم، وقُتَيبة بن سعيد، وسَعْدَوَيْهِ في عِدَّة، فتلكَّأ طائفةٌ وصمَّم أحمدُ وابْنُ نُوحٍ؛ فقُيِّدا وبُعث بهما، فلَمَّا بلغا الرَّقَّة تلقاهم موتُ المأمون...»[2].

وفاتُه:

مات في رجب في الثَّاني عشر منه سنة ثمان عشرة ومائتين، وصلَّى عليه أخوه المعتصم. وكان عمره سبعًا وأربعين سنةً، وخلافتهُ عشرون سنة وخمسة أشهر واثنان وعشرون يومًا.

❁ ❁ ❁

---

(١) «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٨٧).

(٢) «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٨٨).

التَّعْرِيفُ بِبِشْرِ الْمَرِيسِيِّ(١)

اسمُه ونسبُه:

أَبُو عَبدِ الرَّحْمَنِ بِشْرُ بنُ غِيَاثِ بنِ أَبِي كَرِيمَةَ العَدَوِيُّ مَوْلَاهُمْ البَغْدَادِيُّ المَرِيسِيُّ(٢)، المُتَكَلِّمُ، شيخُ المُعْتَزِلَةِ، واحدُ مَن أضَلَّ المأمونَ، مِنْ مَوَالِي آل زَيْدِ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

صفتُه:

كان قصيرًا، دَمِيم المَنْظَر، وسِخَ الثِّياب، وَافرَ الشَّعْر، كبيرَ الرَّأسِ والأذنين، أشبَهَ شيءٍ باليهود.

شيوخُه:

أخذَ عَنِ القاضي أبي يوسف، وروى عن حمَّاد بن سلمة، وسفيان ابن عيينة.

---

(١) انظر: «الفرق بين الفرق» (١٩٢)، «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٦)، «وفيات الأعيان» (١/ ٢٧٧)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٣٠٣)، «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ١٩٩)، «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٢٨١)، «لسان الميزان» (٢/ ٢٩).

(٢) المَرِيْسِيُّ -بفتح الميم، وكسر الرَّاء، وبعدها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، وفي آخرها السِّين المهملة-: هذه النِّسبة إلى مَرِيس، وهي قرية بمصر، هكذا ذكره أبو سعد الآبي في كتاب «النُّتَف والطُّرف»، ثُمَّ قال: وإليها ينسب: بِشْرُ المَرِيسِيُّ. اهـ «الأنساب» للسَّمعانيِّ (١٢/ ٢١٠).

سيرته واعتقاده:

كان منسلخًا مِنَ الورع والتَّقوى، وجرَّد القولَ بخلق القرآن ودعا إليه، ونظرَ في الكلام فغلبَ عليه حَتَّى كان عينَ الجَهْمِيَّة في عصره وعالمَهم، فمَقتَهُ أهلُ العلم وكفَّره عِدَّة، وكان له قَدْرٌ عند الدَّولة، وكان يشربُ النَّبيذ.

ولم يُدرك جَهْمَ بن صَفْوان بل تلقَّف مقالاتِهِ من أتباعه.

قال أبو النَّضر هاشم بن القاسم: «كانَ وَالدُ بِشْرٍ يَهُوديًّا قصَّارًا صبَّاغًا في سويقة نصر»[١].

قال الخطيب: «جرَّد القول بخلق القرآن، وحُكي عنه أقوالٌ شنيعة ومذاهب مستنكَرة! أساء أهلُ العلم قولَهم فيه بسببها وكفَّره أكثَرُهم»[٢].

وكان مرجئًا، وإليه تُنسَبُ الطَّائفة المَرِيسِيَّة مِنَ المُرْجئة.

وكان يقول: إنَّ السُّجود للشَّمس والقمر ليس بكُفرٍ ولكنَّه علامة الكُفر!

وكان لا يعرف النَّحْو ويَلْحَنُ لحنًا فاحشًا.

صنَّف كتابًا في التَّوحيد، وكتاب (الإرجاء)، وكتاب (الرَّدُّ على الخوارج)، وكتاب (الاستطاعة)، وكتاب (الرَّدُّ على الرَّافضة في الإمامة)، وكتاب (كُفْر المشبِّهة)، وكتاب (المعرفة)، وكتاب (الوعيد).. وأشياء غير ذلك في نِحْلَتِه.

قال عبَّاد بن العوَّام: «كلَّمتُ بِشْرًا المَرِيسيَّ وأصحابَ بِشْرٍ، فرأيتُ

---

(١) «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٠٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٣١).

آخرَ كلامهم أنَّهُ ينتهي إلى أن يقولوا: ليس في السَّمَاء شيءٌ!»[١].

قال أبو بكر الأثرم: «سُئِل أحمد عَنِ الصَّلاة خلف بِشْرٍ المَرِيسِيِّ، فقال: لا تُصَلِّ خَلْفَه»[٢].

قال قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد: «بِشْرٌ المَرِيسِيُّ كَافِرٌ»[٣].

قال عبد الله بن المبارك: «رأيتُ زُبَيْدَةَ[٤] في المنام فقلت: ما فعلَ الله بِكِ؟ فقالت: غَفَرَ لي في أوَّل مِعوَل ضُرِبَ في طريق مكَّة. قلت: فما هذه الصُّفْرة؟ قالت: دُفِنَ بين ظَهرانَينا رجلٌ يقال له: بِشْرُ المَرِيسِيُّ، زَفَرَتْ عليه جهنَّم زفرةً فاقشعرَّ لها جسدي، فهذه الصُّفْرة من تلك الزَّفْرة»[٥].

وفاتُه:

مات في ذي الحِجَّة سنة ثماني عشرة، وقيل: تسع عشرة ومائتين ببغداد، وقد قاربَ الثَّمانين.

❁ ❁ ❁

---

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٣١).
(٢) «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٢٠٢).
(٣) «لسان الميزان» (٢/ ٣٠).
(٤) هي زُبَيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرَ بْنِ المَنْصُورِ، زوجةُ هارون الرَّشِيد وأمُّ الأمين.
(٥) «تاريخ بغداد» (١٦/ ٦١٩).

الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ ذَكَرُوا كِتَابَ (الْحَيْدَةِ) أَوِ الْمُنَاظَرَةَ بَيْنَ الإِمَامِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ وَبِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ

١- أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ طَيْفُور رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «أخبرنا عبد العزيز المكِّيُّ الكِنَانيُّ المتكلِّم، قال: اجتمعت أنا وبشرٌ المَرِيسِيُّ عند المأمون...».

«كتاب بغداد المستوعب لفترة خلافة المأمون»: (٤٦).

٢- ابْنُ بَطَّةَ الْعُكْبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «باب ذكر مناظرات الممتحَنين بين أيدي الملوك الجبَّارين الَّذِين دَعَوْا النَّاسَ إلى هذه الضَّلالة.

مناظرة عبد العزيز بن يحيى المكِّيِّ لِبِشْرِ بن غِيَاثٍ المَرِيسِيِّ بحضرة المأمون...». ثُمَّ ذكر جزءًا كبيرًا من المناظرة.

«الإبانة الكبرى»: (٤/ ٩٣).

٣- ابْنُ النَّدِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «عبد العزيز بن يحيى بن عبد الملك (كذا) بن مسلم بن ميمون الكِنَانِيّ... وله من الكتب كتاب (الحَيْدَةِ) فيما جرى بينه وبين بِشْرِ المَرِيسِيِّ».

«الفهرست»: (٢٧٥).

٤- ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «قال عبد العزيز صاحب كتاب (الحَيْدَةِ): إِنَّمَا سمَّى الله

نَفْسَه شيئًا إثباتًا للوجود ونَفْيًا للعدم!».

«شرح صحيح البخاريِّ»: (١٠/ ٤٤٣).

٥- الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكِنَانِيُّ المكِّيُّ... وقدم بغداد في أيَّام المأمون، وجرى بينه وبين بِشْرٍ المَرِيسِيِّ مناظرةٌ في القرآن؛ وهو صاحبُ كتاب (الحَيْدَةِ)».

«تاريخ بغداد»: (١٢/ ٢١٢).

وقال: «عبد العزيز بن يحيى المكِّيُّ صاحب كتاب (الحَيْدَةِ)».

«تلخيص المتشابه في الرَّسم»: (٧٦٣).

٦- الشِّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «عبد العزيز بن يحيى الكِنَانِيُّ المَكِّيُّ المُتَكَلِّم، وهو الَّذي ناظَرَ بِشْرًا المَرِيسِيَّ عند المأمون في نَفْيِ خلق القرآن».

«طبقات الفقهاء»: (١٠٣).

٧- السَّمْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «عبد العزيز بن يحيى المكِّيُّ المعروف بالغُولِي... كان شديدَ المذهب والسِّيرة، وكان يُناظر بِشْرَ بن غِيَاثٍ المَرِيسِيَّ في مسأله القرآن، ويُثبت الصِّفات».

«الأنساب»: (٩/ ١٩٢).

٨- ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «وما زال أئمَّة السُّنَّة يذكرون هذا؛ مثل ما ذكره عبد العزيز الكِنَانِيُّ صاحب الشَّافعيِّ، صاحب (الحَيْدَةِ) المشهور بالرَّد على

الجَهْمِيَّة والقَدَرِيَّة وغيرهم».

«بيان تلبيس الجَهْميَّة»: (٢/ ٣٤١).

وقال: «فهذه الطَّريقة هي عُمْدة هؤلاء في مسألة القرآن، وقد سبقهم عبد العزيز المكِّيُّ، صاحب (الحَيْدَةِ) المشهورة إلى هذا التَّقْسِيم». ثُمَّ نقل فقراتٍ من الكتاب.

«درء تعارض العقل والنَّقل»: (٢/ ٢٤٥).

وقال: «فمِن ذلك: ما ذَكَرهُ عبد العزيز بن يحيى المكِّيُّ المشهور صاحب (الحَيْدَةِ)، وهو مِنَ القدماء الَّذِين لَقَوْا الشَّافعيَّ».

«درء تعارض العقل والنَّقل»: (٦/ ١١٥).

وقال: «وكلامُ أبي العبَّاس عبد العزيز المكِّيِّ صاحب (الحَيْدَةِ) في الرَّدِّ على الجَهْمِيَّة».

«الحموية»: (٢٥١).

وقال: «وكذلك قال عبد العزيز المكِّيُّ صاحب الشَّافعيِّ صاحب (الحَيْدَةِ) المشهورة في كتاب الرَّدِّ على الزَّنادقة والجَهْمِيَّة».

«مجموع الفتاوى»: (٥/ ٣١٤).

وقال: «وعبد العزيز بن يحيى الكِنَانِيُّ صاحب (الحَيْدَةِ)... كلامهُ في (الحَيْدَةِ) والرَّدِّ على الجَهْمِيَّة يحتمل ذلك؛ فإنَّ مضمون (الحَيْدَةِ): أَنَّهُ أبطَلَ احْتِجَاجَ بِشْرِ المَرِيسِيِّ».

«مجموع الفتاوى»: (٦/ ١٦٦).

وقال: «فلهذا كان هذا القسم مِمَّا ذكره عبدُ العزيز بن يحيى الكِنَانِيُّ في (الحَيْدَةِ) وأَبْطَلَهُ من غير أن يلتزم خلاف السَّلف، وقد

كتبتُ ألفاظه وشرحتها في غير هذا الموضع».

«مجموع الفتاوى»: (٦/ ٣٢٥).

٩- المِزِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: «عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكِنَانِيُّ المكِّيُّ صاحب كتاب (الحَيْدَةِ)».

«تهذيب الكمال»: (١٨/ ٢٢٠).

١٠- الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: «وعبد العزيز المكِّيُّ صاحب (الحَيْدَةِ)، وحسين بن عليٍّ الكَرَابِيسِيُّ».

«سير أعلام النُّبلاء»: (١٠/ ٧). -قاله في ترجمة الشَّافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

وقال: «قال عبد العزيز بن يحيى الكِنَانِيُّ صاحب (الحَيْدَةِ) والمناظرة في خلق القرآن مع بِشْرٍ المَرِيسِيِّ بين يدي المأمون بن هارون الرَّشيد، وينبغي أن يكون ذلك في سنة ثمان عشرة ومائتين؛ فإنَّ فيها أحدثَ المأمون امْتِحَانَ النَّاس في القرآن، وفي أواخرها تُوُفِّي المَرِيسِيُّ».

«العرش»: (٤/ ٢).

وقال: «وعبد العزيز بن يحيى الكِنَانِيُّ المكِّيُّ صاحب (الحَيْدَةِ)، سمع من سفيان بن عيينة، وناظَرَ بِشْرًا المَرِيسِيَّ، وهو معدودٌ في أصحاب الشَّافعيِّ».

«العِبر في خبر من غَبَر»: (١/ ٣٤١).

وقال: «وقِصَّة ما تمَّ لعبد العزيز صاحب (الحَيْدَةِ) مع بِشْرٍ المَرِيسِيِّ والرَّدُّ على مَنْ يقول بخلق القرآن».

«العِبر في خبر من غَبَر»: (٢/ ٢٣٨).

وقال -بعد ذكر بعض مَنْ روى عَنِ الإمام الشَّافعيُّ-: «...وبحر ابن نصر الخولانيُّ، وعبد العزيز المكِّيُّ صاحب (الحَيْدَةِ).. وخَلْقٌ سواهم».

«تاريخ الإسلام»: (١٤/ ٣٠٦).

وقال: «عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكِنَانِيُّ المكِّيُّ الفقيه، صاحب كتاب (الحَيْدَةِ)...».

«تاريخ الإسلام»: (١٧/ ٢٥٦).

١١- ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: «وقد أجابَ عن هذا عبد العزيز بن يحيى الكِنَانِيُّ في (حَيْدَتِهِ)، فقال -في سؤاله للمَرِيسِيِّ-...».

«شفاء العليل»: (١٥٥).

١٢- صَلَاحُ الدِّينِ خَلِيلُ بْنُ أَيْبَكَ الصَّفَدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: «عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكِنَانِيُّ المكِّيُّ... وهو الفقيه صاحب كتاب (الحَيْدَةِ)، جرت بينه وبين بِشْرٍ المَرِيسِيِّ مناظراتٌ في القرآن».

«الوافي بالوفيات»: (١٨/ ٣٤٨).

١٣- ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: «وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكِنَانِيُّ صاحب كتاب (الحَيْدَةِ) على أمير المؤمنين المُتَوَكِّلِ على الله؛ وكان من خيار الخلفاء».

«البداية والنِّهاية»: (١٤/ ٣١٧).

١٤- ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنَفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «قال الإمام عبد العزيز المكِّيُّ صاحب الإمام الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وجليسُه؛ في كتاب (الحَيْدَةِ) الَّذِي حكى فيه مناظرته بِشْرًا المَرِيسِيَّ عند المأمون».

«شرح العقيدة الطَّحاويَّة»: (١/ ٢١٣).

وقال: «وبمثل ذلك أَلْزَمَ الإمامُ عبد العزيز المكِّيُّ بِشْرًا المَرِيسِيَّ بين يدي المأمون، بعد أن تكلَّم معه مُلْتَزِمًا أن لا يخرجَ عن نصِّ التَّنزيل، وأَلْزَمَهُ الحُجَّة... هذا مختصرٌ من كلام الإمام عبد العزيز في (الحَيْدَةِ)».

«شرح العقيدة الطَّحاويَّة»: (١/ ٢٦٠).

١٥- ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكِنَانِيُّ المكِّيُّ... وقال الخطيب: قدم بغداد في أَيَّام المأمون، وجَرَتْ بينه وبين بِشْرٍ المَرِيسِيِّ مناظرةٌ في القرآن؛ وهو صاحبُ كتاب (الحَيْدَةِ)، وكان من أهل العلم والفضل».

«تهذيب التَّهذيب»: (٦/ ٣٢٤).

وقال: «وأشار ابن بَطَّال إلى أَنَّ البخاريَّ انتزعَ هذه التَّرجمة من كلام عبد العزيز بن يحيى المكِّيِّ؛ فإِنَّهُ قال في كتاب (الحَيْدَةِ): سَمَّى اللهُ تعالى نفسَه شيئًا إثباتًا لوجودِهِ ونفيًا للعدم!».

«فتح الباري»: (١٣/ ٤٠٢).

وقال: «عبد العزيز بن يحيى المكِّيُّ المُتَكَلِّم صاحب كتاب (الحَيْدَةِ)».

«نزهة الألباب في الألقاب»: (٢/ ٦٠).

١٦- ابنُ العِمَادِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: «عبد العزيز بن يحيى الكِنَانِيُّ المكِّيُّ؛ سمع من سفيان بن عيينة، وناظرَ بِشْرًا المَرِيسِيَّ في مجلس المأمون بمناظرةٍ عجيبةٍ غريبة، فانقطع بِشْرٌ وظهرَ عبدُ العزيز، ومناظرتُهما مشهورةٌ مسطورة، وعبدُ العزيز هو صاحب كتاب (الحَيْدَةِ) وهو معدودٌ في أصحاب الشَّافعيِّ».

«شذرات الذَّهَب في أخبار مَنْ ذَهَب»: (٢/ ٩٤).

❁ ❁ ❁

نَمَاذِجُ مِنَ الفُرُوقِ بَيْنَ هَذِهِ الطَّبْعَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ طَبَعَاتِ الكِتَابِ السَّابِقَةِ(١)

في المطبوع (ص٢١): «فأزعجني ذلك وأقلقني» صوابه ما في (ص٧٦): «فأزعجني ذلك [من وطني] وأقلقني».

في المطبوع (ص٢١): «وأطال غمِّي وهمِّي» صوابه ما في (ص٧٦): «وأطال [فكري] وغمِّي وهمِّي».

في المطبوع (ص٢٢): «وأن يُطلق لشرحِ بيانه لساني» صوابه ما في (ص٧٧): «ويُطلق به لساني، ويشرح ببيانه صدري».

في المطبوع (ص٢٢): «وشجع وفتح لفهم كتابه قلبي» صوابه ما في (ص٧٧): «وشجع [جَنَاني] وفتح لفهم كتابه قلبي».

في المطبوع (ص٢٣): «من العلماء خوفًا على نفسه، لمَّا عُرِضوا على السَّيف والقتل فأجابوا كُرهًا، وفارقوا الحقَّ عَيانًا» صوابه ما في (ص٧٨): «مِنَ العلماء خَوْفًا [منه] على نَفْسِهِ، لمَّا عَرضوا عليه السَّيف والقتل فأجابهم [إلى ذلك] كُرْهًا [من خوفِهِ على نفسِهِ] وفارقوا الحَقَّ [عند ذلك] عِيَانًا».

في المطبوع (ص٢٣): «كلام الله غير مخلوق» صوابه ما في

(١) قد أثبتُّ الفروق بين هذه الطَّبعة وطبعة الشَّيخ عليٍّ الفقيهي -حفظه الله تعالى- لتميُّزها على الطَّبعات الأخرى وانتشارها واعتماد طلبة العلم عليها.

(ص٧٩): «كلام الله [منزَّل] غير مخلوق».

في المطبوع (ص٢٣): «مرُّوا بهما إلى منزلي» صوابه ما في (ص٨٠): «مرُّوا بهما [سحبًا] إلى منزلي».

في المطبوع (ص٢٤): «ولكنَّك أردت الشُّهرة والرِّياء والتَّسوُّق» صوابه ما في (ص٨١): «ولكنَّك أردت الشُّهرة والرِّياء [والسُّمعة] والتَّسوُّق».

في المطبوع (ص٢٤): «فدمي حلالٌ لأمير المؤمنين» صوابه ما في (ص٨١): «فدمي حلالٌ لأمير المؤمنين [وهو في حِلٍّ منه]».

في المطبوع (ص٢٤): «وأظهرت الشُّكر والدُّعاء لأمير المؤمنين» صوابه ما في (ص٨٢): «وأكثرتُ الشُّكر والدُّعاء لأمير المؤمنين».

في المطبوع (ص٢٣): «وإن كانت لك حاجةٌ قضيتها لك» صوابه ما في (ص٨٤): «وإن كانت لك حاجةٌ قُضيت لك، [فتكلَّمْ بما عندك وما بدا لك قبل أن أدخل إلى أمير المؤمنين -أيَّده اللهُ تعالى-]».

في المطبوع (ص٢٦): «قد حرصت في كلامك جهدي» صوابه ما في (ص٨٥): «قد حرصت على خلاصك جهدي».

في المطبوع (ص٨٥): «والله عَزَّوَجَلَّ ألطف» صوابه ما في (ص٥٧): «والله تعالى [أعطف عليَّ و] ألطف».

في المطبوع (ص٢٦): «فأُخرِجتُ إلى الدِّهليز الأوَّل، ومعي جماعة موكَّلون بي» صوابه ما في (ص٨٥): «فأُخرِجتُ إلى الدِّهليز الأوَّل، [فأُجلست هنالك ودخل الدَّار، فلم أزل في الدِّهليز] ومعي جماعة موكَّلون بي».

في المطبوع (ص٢٦): «أذِنَ لي في الدُّخول، فلم أزل أنقل من

دهليزٍ إلى دهليزٍ حتَّى صرتُ إلى الحاجب صاحب السِّتر» صوابه ما في (ص٨٦): «أذِنَ لي بالدُّخول، [فخرج عَمْرُو إليَّ وأدخلني الدِّهليز الثَّاني وتركني ودخل، ثُمَّ خرج فأخذ بيدي فأدخلني إلى الدِّهليز الثَّالث وتركني ودخل، ثُمَّ فعل بي ذلك سبع مرَّات] وصرْتُ إلى الحاجب صاحب السِّتْر».

في المطبوع (ص٢٧): «وعقلك لمناظرتهم» صوابه ما في (ص٨٦): «وعقلك [في علمك] لمناظرتهم».

في المطبوع (ص٢٧): «أقوامٌ يتعادَون بي، وأيديهم في ظهري وعلى عُنقي» صوابه ما في: (ص٨٧): «أقوامٌ يتعادَون بي [وأيدي قوم آخرين] في ظهري وعلى عُنُقِي».

في المطبوع (ص٢٧): «مِنَ الرَّوعة والجزع والخوف» صوابه ما في (ص٨٩): «من الرِّعدة والجزع [وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه، وما نزل بي مِنَ الجزع] والخوف».

في المطبوع (ص٢٨): «فقال: يا عمرو! أما ترى هذا الَّذِي قَدِ انتفخَ من هذا النَّقشِ» صوابه ما في (ص٨٩): «فَقَالَ: يَا عَمْرُو! [فَقَالَ: لبيك يا أمير المؤمنين. قَالَ] أمَا ترى إلى هذا الَّذِي قَدِ انتفخَ من هذا النَّقشِ [في الجصِّ]».

في المطبوع (ص٢٨): «فإنَّه قَدِ استحقَّ العقوبةَ على عملِهِ هذا» صوابه ما في (ص٨٩): «استحقَّ العقوبةَ على عملِهِ هذا [وجعل يعيبه]».

في المطبوع (ص٢٨): «يا أمير المؤمنين، كلُّ من بها من أهلها إلَّا وأنا أعرفُه» صوابه ما في (ص٩٠): «يا أمير المؤمنين، [بلدي وأنا صغير] وكُلُّ مَنْ بها من أهلها إِلَّا وأنا أعرفُه».

في المطبوع (ص٢٩): «ولكنِّي أقولُ شيئًا» صوابه ما في (ص٩٢):

«إِلَّا أَنِّي أقولُ شيئًا [قبل كلامي]».

في المطبوع (ص٢٩): «إنِّي رجل عربيٌّ» صوابه ما في (ص٩٢): «إنِّي رجلٌ عربيٌّ [حجازيٌّ]».

في المطبوع (ص٣٠): «ومن في مجلسه على معنى كلامي» صوابه ما في (ص٩٤): «و[سمع] مَنْ في مجلسه على معنى كلامي».

في المطبوع (ص٣٠): «فلا يخفى عليهم بعضُ ما يجري بيننا. فقال المأمون لبِشر: ناظِرْ صاحبكَ على ما يريد. قال عبد العزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين» صوابه ما في (ص٩٤-٩٧): «فلا يخفى عليهم بعضُ ما يجري بيننا.

[فَقَالَ لِي بِشْرٌ: أنت مَرَّةً تخاطب أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- وتنسبه إلى قِلَّةِ الفَهْمِ بدقيق الكلام وغريبه، وتخاطب مَنْ بحضرته في مجلسه مِنَ الفقهاء وأهل المعرفة بالعربيَّة واليقين بالعلوم، وتنسبهم إلى قِلَّةِ المعرفة بكلامك، ولا تفرق بين أمير المؤمنين ورعيَّته في حال.

فَقُلْتُ لَهُ: لَسْتَ من أهل اللُّغَة فتفهم معنى كلامي، وقد أجلَّ اللهُ قَدْر أمير المؤمنين وأعلاه عن أن يساوي أحدًا من رعيَّتِه، أو يشبَّه بهم في حال.

ولكِنَّ العربَ من سُنَّتِها في لغتها وكلامها ومخاطبتها: إدخال الخاصَّة مع العامَّة ثُمَّ يخرجهم بعد العموم بإفراد المخاطبة والصِّفة؛ لِيَدُلَّ بذلك على فضل الخاصَّة وكرامتها وتقدمتها، وبذلك جرت سنَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أصل ولايته مِنَ الملائكة والأنبياء وسائر المؤمنين: أَنْ يَعُمَّ الخاصَّة مع العامَّة في المخاطبة وفي الصِّفة، ثُمَّ يخرجهم مِنَ العُمُوم بإفراد المخاطبة أَوِ الصِّفة؛ لِيَدُلَّ بذلك على أَنَّهُم خاصَّة،

وليعلم الخَلْقُ فضلَهم على العامَّة؛ فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٩٨]، فعمَّ بهذا القول الملائكة كُلَّهُم والرُّسُلَ؛ فلم يستثنِ منهم أحدًا، وأدخل جبريل ميكائيل معهم، ثُمَّ أفردهم بالخصوص ليدُلَّ على فضلهم على سائر الملائكة وخصوصهم منه وتقدمتهم عنده، فقال تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة: ٩٨]، فعقل المؤمنون عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قد عنى جبريل وميكائيل في القول الأوَّل، ثُمَّ أخرجهم مِنَ العموم وأفردهم بالخصوص؛ لِيَدُلَّ على أَنَّهُم خاصَّة ونخبته مِنَ الملائكة، فكانا بهذا القول الخاصَّة مِنَ الملائكة، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٧]، فعمَّ جميع النَّبيِّين بهذا القول، ولم يدع منهم أحدًا، ثُمَّ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧]، فعقل المؤمنون عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ عنى هؤلاء الخمسة مع النَّبيِّين، وأَنَّهُم داخلون في جملة عمومهم، ثُمَّ أخرجهم بخاصَّتهم منه وزلفهم عنده من جملة العموم؛ فدَلَّ بذلك على أَنَّهُم خاصَّة الأنبياء.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [التوبة: ٧٢]، فدَلَّ هذا على أَنَّهُ قد عنى المؤمنين والمؤمنات جميعًا بهذا القول، ثُمَّ أَحَبَّ أن يُظهر الخاصَّة مِنَ المؤمنين ويصفهم ويخرجهم من صفة العموم، كما أخرج الملائكة والأنبياء، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٧٧] الآيةَ، فوصفهم بأعمال الصَّالحات وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة لِيَدُلَّ على أَنَّهُمْ الخاصَّة مِنَ العامَّة، ثُمَّ أخبر عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز عن خاصَّة الخاصَّة مِنَ المؤمنين وأخرجهم عن جملة العموم وأفردهم بالخبر عنهم والصِّفة لهم، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النُّور: ٥٥]، يَدُلُّ بهذا القول على أنَّ الخلفاء خاصَّة الخاصَّة ونخبة النُّخْبة مِنَ المؤمنين، وعلى فضلهم وتقدمتهم وعُلُوِّ منزلتهم عنده، ثُمَّ وصف خاصَّة الخاصَّة عنده بأحسن صفة، وامتدحهم بأحسن مدحة، وأثنى عليهم بالأعمال الصَّالحة، وأخبر بها عنهم، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾ [الحجّ: ٤١] الآية، فوصفهم بكمال صفات المؤمنين وأعمال المتَّقين، وذلك قبل خلقهم واستخلافهم؛ فعقل المؤمنون عَنِ الله: أنَّهُ قد عنى الخلفاء في جملة المؤمنين، وعَمَّهم بالمخاطبة معهم، ثُمَّ أخرجهم عَنِ العموم وأفردهم بالخصوص؛ لِيَدُلَّ على فضلهم وكرامتهم وعلوِّ مراتبهم، وأنَّهُم خاصَّة الخاصَّة ونخبة النُّخبة مِنَ المؤمنين أجمعين، ثُمَّ خاطب المؤمنين وخاطبهم أجمعين بطاعة الخاصَّة المنتخبين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النِّساء: ٥٩]، فأوجب على جميع المؤمنين طاعة الخاصَّة، وافترض ذلك عليهم؛ فصار عليهم فرضًا واجبًا وحقًّا لازمًا، فمَنْ فارقه فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عُنُقِه، ومَنْ خرج عن ذلك مات ميتة جاهليَّة، فعقل المؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّهُ قد فضَّل الخلفاء وولاة الأمر على سائرهم، وأنَّهُم خاصَّة الخاصَّة ونخبة النُّخْبة منهم؛ فأدَّبْتُ كما أدَّبَني الله، وقلت كما علَّمَني اللهُ تعالى؛ فأدخلت أمير المؤمنين في المخاطَبة وأفردته بعلوِّ منزلته في الخاصَّة، وكان مخاطبةً لك ولمَنْ حضر مِمَّنْ ليس هو من أهل ذلك، فأمَّا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- فأعلم خلق الله تعالى بدقيق كلام العرب وغريبه، وإنَّمَا أردت أن أجعل هذا المجلس كُلَّهُ فضائل لأهل بيت رسول الله ﷺ، وما خصَّهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنَ الكرامة

والزُّلْفَى، وذكر فضائل الأئمة وولاة الأمور خاصَّة، وما يوجبون به طاعتهم على الخلق، وأن أبلغُ من ذلك -بعد هذا المجلس- ما يقي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عني به أميرَ المؤمنين إن شاء الله تعالى.

فقالَ لِي الْمَأْمُونُ: لقد أبلغت من ذلك وأحسنت القول والأمر، فارجع إلى مناظرة بِشْرٍ؛ فإنَّ هذا لمجلس ما بعده إن شاء الله تعالى مجلس].

فقالَ المأمونُ لِبِشْرٍ: ناظِرْ صاحبكَ على ما يريد.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ [بْنِ يَحْيَى: فأقبلت على أمير المؤمنين المأمون] فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين».

في المطبوع (ص٣٠): «إنَّهُ كان أجمل ولد آدم» صوابه ما في (ص٩٧): «أنَّهُ كان أجمل [البشر من] ذُرِّيَّةِ آدم».

في المطبوع (ص٣٠): «هي راودَتْهُ عن نفسهِ فاستعصَمَ، فحبسَ بعدَ ذلكَ كلّه لعلَّةِ حُسْنِ وجهه» صوابه ما في (ص٩٨): «هي راودَتْهُ عن نفسهِ [في المرَّة الأولى بقولها: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، فأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّهُم حبسوه وضيَّقُوا عليه بعد تلك الآيات لحُسْنِ وجهه وقول النِّسْوة: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ...﴾ [يوسف: ٣١] الآية، من بعد جماله] وحسن وجهه».

في المطبوع (ص٣١): «هذا الَّذِي بلغه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بكلامه وعلمه لا بجماله» صوابه ما في (ص٩٩): «هذا الَّذِي بلغه يوسف [الصِّدِّيق] ﷺ بكلامه وعلمه لا [بحسنه و] جماله».

في المطبوع (ص٣٢): «وأنا الشَّاهد بينكما إن شاء الله تعالى» صوابه ما في (ص١٠٢): «وأنا الشَّاهد عليكما، والحافظ لما يجري بينكما، والحاكم عليكما».

في المطبوع (ص٣٥): «ولا ما اختارَهُ الجنُّ لأنفسهم» صوابه ما في (ص١٠٦): «ولا ما اختارَهُ الجِنُّ [والإنس] لأنفسهم [ولقد وصفت نفسك بأقبح الصِّفات]».

في المطبوع (ص٣٥): «وشبَّهه بخلقهِ، فقال عَزَّوَجَلَّ» صوابه ما في (ص١٠٧): «وشبَّهه بخَلْقهِ [الَّتِي ألحد بِشْرٌ فيها، وخالف تأويلها، وقال بغير علم؛ افتراءً على الله، وتحريفًا لكلامه، وردًا لأخباره] ثُمَّ قال عَزَّوَجَلَّ».

في المطبوع (ص٣٥): «جعل الشَّيء اسمًا لله عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ ذكر» صوابه ما في (ص١٠٧): «جعل الشَّيء اسمًا لله [فقلت كما قال الله تعالى وتأدَّبْتُ كما أدَّبني الله تعالى] ثُمَّ ذكر».

في المطبوع (ص٣٦): «فلمَّا أظهرَ تعالى اسمَ كلامهِ لم يظهره باسم الشيء فيُلحد الملحدون» صوابه ما في (ص١٠٨): «فلمَّا أظهرَ عَزَّوَجَلَّ اسمَ كلامهِ ولم يظهر باسم الشَّيء [ولم يجعل الشَّيء اسما من أسمائه] فيُلْحِد الملحدون».

في المطبوع (ص٣٦): «سمَّى كلامه بأسماء ظاهرة يعرف بها، فسمَّى كلامه نورًا وهُدًى، ولم يقُل: قل من أنزل الشَّيء» صوابه ما في (ص١٠٩): «سمَّى تعالى كلامه بأسماء ظاهرة يعرف بها [كما سمَّى نَفْسه بأسماء ظاهرة يعرف بها] فسمَّى كلامه نورًا وهُدًى [فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى﴾ [الأنعام: ٩١]، فأظهره باسم الكتاب والنُّور والهدى، ولم يظهره باسم الشَّيء] فيقُول: مَنْ أنزل الشَّيء».

في المطبوع (ص٣٦): «ورحمة، وحقًّا، وقرآنا» صوابه ما في

(ص١٠٩): «ورحمةً وحقًّا وقرآنًا [وفرقانا]».

في المطبوع (ص٣٧): «يعني الأمر الَّذِي كان به هذا الخلق» صوابه ما في (ص١١١): «يعني: الأمر الَّذِي كان به هذا الخَلْقَ [ويكون به الخلق خلقًا]».

في المطبوع (ص٣٩): «خلق الأشياء بكلامه» صوابه ما في (ص١١٤): «خلق الأشياء، [ولا يخلقها إلَّا] بكلامه».

في المطبوع (ص٣٩): «وقوله هو الحَقُّ» صوابه ما في (ص١١٥): «وقوله هو [أمره، وأمره هو قوله، وقوله] الحَقُّ».

في المطبوع (ص٤٠): «وهو واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ» صوابه ما في (ص١١٥): «وهو واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، [فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى واحد وله أسماء كثيرة]».

في المطبوع (ص٤٠): «﴿قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾» صوابه ما في (ص١١٦-١١٨): «﴿قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]. [فَقَالَ بِشْرٌ: وما يدرينا أيش الَّذِي قال من قبل.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: صدقت؛ إنَّكَ لا تدري أيش عَنَى الله وأراد بقوله، ولكِنَّني أدري ما عَنَى الله وما أراد.

فَقَالَ: اذكره حَتَّى نسمع.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، مَنْ لا يعقل عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما خاطب به نَبِيَّه ﷺ مِنَ القرآن ولا يدري ما في هذه السُّورة وهذه السُّورة، كيف يَدَّعِي العلمَ ويحتجُّ للمقالات والمذاهب ويدعوا النَّاس إلى البدع والضَّلالات.

فَقَالَ المَأْمُونُ: ارجع إلى ما كنت فيه يا عبدَ العزيزِ، فاشرحه.

فَقَالَ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين.

فَقَالَ بِشْرٌ: لا تخرج عَمَّا كنت فيه بالخُطَب؛ فإنِّي لا أدعك أن تخرج عنه؛ من أين علمت أنَّهُ عنى بهذا القرآن؟! وأيش القول الَّذِي قال قبل فأرادوا تبديله.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة التَّوبة: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨١ - ٨٣]. أليس هذا القرآن؟!

قَالَ بِشْرٌ: بلى.

قُلْتُ لَهُ: فحظر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بقوله النَّبِي ﷺ أن يخرج معه هؤلاء المُخَلَّفُون أبدًا وأن يقاتلوا معه عَدُوًّا فلَمَّا رَجَعَه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إليهم فاستأذنوه للخروج معه، بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ [الفتح: ١٥]، فأراد بالخروج معه تبديل كلام الله الَّذِي قاله في سورة التَّوبة: ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [التَّوبة: ٨٣] فأخبر الله عنهم بعلمه فيهم فقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح: ١٥]، إِنَّكُم ﴿ لَن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ فدلَّ هذا على أَنَّ القرآنَ كلامُه وأَنَّ كلامَه هو قولُه، وأنَّها اسْمَا شَيْءٍ وَاحِدٍ، وقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قد ذكر القرآن أنَّهُ الحقُّ] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾.

في المطبوع (ص٤١): «فهذا خبرُ الله عَنِ القرآن أنَّه الحقُّ»

صوابه ما في (ص١١٨): «فهذا خبرُ الله عَنِ القرآن أنَّه الحَقُّ [وقال فيه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كبِشْرٍ؛ ونعيذ بالله أميرَ المؤمنين من ذلك]».

في المطبوع (ص٤١): «فسمَّاه باسم الحَقِّ» صوابه ما في (ص١١٩): «فسمَّاه باسمِ الحَقِّ [وقَدِ اختصرته]».

في المطبوع (ص٤٢): «وأَنَّ أمره القرآن، وإِنَّ هذه أسماء شتَّى» صوابه ما في (ص١٢٠): «وأَنَّ أمرَه القرآنُ [فهذا إخبار لله تعالى وقوله وتعليمه لخلقه في كتابه، أَنَّ القرآنَ كلامُه، وأَنَّهُ الحَقُّ وأَنَّ الحَقَّ كلامُه، وأَنَّ الحَقَّ قولُه، وأَنَّ القرآنَ أمرُه، وأَنَّ أمرَه القرآنُ] وأَنَّ هذه أسماء شتَّى».

في المطبوع (ص٤٢): «وأظهر قبوله والرِّضا بقوله» صوابه ما في (ص١٢٠): «ويهذيَ بما لا أَعْقِلهُ ولا أَسْمَعُه [ولا أَفْهَمُه] ولا أَلْتَفِتُ إليه [ولا أَعْلَمُ مِمَّا قال شيئًا]».

في المطبوع (ص٤٢): «وأخرجه عن جملة أولي الألباب» صوابه ما في (ص١٢١): «وأخرجه من جملة [أهل العلم] أولي الألباب».

في المطبوع (ص٤٣): «وأظهر قبوله والرِّضا بقوله» صوابه ما في (ص١٢٢): «وأظهرَ قبولَه والرِّضا بقوله [وهذا ما يلزم أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- ويلزم الخَلْقَ كُلَّهُم]».

في المطبوع (ص٤٣): «بنصِّ التَّنزيل حتَّى يرجع أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله وكذبه وبطلان ما ادَّعاه» صوابه ما في (ص١٢٢): «بنصِّ التَّنزيل [وأدحض حجَّته] حتَّى يرجع [عن قوله] ويقف أمير المؤمنين على كسر قوله وكَذِبِهِ وإبطالِ ما ادَّعاه [واسْتَشْهَدَ به على ما قال]».

في المطبوع (ص٤٣): «فأخبرَ عنهم أنَّ مساكنهم كانت باقيةً بعد تدميرهم، ومساكنُهم أشياء كثيرة» صوابه ما في (ص١٢٣): «والمساكنُ شيءٌ فهذا خبر الله تعالى عن مساكنهم أنَّهَا كانت باقية بعد تدمير الرِّيح على ما مرَّت عليه، ومساكنهم أيضًا كانت باقية بعد تدميرهم».

في المطبوع (ص٤٦): «في كتابه مَلَكًا ولا نَبِيًّا ولا مؤمنًا» صوابه ما في (ص١٢٧): «في كتابه مَلَكًا [مُقَرَّبًا] ولا نَبِيًّا [مُرْسَلًا] ولا مؤمنًا [تقيًّا]».

في المطبوع (ص٤٦): «ولم يقل: لا يجهلون» صوابه ما في (ص١٢٨): «ولم يقل: لا يجهلون [ما يعقلون]».

في المطبوع (ص٤٨): «بهذه الأقلام من هذا الشَّجر» صوابه ما في (ص١٣٢): «بهذه الأقلام من هذا البحر».

في المطبوع (ص٤٩): ﴿تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] فقال بشر» صوابه ما في (ص١٣٢): ﴿تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، [وسئل ﷺ عن علم السَّاعة، فقال: علمها عند ربِّي، في خمس لا يعلمها إلَّا هو، وتلا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، فأخبر أنَّ هذه الخمس مِمَّا تفرَّد الله بعلمه، فلا يعلمها، فإذا كان النَّبِيُّ ﷺ لا يعلمها ولا يعلم إلَّا ما علَّمه، أيجوز لأحدٍ أن يتكلَّف علمه أو يدَّعي معرفته] فقال بشر».

في المطبوع (ص٤٩): «بمعصية الله تعالى وارتكاب نهيه» صوابه ما في (ص١٣٣): «بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ وارتكاب نهيه [ولست أعصي الله تعالى وأخالف أمره وأتبع نهيه وأُحِلُّ حرامه وأطيع الشَّيطان وأطيعك فيما أمرتماني به؛ إذ كنتما قَدِ اتَّفقتما على الأمر بمعصية الله تعالى]».

في المطبوع (ص٤٩): «﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩] وهذا أمر الشَّيطان» صوابه ما في (ص١٣٤): «﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩]، [فهذا تحريم الله ونهيه لنا أن نقول على الله ما لا نعلم] وهذا أمر الشَّيطان».

في المطبوع (ص٥٠): «سألني عن مسألةٍ لا أجد لها» صوابه ما في (ص١٣٥): «سألني عن مسألةٍ [محالٍ] لا أجد».

في المطبوع (ص٥٠): «ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ ذكرًا ولا علماً قد جهل السَّائل» صوابه ما في (ص١٣٥): «ولا في سُنَّة نبيِّه محمَّد ﷺ ذكرًا ولا علمًا، [فهذه ليس لها في كتاب الله تعالى أصل، ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ ذكرٌ] قد جهل السَّائل».

في المطبوع (ص٥٢): «وشهدت له الملائكة به، وتعبَّد الله» صوابه ما في (ص١٣٩): «وشهدت له به الملائكة، [بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: ١٦٦]، فأخبرنا الله تعالى عن علمه، وشهد به لنفسه وشهدت له به الملائكة] وتعبَّد الله».

في المطبوع (ص٥٢): «ستر الله علمها عن الملائكة» صوابه ما في (ص١٣٩): «ستر الله [تعالى] علمها عن ملائكته [ورسله]».

في المطبوع (ص٥٢): «ووضحَ لأمير المؤمنين ولسائر مَن بحضرته» صوابه ما في (ص١٤٠): «ووضحَ لأمير المؤمنين ولسائر مَنْ بحضرته [من أهل العلم وغيرهم]».

في المطبوع (ص٥٢): «أرجع إلى المسألة، وأدع العلم» صوابه ما في (ص١٤٠): «أرجع إلى [أوَّل] المسألة، وأدع [ذكر] العلم».

في المطبوع (ص٥٣): «وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى...» صوابه ما

في (ص١٤١): «وقال [له عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ...﴾».

في المطبوع (ص٥٤): «قد كسرت قوله بقوله، ودحضت حجَّته» صوابه ما في (ص١٤٢): «قد كسرت قوله [في هذه المسألة بالقول الأَوَّل والقول الثَّاني في باب العلم، وكسرت قوله] بقوله، ودحضت حُجَّته».

في المطبوع (ص٥٤): «﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] وقال عَزَّوَجَلَّ» صوابه ما في (ص١٤٣): «﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، [وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزُّخرف: ٣]]، وقال تعالى».

في المطبوع (ص٥٦): «﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فعقل المؤمنون» صوابه ما في (ص١٤٥): «﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، [فكان مخرج الخبر مخرج العموم ومعناه معنى الخصوص] فعقل المؤمنون».

في المطبوع (ص٥٦): «فلَمَّا أنزل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأربعة الأخبار» صوابه ما في (ص١٤٥): «فلَمَّا أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ [القرآن على] هذه الأربعة الأخبار».

في المطبوع (ص١٤٦): «قبل نزول العامِّ» صوابه ما في (ص١٠٨): «قبل نزول [العلم في] العامِّ».

في المطبوع (ص٥٩): «أمَّا خلافُ أصحاب محمَّد ﷺ» صوابه ما في (ص١٥٠): «وأمَّا خلافُ [إجماع] أصحاب محمَّدٍ ﷺ».

في المطبوع (ص٥٩): «والله لو اجتمعت الإنس والجِنُّ» صوابه ما في (ص١٥١): «[ووالله ثُمَّ] والله لو اجتمعت الإنس والجِنُّ».

في المطبوع (ص٥٩): «وهو يؤمن بهذا ويقول» صوابه ما في (ص١٥١): «وهو يؤمن بهذا [ويُقِرُّ به] ويقول».

في المطبوع (ص٦٠): «يا أمير المؤمنين هات نصَّ التَّنزيل الَّذِي قال يأتي به» صوابه ما في (ص١٥١): «يا أمير المؤمنين ذهب نصُّ التَّنزيل الَّذِي قال يأتي به».

في المطبوع (ص٦٠): «وأنت أعلم خلق الله بلغات قومه» صوابه ما في (ص١٥٢): «وأنْتَ أعلَمُ خلْقِ الله بلُغةِ قومك [ومعاني كلامهم]».

في المطبوع (ص٦٠): «فرَّخنَاك في أوَّل ما أردت فأين كلامك» صوابه ما في (ص١٥٢): «فَرَّخنَاكَ في أوَّل المجلس [وأطمعناك حَتَّى انبسطت في الكلام، وتوهَّمت أنَّك قد قدرت على ما أردت] فأين كلامك».

في المطبوع (ص٦١): «ويشهد علينا بما نقول ويطالب كُلَّ واحد مِنَّا» صوابه ما في (ص١٥٣): «ويشهد علينا بما نقول [مِنَ الكتاب والسُّنَّة فعل] ويطالب كُلَّ واحد مِنَّا».

في المطبوع (ص٦١): «أنا أفعل ذلك منذ اليوم» صوابه ما في (ص١٥٣): «أنا أفعل ذلك منذ اليوم [فتكلَّم بما تريد؛ فلن يدفع شيئًا مِمَّا يجري بينكما بالإنكار]».

في المطبوع (ص٦٢): «فأخبرني عَمَّن قال: إِنَّ بني آدم خلقوا الله، وأَنَّ الله أخبر بذلك. أمؤمن هو أم كافر» صوابه ما في (ص١٥٥): «فأخبرني عَمَّن قال: إِنَّ الله قال لبني آدم: لا يخلقون الله، وقال في موضع آخر: وقد خلقتم الله. أمؤمنٌ هو أم كافر».

في المطبوع (ص٦٣): «أيضا. قال عبد العزيز» صوابه ما في (ص١٥٨): «أيضًا. [قلت: أخبرني عَمَّن زعم أنَّ بعض بني آدم خلقوا لله أندادًا، أمؤمن هو أم كافر. قال: بل كافر حلال الدَّم. فقلت: وهكذا أقول أنا أيضًا] قال عبد العزيز».

في المطبوع (ص٦٣): «ووافقه على مذهبه، وعلمت إنِّي قد أخطأت» صوابه ما في (ص١٥٨): «ووافقه على مذهبه. [ثُمَّ ندمت على قولي: وكُلّ مَنْ قال بقوله ووافقه على مذهبه] وعلمت أنِّي قد أخطأت».

في المطبوع (ص٦٣): «ولا على أحدٍ ممن يقولُ بقوله» صوابه ما في (ص١٥٩): «ولا على أحدٍ مِمَّن يقولُ بقوله، [ولا لَفظ بهذا منذ اليوم ولا حفظته عليه]».

في المطبوع (ص٦٤): «﴿عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١] وقد خلقتم الله عليكم كفيلا» صوابه ما في (ص١٦٠): «﴿عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النَّحل: ٩١]، [فزعم بشر يا أمير المؤمنين أن معنى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾] وقد خلقتم الله عليكم كفيلًا».

في المطبوع (ص٦٤): «وإنَّه ومَنْ قال بقوله ومن خالفه وسائر العرب» صوابه ما في (ص١٦٠): «وإنَّه ومَنْ قال بقوله [فهو كافرٌ حلال الدَّمِ] ومَنْ خالفه وسائر العرب».

في المطبوع (ص٦٤): «﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم» صوابه ما في (ص١٦٠): «﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، [فزعم بِشْرٌ: أَنَّ معنى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾] ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم».

في المطبوع (ص٦٤): «فهو كافرٌ حلال الدَّم بإجماع الأُمَّة» صوابه ما في (ص١٦٠): «فهو كافر حلال الدم، [وقد صدق في قوله الأخير، وكذب في قوله الأوَّل، ومَنْ قال هذا فهو كافر حلال الدَّمِ] بإجماع الأمَّة».

في المطبوع (ص٦٤): «فهو كافر حلال الدَّمِ بإجماع الأُمَّة» صوابه

ما في (ص١٦١): «فهو كافر حلال الدَّم، [وقد كذب في قوله الأوَّل، وصدق في قوله: أنَّهُ مَنْ قال هذا فهو كافر حلال الدَّمِ] بإجماع الأُمَّة».

في المطبوع (ص٦٥): «﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] وخلقوا له شركاء الجِنَّ» صوابه ما في (ص١٦١): «﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ [وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، فزعم بِشْرٌ: أنَّ معنى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾] وخلقوا لله شركاء الجِنَّ».

في المطبوع (ص٦٥): «﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] لا معنى له عنده» صوابه ما في (ص١٦٢): «﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، [فزعم بِشْرٌ: أنَّ معنى ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾، خلقا له شركاء] لا معنى له عنده».

في المطبوع (ص٦٦): «بما قد حصل في يدي» صوابه ما في (ص١٦٣): «بما حصل في صدري».

في المطبوع (ص٦٧): «ومَنْ قال بقوله فقال» صوابه ما في (ص١٦٤): «ومَنْ قال بقوله [ووافقه على مذهبه] فقال».

في المطبوع (ص٦٧): «وأفضحُ به مذهبه، وأبطِلُ به اعتقاده» صوابه ما في (ص١٦٤): «وأفضحُ به مذهبه، وأُبْطِلُ به اعتقاده [فقد ادَّعى على العرب وغيرها من سائر الخلق موافقته على قوله أنَّ الجعل والخلق عندهم سواء لا فرق بينهما]».

في المطبوع (ص٦٧): «فزعمَ بشرٌ يا أمير المؤمنين أن الله قال» صوابه ما في (ص١٦٥): «فزعمَ بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين-: [أنَّ معنى «ولا تجعل» في هذين الموضعين] أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال».

في المطبوع (ص٦٧): «وما أقبح هذا القول وأشنعه وأبين كسره» صوابه ما في (ص١٦٥): «وما أقبح هذا القول وأشنعه [من قائله، وقال

تعالى في قِصَّة موسى وفرعون، وقول فرعون له: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشُّعراء: ٢٩]، فزعم بِشْرٌ: أَنَّ فرعون قال لموسى وهو نَبِيٌّ مبعوث إليه: لأخلقنك، فما أقبح هذا وأشنعه] وأبين كسره».

في المطبوع (ص٦٨): «وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾. وزعم بشرٌ» صوابه ما في (ص١٦٦): «وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥]. [فوعد أن يجعلهم بعد خلقهم وبعد أن استضعفوا في الأرض] فزعم بشرٌ».

في المطبوع (ص٦٨): «ما لا يعقله العرب ولا العجم» صوابه ما في (ص١٦٦): «ما لا يعقله العرب ولا العَجَم [فما أقبح هذا من قول]».

في المطبوع (ص٦٨): «قال لداود: إِنَّا جعلناك خليفة في الأرض» صوابه ما في (ص١٦٦): «قال لداود: إِنَّا خلقناك خليفةً في الأرض».

في المطبوع (ص٦٨): «وما أراده الله عَزَّوَجَلَّ بقوله في ذلك» صوابه ما في (ص١٦٧): «ومعنى ما أراد الله تعالى بقوله في ذلك».

في المطبوع (ص٦٩): «على معنى التَّصيير» صوابه ما في (ص١٦٨): «على معنى التَّصيير [الَّذي هو غير خلق]».

في المطبوع (ص٦٩): «لا يدري المخاطب (به) حَتَّى تصل الكلمة» صوابه ما في (ص١٦٩): «لا يدري المخاطَب [ما أراد المخاطِب] حَتَّى يصل الكلمة».

في المطبوع (ص٧٣): «وجعلَهُم من الخاسرين، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾» صوابه ما في (ص١٧٣): «وجعلَهُم مِنَ الخاسرين، [فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرَّعد: ٢٥]. يعني: النَّار] وقال تعالى [في موضع آخر] ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾».

في المطبوع (ص٧٤): «ومذهبها في كلامها» صوابه ما في (ص١٧٥): «ومذهبها وكلامها. [فقلت: وما تنفعني البيِّنة وأنت جاحد]».

في المطبوع (ص٧٤): «يشهد عليَّ بكذبي وتزييدي وهو في حِلٍّ وسعة من دمي» صوابه ما في (ص١٧٦): «يشهد على تكذيبي وتزييدي، [وهو أعلم خلق الله تعالى باللُّغَة] وهو في حِلٍّ وسعةٍ من دمي».

في المطبوع (ص٧٥): «أن يقولوا ما لا يعلمون، فقال عَزَّوَجَلَّ» صوابه ما في (ص١٧٧): «أن يقولوا [على الله] ما لا يعلمون، [أو يتكلَّفوا ما لا يعلمون] فقال تعالى».

في المطبوع (ص٧٥): ﴿تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] يذمُّهم الله بهذا الخبر» صوابه ما في (ص١٧٧): ﴿تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ [وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، فأخبر تعالى أنَّ مَنْ في قلبه زيغ يتَّبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إِلَّا الله] فذمَّهم الله تعالى بهذا الخبر».

في المطبوع (ص٧٧): «فقلت له: تكلَّم بما شئت حَتَّى أجيبك» صوابه ما في (ص١٨٠): «فقلت له: [يا بشر بعد نداء القرآن تهدَّم كُلَّ ما أسَّسْت وصاخه في سمعه، وتكذب ما زخرفت وتشير إلى الكلام؛ فإن كنت لا تستحيي من أمير المؤمنين وقد وقف من ذلك على ما قلته، أَفَلا تستحيي مِنَ اللهِ تعالى وقد أثبت كفركَ بكتابه وبكلامه، أورد -يا بِشْرُ- ما شئت فعليَّ الإصدار و] تكلَّم بما شئت فإِنِّي مُجيبك».

في المطبوع (ص٧٧): «ولو فهمت ما قلت ما قلت، وأقبلت على المأمون» صوابه ما في (ص١٨١): «ولو فهمت ما قلت ما قلت [ولأقنعك بعضه] ثُمَّ أقبلت على المأمون».

في المطبوع (ص٧٨): «ما في القرآن مِنَ التَّهليل فعلى هذا المعنى» صوابه ما في (ص١٨٣): «ما في القرآن مِنَ التَّهليل [وهو في أربعين موضعًا] فعلى هذا المعنى».

في المطبوع (ص٧٩): «﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨] فمَنْ قال: إنَّ الله» صوابه ما في (ص١٨٤): «﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]، [ومثله في القرآن كثير جدًّا] فمَنْ قال: إنَّ الله».

في المطبوع (ص٨٠): «وكان فصَّل ما قد فصل الله عَزَّوَجَلَّ» صوابه ما في (ص١٨٥): «وكان قد فصل ما فصل اللهُ [ولم يصل ما فصَّل الله تعالى]».

في المطبوع (ص٨٠): «يجدونه في التَّأويل وهذا لا يقبل» صوابه ما في (ص١٨٦): «يجدونه في التَّأويل [والتَّفسير] وهذا لا يقبل».

في المطبوع (ص٨٠): «كل ما يتكلَّم به النَّاس من علم دينهم» صوابه ما في (ص١٨٦): «كُلُّ ما يتكلَّم النَّاس فيه [مِمَّا يحتاجون إليه] من علم أديانهم».

في المطبوع (ص٨٠): «مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٤ - ١٤٥] فليس من شيءٍ يحتاج إليه يا أمير المؤمنين» صوابه ما في (ص١٨٧): «مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٤ - ١٤٥]، [فأخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَّهُ ما فرَّط في الكتاب من شيء، يعني: القرآن، وأخبر: أَنَّهُ كتب في الألواح لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من كُلِّ شيءٍ] فليس من شيءٍ يحتاج [النَّاس] إليه يا أمير المؤمنين».

في المطبوع (ص٨١): «نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧٢] وقال» صوابه ما في (ص١٨٨): «نَحْنُ ٱلْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧٢] [وذكر الإنسان] فقال».

في المطبوع (ص٨١): «لهذا مجلس تناظرون فيه» صوابه ما في (ص١٨٩): «لهذا مجلس [بعد هذا] تتناظرون فيه».

في المطبوع (ص٨٢): «هذا شرٌّ من مطالبته بالتَّنزيل» صوابه ما في (ص١٩١): «هذا أشدُّ من مطالبته [لي بنصِّ] التَّنزيل».

في المطبوع (ص٨٣): «أو خلقه قائمًا بذاته» صوابه ما في (ص١٩١): «أو خلقه قائمًا بذاته [ونفسه]».

في المطبوع (ص٨٣): «ويجعل قول الكفر والفُحش» صوابه ما في (ص١٩١): «ويجعل قول [الزُّور كلامًا لله، ويجعل] الفحش والكفر».

في المطبوع (ص٨٣): «لظهور الشَّناعة والفضيحة على قائله» صوابه ما في (ص١٩١): «لظهور الشَّناعة والفضيحة [والكفر] على قائله».

في المطبوع (ص٨٣): «استحال من هذه الجهات» صوابه ما في (ص١٩٢): «استحال من هذه الجهات [الثَّلاث]».

في المطبوع (ص٨٤): «إِنَّهُ لم يزل فاعلًا يفعل» صوابه ما في (ص١٩٣): «أنَّهُ لم يزل [الخالق يخلق ولم يزل] الفاعل يفعل».

في المطبوع (ص٨٤): «ومريد وقول وقائل ومقال وقدرة وقادر» صوابه ما في (ص١٩٤): «ومريد [ومراد] وقول وقائل ومُقَالٌ [له] وقدرة وقادر».

في المطبوع (ص٨٤): «فليس هو مِنَ الخلق في شيء، وكسرت واللهِ يا أمير المؤمنين» صوابه ما في (ص١٩٤): «فليس هو مِنَ الخلق في شيء. [قال عبد العزيز: ثُمَّ قلت: يا بِشْرُ، مَنِ ادَّعى العلم ولم يَحْوِهِ فحظُّه منه الجهل] كسرت واللهِ يا أمير المؤمنين».

في المطبوع (ص٨٤): «فقال: هاته يا عبد العزيز وأَوجِزْ» صوابه

ما في (ص١٩٤): «فقال المأمون: هَاتِ [ما عندك] يا عبد العزيز [في القياس] وأوجِزْ».

في المطبوع (ص٨٥): «فقال: بشر المفرِّط» صوابه ما في (ص١٩٥): «فقال [المأمون]: بِشْرٌ [واللهِ هو] المفرِّط».

في المطبوع (ص٨٥): «في ثمانية عشر موضعًا» صوابه ما في (ص١٩٦): «في ثمانية عشر موضعًا [من كتابه]».

في المطبوع (ص٨٥): «ففرَّق بين القرآن وبين الإنسان» صوابه ما في (ص١٩٦): «ففرَّق تعالى بين القرآن والإنسان [في موضع واحد]».

في المطبوع (ص٨٦): «كلَّما سكت بشرٌ وانقطع يحرِّضه على الكلام» صوابه ما في (ص١٩٧): «كلَّما سكت بِشْرٌ وانقطع يحرِّضه [ويحضُّه] على الكلام».

في المطبوع (ص٨٧): «هذا شيء أخبرنا به في كتابه» صوابه ما في (ص٢٠٠): «هذا شيءٌ أخبرنا [الله تعالى] به في [غير آية في] كتابه».

في المطبوع (ص٨٧): «في قولهم هذا، وهذا ما لم يكن ولا يكون» صوابه ما في (ص٢٠٠): «في قولهم هذا، [فأخبر الله تعالى عنهم: أنَّهم لو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه، وإنَّهم لكاذبون في قولهم هذا، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣]، فأخبر الله تعالى: أنَّهُ لو أسمَعَهُم لتولَّوا وهُم مُعرضون، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٥]، فأخبر الله تعالى: أنَّهُ لو رحمهم وكشف ما بهم مِنَ الضُّرِّ للجُّوا في طغيانهم يعمهون، وقال تعالى:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥]، فأخبر تعالى: أنَّهُ لو فتح لهم بابا مِنَ السَّماء فعرجوا فيه، لقالوا: إِنَّمَا سُكِّرَت أبصارنا]، فهذا [يا أمير المؤمنين] ما لم يكن ولا يكون».

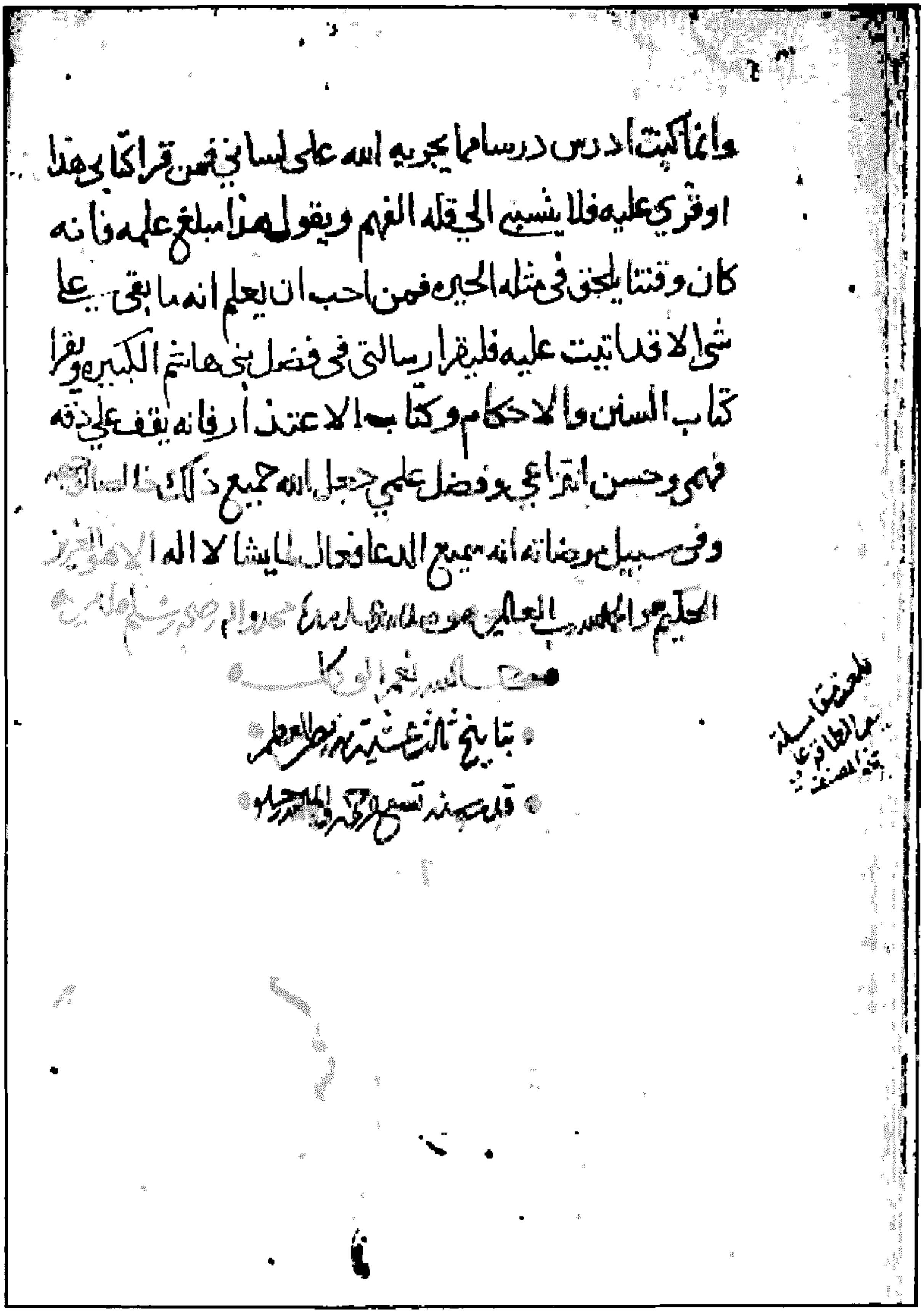
في المطبوع (ص٨٧): «ولن يردوا أبدًا، فهذا ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون» صوابه ما في (ص٢٠٠): «ولن يردوا أبدًا، [ولا يرحمون أبدًا، ولا يسمعهم أبدًا، ولا يفتح لهم بابا إلى السَّماء أبدًا] فهذا [يا أمير المؤمنين] ما لم يكن ولا يكون، [فأخبر تعالى]: أنْ لو كان كيف [كان] يكون».

❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

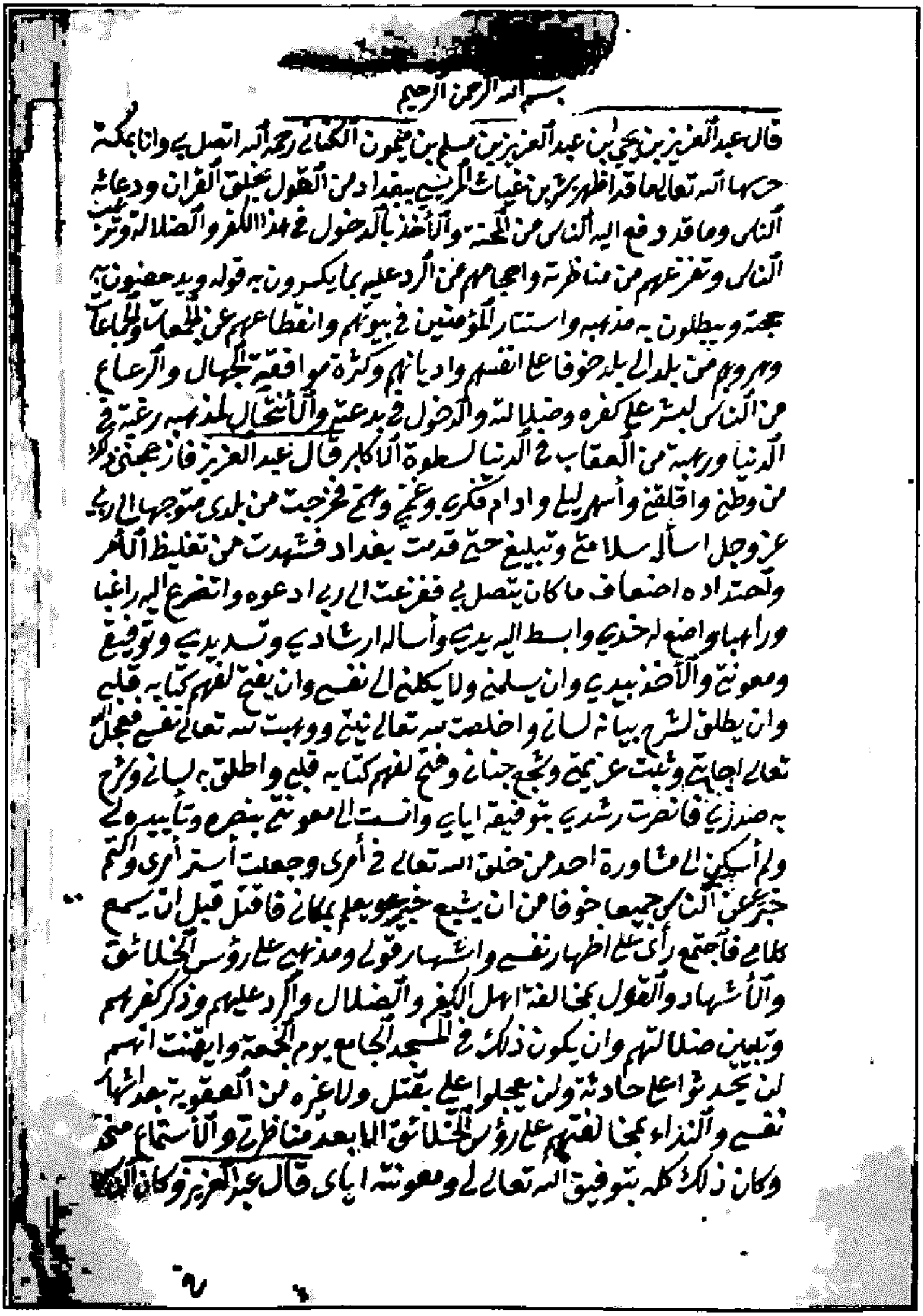
ذكر ما جرى بين عبد العزيز بن يحيى الكناني وبشر بن
غياث المريسي بين يدي امير المومنين المامون اخبرنا ابو
علي المعروف بابن السرنجي الشمسار في درب الزعفران
ببغداد وله الشيخ ابو الحسين محمد بن علي بن مخلف الناسخ قال
انا محمد بن الرزاز قال ثنا ابو عثمان احمد بن عبد الله بن يزيد
الدقاق المعروف بابن السماك قال ثنا ابو بكر بن الحسين
بن ازهر بن حبير القطايعي قال ثنا ابو عبد الله العكلي عن ابي
محمد بن فرقد قال حدثني ابو محمد بقصة هذا الكتاب من اوله
الى اخره قال عبد العزيز بن يحيى الكناني اتصل بي وانا بمكة
ما قد اظهر بشر ببغداد من القول بخلق القران ودعايه
الناس الى موافقته على قوله وتشبيهه على امير المومنين الملك
وعامة الناس وما قد وقع اليه الناس من المحنة والدخول
في هذا الكفر وترهيب الناس عن مناظرته واحجامهم عن الرد
عليه بما يكسرون به قوله ويدحضون به حجته ويبطلون مذهبه
وانقطاعهم عن الجمعات والجماعات وهربهم من بلد الى
بلد خوفا على اديانهم وكثرة موافقة الجهال والرعاع من الناس

الورقة الأولى من نسخة (ي)


وانما كنت ادرس درسا مما يجريه الله على لساني فمن قرا كتابي هذا
او قرئ عليه فلا ينسبني الى قلة الفهم ويقول هذا مبلغ علمه فانه
كان وقتا يليق في مثله الحيد فمن احب ان يعلم انه ما بقي على
شيء الا قد اتيت عليه فليقرا رسالتي في فضل بني هاشم الكبيرة ويقرا
كتاب السنن والاحكام وكتاب الاعتذار فانه يقف على دقة
فهمي وحسن اختراعي وفضل علمي جعل الله جميع ذلك خالصا لوجهه
وفي سبيل مرضاته انه سميع الدعا فعال لما يشا لا اله الا هو العزيز
الحكيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
تم [illegible]
بتاريخ [illegible] المعظم
في سنة [illegible]

بلغ مقابلة [illegible] المصنف

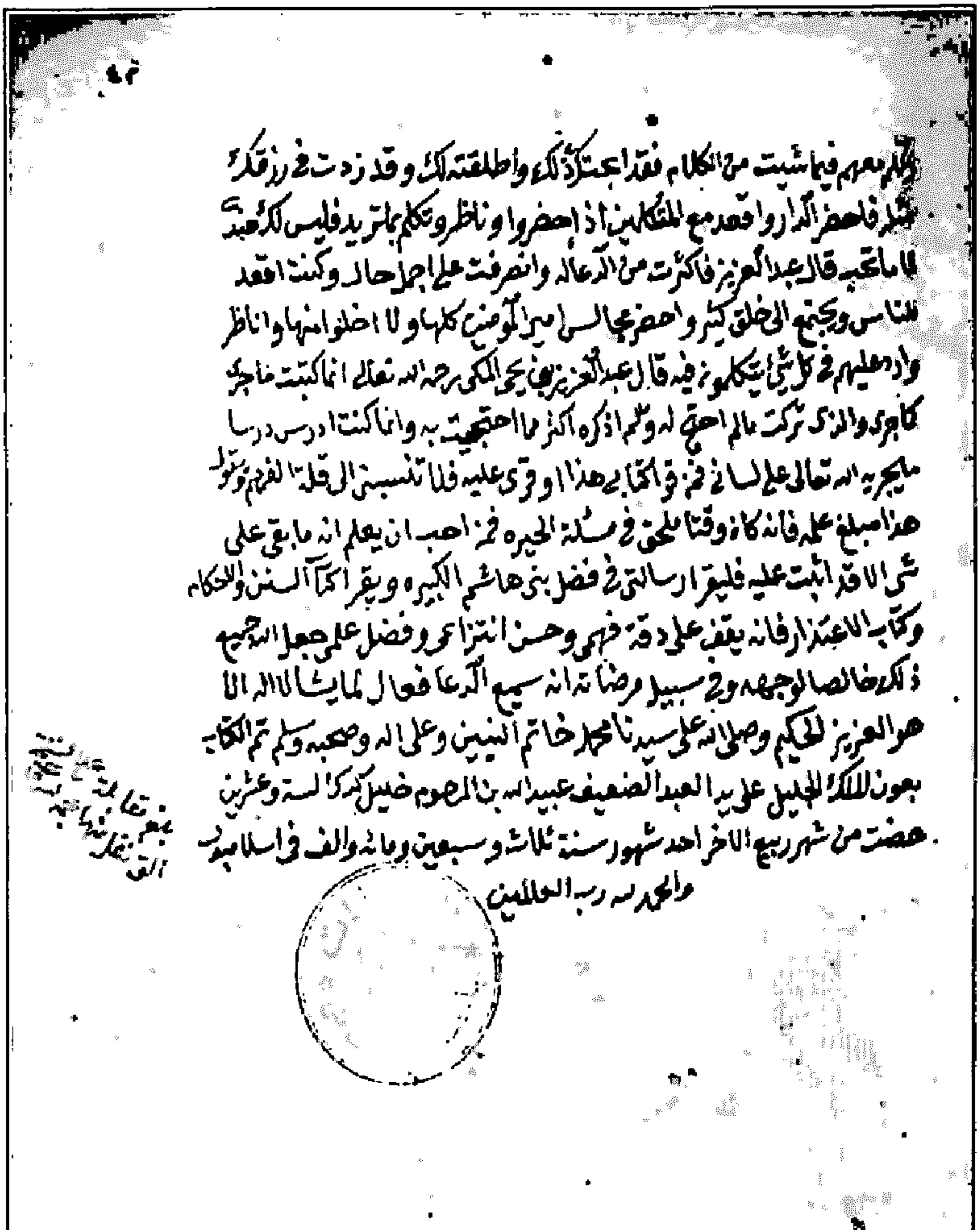
الورقة الأخيرة من نسخة (ي)



بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني رحمه الله اتصل بي وانا بمكة
حرسها الله تعالى ما قد اظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد من القول بخلق القران ودعائه
الناس وما قد دفع اليه الناس من المحنة والاخذ بالدخول في هذا الكفر والضلالة وترهيب
الناس وتغريبهم من مناظرته واحجامهم عن الرد عليه بما يكسرون به قوله ويدحضون به
حجته ويبطلون به مذهبه واستتار المؤمنين في بيوتهم وانقطاعهم عن الجمعات والجماعات
وهربهم من بلد الى بلد خوفا على انفسهم واديانهم وكثرة موافقة الجهال والرعاع
من الناس لبشر على كفره وضلالته والدخول في بدعته والانتحال لمذهبه رغبة في
الدنيا ورهبة من العقاب في الدنيا لسطوة الاكابر قال عبد العزيز فازعجني ذلك
من وطني واقلقني واسهر ليلي وادام فكري وغمي وانا خرجت من بلدي متوجها الى ربي
عز وجل اساله سلامتي وتبليغي حتى قدمت بغداد فشهدت من تغليظ الامر
واشتداده اضعاف ما كان يتصل بي ففزعت الى ربي ادعوه واتضرع اليه راغبا
وراهبا واضع له خدي وابسط اليه يدي واساله ارشادي وتسديدي وتوفيقي
ومعونتي والاخذ بيدي وان يسلمني ولا يكلني الى نفسي وان يفتح لفهم كتابه قلبي
وان يطلق لشرح بيانه لساني واخلصت لله تعالى نيتي ووهبت لله تعالى نفسي فعجل الله
تعالى اجابتي وثبت عزيمتي وشجع جناني وفتح لفهم كتابه قلبي واطلق به لساني وشرح
به صدري فابصرت رشدي بتوفيقه اياي وانست الى معونته بنصره وتاييده لي
ولم استكن لمشاورة احد من خلق الله تعالى في امري وجعلت استر امري واكتم
خبري عن الناس جميعا خوفا من ان يشيع خبري ويعلم بمكاني فاقتل قبل ان يسمع
كلامي فاجتمع رايي على اظهار نفسي واشهار قولي ومذهبي على رؤس الخلائق
والاشهاد والقول بمخالفة اهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم
وتبيين ضلالتهم وان يكون ذلك في المسجد الجامع يوم الجمعة وايقنت انهم
لن يحدثوا علي حادثة ولن يعجلوا علي بقتل ولا غيره من العقوبة بعد اشهار
نفسي والنداء بمخالفتهم على رؤس الخلائق الا بعد مناظرتي والاستماع مني
وكان ذلك كله بتوفيق الله تعالى لي ومعونته اياي قال عبد العزيز وكان الكلام

الورقة الأولى من نسخة (أ)


وتكلم معهم فيما شئت من الكلام فقد اجتزت ذلك واطلقته لك وقد زدت في رزقك
فأحضر الدار واقعد مع المتكلمين اذا احضروا وناظر وتكلم بما تريد فليس لك عندنا
الا ما تحب. قال عبد العزيز فاكثرت من الدعاء وانصرفت على اجمل حال وكنت اقعد
للناس ويجتمع الي الخلق كثير واحضر مجالس ميز الموضع كلها ولا اخلو منها واناظر
وارد عليهم في كل شي يتكلمون فيه قال عبد العزيز بن يحيى المكي رحمه الله تعالى انما كتبت ما جرى
كما جرى والذي تركت مالم احتج له ولم اذكره اكثر مما احتججت به وانما كنت ادرس درسا
ما يجريه الله تعالى على لساني فمن قرا كتابي هذا او قري عليه فلا تنسبني الى قلة الفهم ويقول
هذا مبلغ علمه فانه كان وقتا يلحق في مسئلة الحيرة فمن احب ان يعلم انه ما بقي على
شي الا قد اثبت عليه فليقرا رسالتي في فضل بني هاشم الكبيرة ويقرا كتاب السنن والاحكام
وكتاب الاعتذار فانه يقف على دقة فهمي وحسن انتزاعي وفضل علمي جعل الله جميع
ذلك خالصا لوجهه وفي سبيل رضاته انه سميع الدعا فعال لما يشا لا اله الا
هو العزيز الحكيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه وسلم تم الكتاب
بعون الملك الجليل على يد العبد الضعيف عبيد الله بن المرحوم خليل كردي لستة وعشرين
مضت من شهر ربيع الاخر احد شهور سنة ثلاث وسبعين ومائة والف من الهجرة
والحمد لله رب العالمين

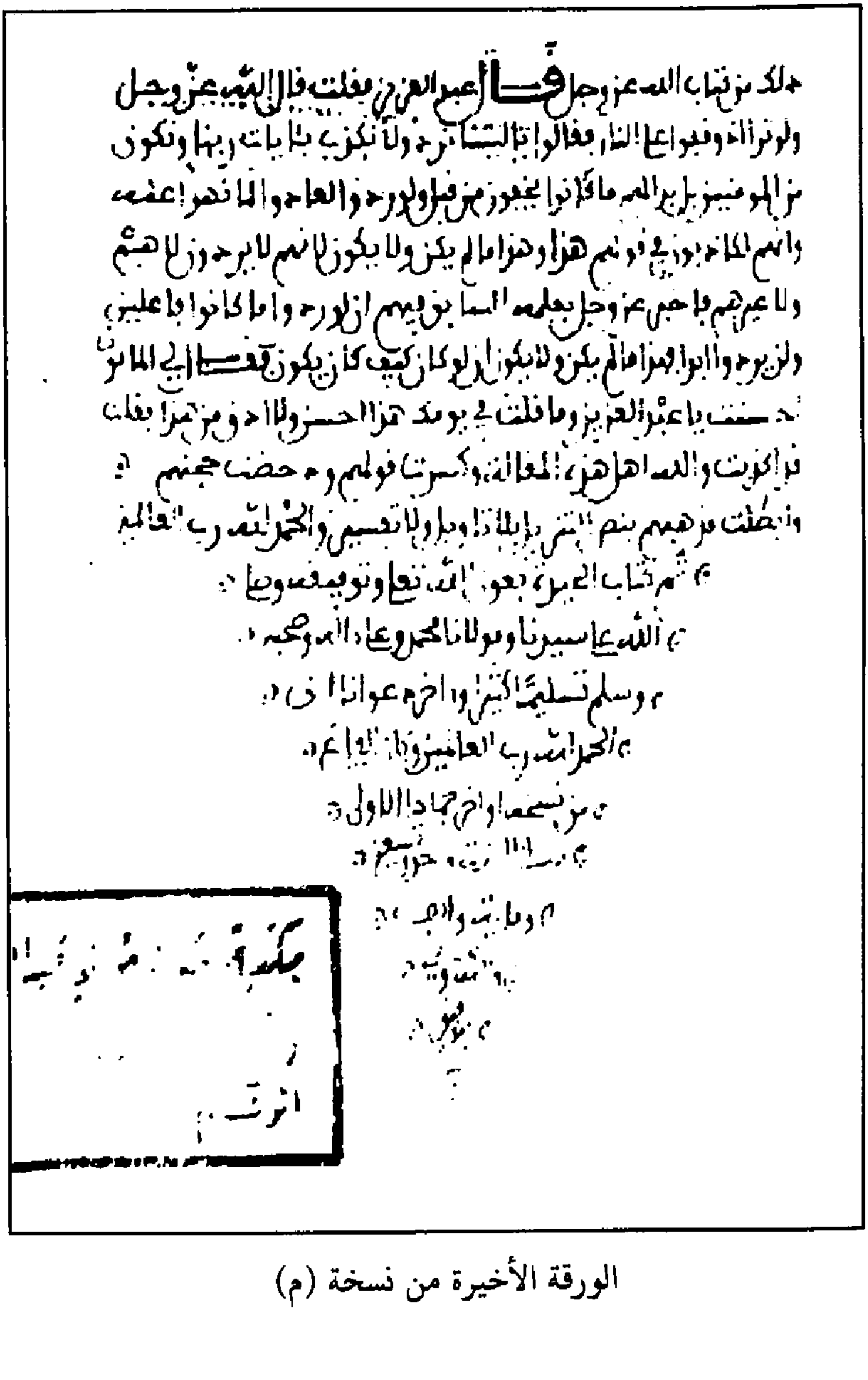
الورقة الأخيرة من نسخة (أ)



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

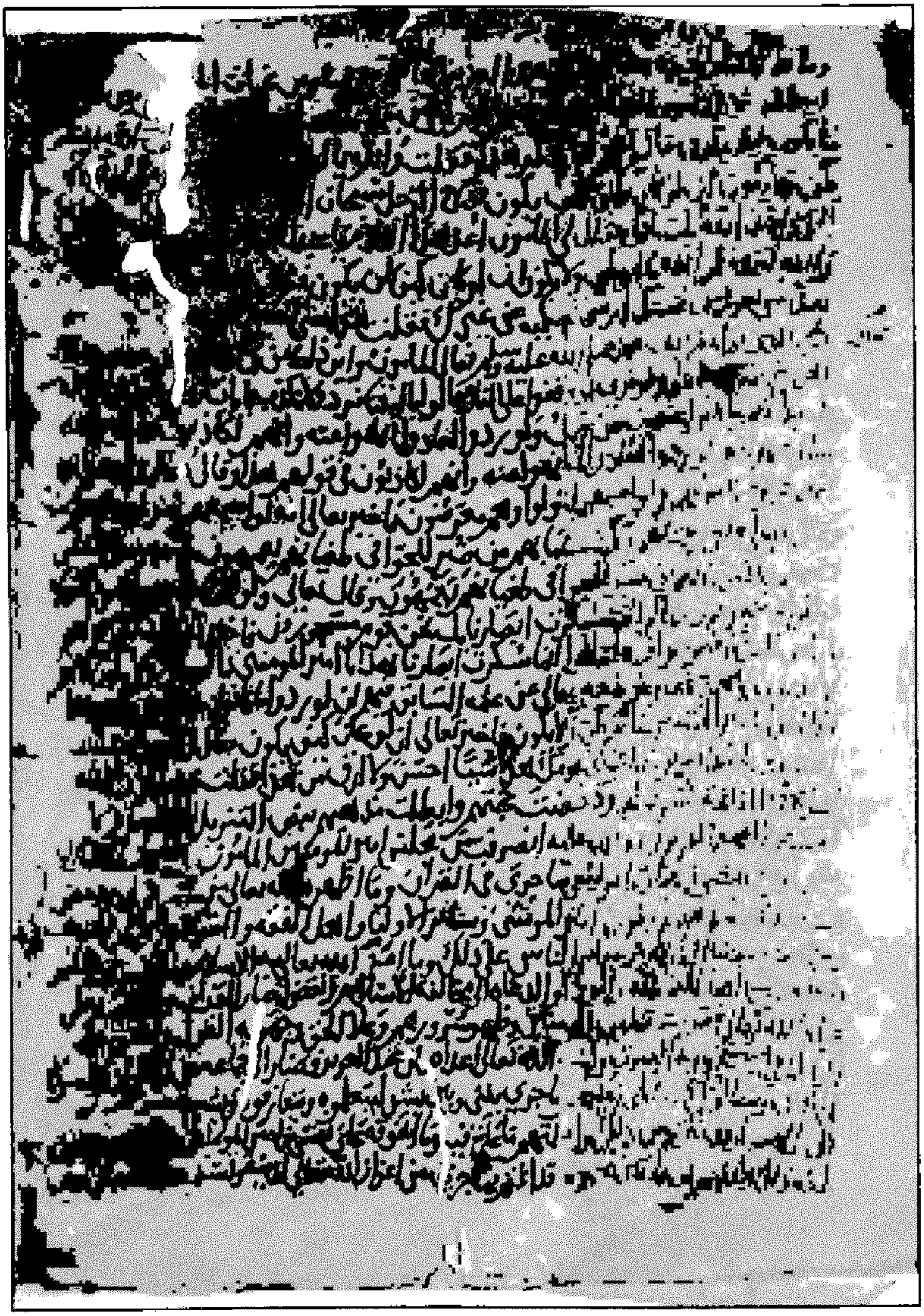
ذكر ما جرى بين عبد العزيز بن يحيى رحمه الله وبين بشر المريسي

الورقة الأولى من نسخة (م)

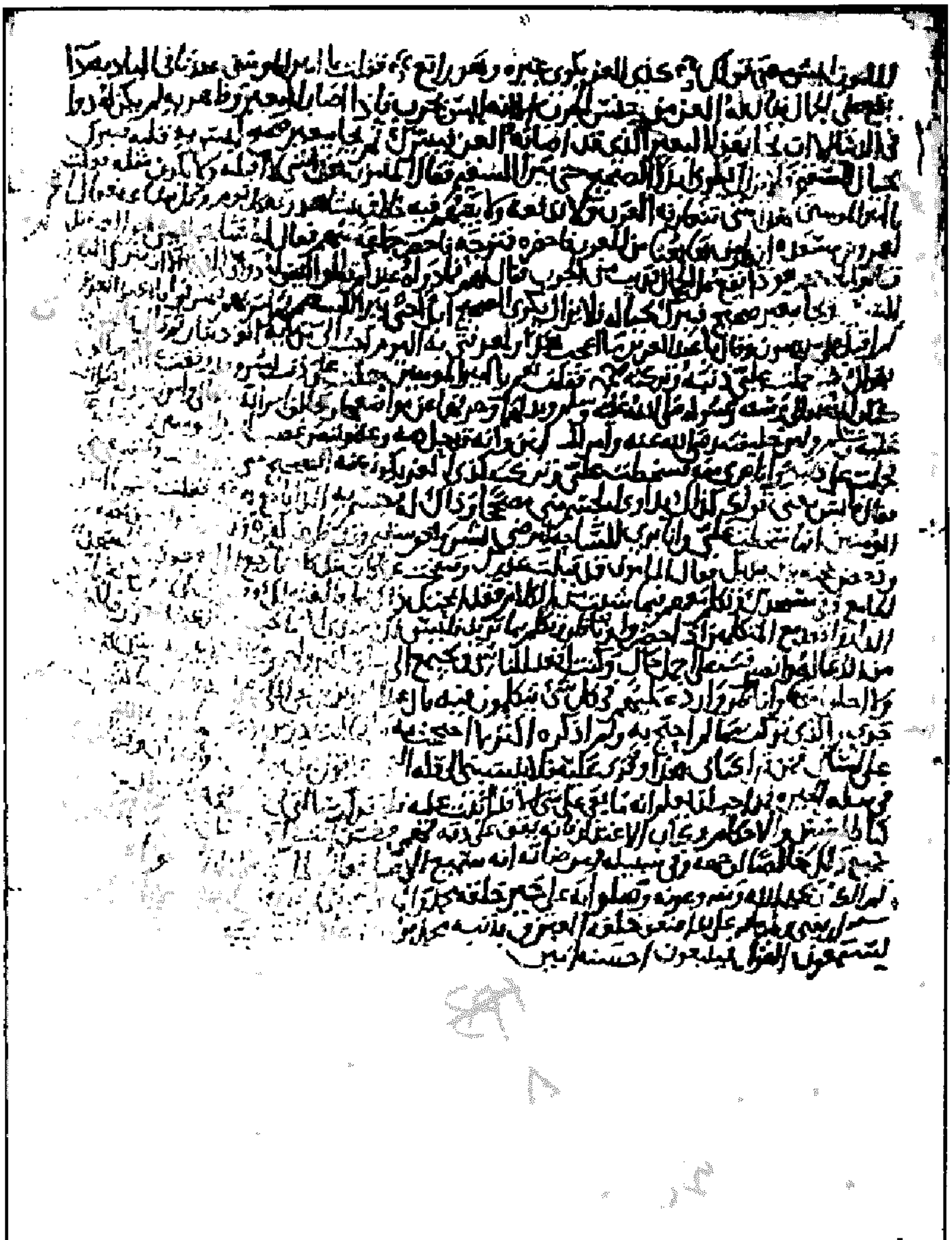


ملك من كتاب الله عز وجل فقال عبد العزيز فقلت قال الله عز وجل
ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وإنهم لكاذبون في قولهم هذا وهذا ما لم يكن ولا يكون لأنهم لا يردون لا هم
ولا غيرهم فأخبر عز وجل بعلمه السابق فيهم أن لو ردوا وما كانوا بعائدين
ولن يردوا وأبدا وهذا ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف كان يكون فقال المأمون
أحسنت يا عبد العزيز وما قلت في يومك هذا أحسن ولا أحق من هذا فقال
...
وانقطعت ... والحمد لله رب العالمين
تم كتاب الحيدة بعون الله تعالى وتوفيقه وصلى
الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين ...
من نسخه أواخر جمادى الأولى
سنة [illegible]

الورقة الأخيرة من نسخة (م)



الورقة الأولى من نسخة (ق)



الورقة الأخيرة من نسخة (ق)

النص الكامل لكتاب

الحيدة والاعتذار

في الرد على من قال بخلق القرآن

للإمام عبد العزيز الكناني

المتوفى سنة ٢٤٠ هـ رحمه الله تعالى

تقديم

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء

فضيلة الشيخ خالد بن علي بن عبد العزيز العرجج

مدير الإدارة العامة للإفتاء

فضيلة الشيخ عبد القادر بن محمد عطا صوفي

أستاذ الدراسات العليا بقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن حامد آل ثابت

أستاذ الفقه وأصوله في كلية جبرة العامية

تحقيق

أبي عبد الرحمن الأثري

نضال بن عبد الكريم بن موسى آغا البرازي

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ..

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ..

ذكر ما جرى بين عبدِ العزيز بن يحيى الكِنَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وبين بِشْرِ بن غِيَاث المَرِيسِيِّ بين يدي أمِيرِ المؤمنين المأمون:

قرأت على أبي عمر أحمد بن خالد، في ربيع الآخر عام اثنين وخمسين وثلاثمائة، حدَّثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن السَّمَّاك، قال: ثنا أبو بكر محمَّد بن الحسن بن أزهر بن جبير[1] القَطَايعيُّ، قال: حدَّثني أبو عبد الله العبَّاس بن محمَّد بن فرقد، قال: حدَّثني أبي؛ محمَّد بن فرقد بهذا الكتاب من أوَّلِه إلى آخره، قال: قال عبدُ العزيزِ بن مسلمِ الكِنَانيُّ[2]:

---

(١) في (أ): «حسين»، وهو تصحيف. انظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٥٩١).

(٢) في (ي): «أخبرنا أبو عليٍّ؛ المعروف بابن السريحي السِّمسار، في درب الزَّعفران ببغداد، والشَّيخ أبو الحسين محمَّد بن عليِّ بن مخلف النَّاسخ، قال: أنا محمَّد بن الرَّزَّاز، قال: ثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد الدَّقاق؛ المعروف بابن السَّمَّاك، قال: ثنا أبو بكر بن الحسن بن أزهر بن جبير القطائعي، قال: ثنا أبو عبد الله العبَّاس، عن أبي محمَّد بن فرقد، قال: حدَّثني أبي محمَّد بقصَّة هذا الكتاب من أوَّله إلى آخره، قال =

اتَّصل بي وأنا بمكَّة -حرسها الله- ما قد أظهرَ بِشْرُ بْنُ غِيَاثٍ المَرِيسِيُّ ببغداد مِنَ القولِ بخلق القرآن، ودعائِهِ النَّاسَ إلى موافقته على قوله ومذهبه، وتشبيههِ على أمير المؤمنين المأمون، وعامَّة النَّاس، وما قد دفع إليه النَّاسَ مِنَ المِحْنَةِ، والأخذِ بالدُّخول في هذا الكفر والضَّلالة، وترهيب النَّاس، وتفزُّعهِم من مناظرته، وإحجامهم عَنِ الرَّدِّ عليه -بما يكسرون به قولَه، ويدحضون به حُجَّته، ويُبْطِلُون به مَذْهَبه- واستتارِ المؤمنين في بيوتهم، وانقطاعهم عَنِ الجُمُعَات والجَمَاعَات، وهُرُوبِهِمْ[١] من بلدٍ إلى بلدٍ؛ خوفًا على أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجُهَّال والرَّعَاع مِنَ النَّاس لبِشْرٍ على مذهبه وكفره وضلالته، والدُّخولِ في بدعته، والانتحالِ لمذهبه؛ رغبةً في الدُّنْيَا، ورَهْبَةً مِنَ العِقَابِ في الدُّنيا بسطوة الأكابر[٢].

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى: فأزعجَني ذلك عن وطني، وأقلقَني وأسهر ليلي، وأطالَ فِكْري وغمِّي وهمِّي[٣]، فخرجتُ من بلدي متوجِّهًا إلى ربِّي عَزَّ وَجَلَّ، أسأله سلامتي، وتبليغي أملي، حتَّى قَدِمْتُ بغدادَ، فشهدتُ من تغليظ الأمر[٤] واحتدادهِ أضعافَ ما كان يتَّصل بي، ففزعتُ إلى ربِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى أدعوه وأتضرَّع إليه، راغبًا وراهبًا؛ واضعًا

= عبد العزيز بن يحيى الكنانيُّ».
وفي (أ): «قال عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكِنَانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ».

(١) في (ي): «وهزيمتهم».
(٢) في (م): «ورهبة من العقاب بسطوة الأكابر». والسَّطْوُ: هو القهر بالبطش.
(٣) في (ي): «وأدام فكري وهمِّي».
(٤) في (ي): «فشاهدتُ من غلظ الأمر».

له خدِّي، وأبسطُ إليه يدي[١]، وأسأله إرشادي وتسديدي وتوفيقي ومعونتي[٢]، والأخذَ بيدي، وأن يُسلِّمني ولا يكِلَني إلى نَفسِي، وأنْ يفتحَ لفَهْمِ كتابه قلبي، ويُطلق به لساني، ويشرح ببيانه صدري[٣].

وأخلصتُ لله نيَّتي، ووهبتُ لله تعالى نفسي، فعجَّل الله تعالى إجابتي، وثبَّت عزيمتي[٤]، وشجَّع جَنَانِي، وفتح لفهم كتابه قلبي، وأطلق به لساني، وشرح به صدري، فأبصرتُ رشدي بتوفيقه إيَّاي، وأنِسْتُ إلى معونته بنصره وتأييده لي، ولم أسكن إلى مشاورة أحدٍ من خلق الله تعالى في أمري، وجعلتُ أستر أمري، وأكْتُمُ خبري عَنِ النَّاس جميعًا، خوفًا من أن يَشيع خبري، ويُعلَم بمكاني[٥]، فأُقتلَ قبل أن يُسمَع كلامي، فأجمعتُ أمري على إظهارِ قِصَّتِي[٦]، وإشهارِ قولي ومذهبي على رؤوس الخلائق والأشهاد، والقولِ بخلاف أهل الكفر والضَّلال، والرَّدِّ عليهم، وذِكْرِ كُفرهم، وتبيين ضلالهم؛ وأن يكون ذلك في مسجد الجامع في يوم الجمعة، وأيْقَنْتُ أنَّهُم لا يُحدِثوا عليَّ حَادثة، ولا يَعجلوا عليَّ بقتلٍ ولا غيره من العقوبة، بعد إشهاري نَفْسِي بالنِّداء بمخالفتهم على رؤوس الأشهاد[٧] إلَّا بعد مناظرتي، والاستماع منِّي، فكان ذلك كُلُّه بتوفيق الله تعالى لي، ومعونته إيَّاي.

---

(١) في (م): «وأبسط له يدي».
(٢) في (ي): «وتوفيقي ومعرفتي».
(٣) في (م) و(أ): «وأن يُطلق لشرحِ بيانه لساني».
(٤) في (ي): «وثبَّت عزمي».
(٥) في (ي): «فزعًا من تشييع خبري، والعلم بمكاني».
(٦) في (م) و(أ): «فاجتمع رأيي على إظهارِ نفسي».
(٧) في (م) و(أ): «والنِّداء بمخالفتهم على رؤوس الخلائق».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ يَحْيَى: وقد كان النَّاس في ذلك الزَّمَان وذلك الوقت في أمرٍ عظيمٍ؛ قد مُنع الفقهاء والمحدِّثون، والمذكِّرون والدَّاعون مِنَ القُعُود في الجامعين في بغداد، وغيرهما من سائر المواضع[١]، إلَّا بِشْرَ بْنَ غِيَاثٍ المَرِيسِيَّ، ومُحَمَّدَ بْنَ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ الَّذِي تُعرف به الجَهْمِيَّة[٢]، ومَن كان موافقًا لهما[٣] على مذهبهما، فإنَّهم كانوا يقعدون إليهما، ويجتمع النَّاس إليهم، فيعلِّمونهم الكفر والضَّلال، وكُلُّ مَنْ أظهر مخالفتهم، أو ذَمَّ مذهبهم، أَوِ اتُّهِمَ بذلك أُحْضِرَ؛ فإن وافَقَهُم ودخلَ معهم في كفرهم وضلالهم وأجابهم إلى ما يدعونه إليه، وإلَّا قتلوه سِرًّا، وحملوهُ[٤] من بلدٍ إلى بلدٍ؛ فكم من قتيلٍ لم يُعلم به، وكم من مضروبٍ قد أُظهِر أَمْرُهُ، وكم مِمَّنْ قد أجابهم وتابعَهُم على قولهم مِنَ العلماء خَوْفًا منه على نَفْسِهِ، لمَّا عَرضوا عليه السَّيف والقتل فأجابهم إلى ذلك كُرْهًا؛ من خوفهِ على نفسهِ، وفارقوا الحَقَّ عند ذلك عِيَانًا، وهم يعلمون لما حَذروا من بأسهم، والوقوع بهم.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فلَمَّا كان في يوم الجمعة الَّتِي عَزَمْتُ فيها على إظهار نَفْسِي، وإشهارِ قولي واعتقادي، صَلَّيْتُ الجمعةَ في المسجد

---

(١) في (أ): «في الجامع ببغداد، وفي غيره من سائر المواضع».

(٢) الجَهْمِيَّة: تطلق بمعنًى عامٍّ ويُقصد بهم نفاة الأسماء والصِّفات أو بعضها، وتُطلق بمعنًى خاصٍّ ويُقصد بها أَتْبَاعُ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ.
وردَّ على الجَهْمِيَّة كثيرٌ من علماء أهل السُّنَّة كالإمام أحمد بن حنبل، والدَّارميِّ، وابْنِ مَنْدَةَ، وابْنِ خُزيمةَ، وابْنِ تيميَّةَ، وابْنِ القيِّم رَحِمَهُمُاللَّهُ.

(٣) في (ي): «خوفًا من بِشْرٍ المَرِيسِيِّ وابن الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ ومَنْ كان موافقًا لهما».

(٤) في (ي): «وإلاَّ قتلوه تترا، أو حملوهُ».

الجامع في الرُّصَافة[١]؛ في الجانب الشَّرقِيِّ بحِيَال القِبْلَة والمِنبَر، في أوَّلِ صَفٍّ من صفوف العَامَّة، فلَمَّا أن سلَّم الإمام من صلاة الجُمُعة، وَثَبْتُ قائمًا على رِجْلَيَّ ليراني النَّاسُ ويسمَعوا كلامي، ولا يخفى عليهم مقامي[٢]، وناديتُ بأعلى صوتي لابني، وكنتُ قد أقَمْتُ ابْنِي بجانبي عند الأُسْطُوَانة الأخرى.

فقلت له: يا بُنَيَّ، ما تقول في القرآن؟

فقال: كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فلَمَّا سمع النَّاسُ كلامِي، ومسألَتِي لابني، وجوابَه إيَّايَ، هربوا على وجوههم خارجين مِنَ المسجد الجامع؛ ولم يبق إلَّا يسيرٌ من النَّاس خوفًا على أنفسهم، وذلك أنَّهُم سمعوا ما لم يكونوا يسمعون، وظَهَر لهم ما كانوا يُخْفُون ويَكْتُمون؛ فخافوا على أنفسهم، فلم يستتمَّ ابني الجوابَ حتَّى أتاني أصحابُ السُّلْطان، فاحتمَلوني وابني، وأَوْقَفُوني بين يدي عَمْرِو بْنِ مَسْعَدَةَ[٣]، وكان قد جاء لِيُصَلِّي الجُمُعةَ، فلَمَّا نظر إلى وجهي، وقد كان سمع كلامي، ومسألتي لابني، وجوابَ ابني إيَّايَ، فلم يحتج إلى أن يسألَني عن كَلامي.

فَقَالَ لِي: أَمَجْنُونٌ أَنْتَ؟

قُلْتُ: لَا.

---

(١) مَحَلَّةٌ بالجانب الشَّرقيِّ من بغداد، كان المهديُّ قد عسكَر بها، فأمرَهُ المنصور أن يبني فيها دورًا، ثُمَّ الْتَحَقَ بها النَّاسُ وعمروها، وهي -الآن- القسم الشَّرقيُّ من بغداد. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٤٦).

(٢) في (م) و(أ): «ولا يخفى عليهم مقالتي».

(٣) عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ صُولٍ، أَبُو الْفَضْلِ الصُّولِيُّ، وَزِيرُ الْمَأْمُونِ، وَأَحَدُ الْكُتَّابِ الْبُلَغَاءِ. «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٧٥).

قَالَ: أَفَمُوَسْوِسٌ أَنْتَ؟

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: أَفَمَعْتُوهٌ أَنْتَ؟

قُلْتُ: لَا، إِنِّي لَصَحِيحُ العَقْلِ، جَيِّدُ الفَهْمِ، ثَابِتُ المَعْرِفَةِ، والحمدُ للهِ كثيرًا.

قَالَ: أَفَمَظْلُومٌ أَنْتَ؟

قُلْتُ: لَا.

فَقَالَ -لأَصْحَابِهِ ورَجَّالَتِهِ-: فمُرُّوا بهما سَحبًا إلى منزلي.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فحُمِلْنَا على أيدي رَجَّالته، حتَّى أخرجنَا مِنَ المسجد، ثُمَّ جعلوا يتعادَوْن بنا سَحبًا شديدًا، وأيدينا في أيدي الرَّجَّالة يَمنةً ويَسرةً، وسائر أصحابه خلفنا وقدَّامنا، حتَّى صرنا إلى منزل عَمْرِو ابْنِ مَسْعَدَةَ على تلك الحالة العنيفة الغليظة، فوقفنا حَتَّى دخل، وأمرَ بنا فأُدخلنا عليه، وهو جالسٌ في صَحْنِ دارِه، على كُرسيٍّ حديد ووسادةٍ عليه، فلمَّا صرنا بين يديه[1] أقبل عليَّ؛ فقال: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟

قُلْتُ: من أهل مكَّة -شرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى-.

فقالَ: ما حملكَ على ما فعلتَ بنفسك؟

قُلْتُ: طلبًا لثواب الله تعالى، ورجاءَ الزُّلْفَةَ لديه[2].

---

(١) في (ي): «وأيدينا في أيدي الرَّجَّالة يَمنةً ويَسرةً، وخرج عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ من المسجد ولم يركع، فلمَّا صار إلى منزله من الجانب الغربيِّ، ونحن بين يديه، وُضِعَ له كرسيٌّ وأذن لي، فدخلت عليه وأنا في تلك الحال، وهو جالس على كرسيٍّ حديد، وسواده كما كان عليه، فلمَّا صرنا بين يديه».

(٢) في (م): «طلبًا القربة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وطلب الزُّلْفَة لديه».

قال: فهلَّا فعلتَ ذلك سِرًّا من غير نداء، ولا إظهارٍ لمخالفة أمير المؤمنين[١] -أطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ-، ولكِنَّك أردتَ الشُّهرة والرِّيَاءَ والسُّمْعة والتَّسوُّق؛ لتأخذَ أموالَ النَّاس.

فَقُلْتُ: ما أردتُ من هذا شيئًا، ولا أردتُ إلَّا الوصولَ إلى أمير المؤمنين والمناظرةَ بين يديه لا غيرَ ذلك.

فَقَالَ: أوَ تفعلُ ذلك؟!

فَقُلْتُ: نَعَمْ؛ ولذلك قصدتُ وبلَغتُ بنفسي ما ترى بعد خروجي من بلدي، وتغريري مع سلوك البراري أنا وولدي[٢]؛ رجاء تأدية حقِّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيما استودَعَني مِنَ الفهم والعلم، وما أخذَه عليَّ وعلى العلماء مِنَ البيان.

فقالَ لي عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ: إنْ كنتَ إنَّما جَعلت هذا سببًا لغيره إذا وصلتَ إلى أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه-[٣]؛ فقد حلَّ دَمُكَ لمخالفتكَ أمير المؤمنين.

فقلتُ له: إنْ تكلَّمتُ في شيءٍ غير هذا، أو جعلتُ هذا ذريعةً إلى غيره، فدمي حلالٌ لأمير المؤمنين، وهو في حِلٍّ منه.

قالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَوَثَبَ عمرٌو قائمًا على رجلَيه، وقال: أخرِجوه بين يديَّ إلى دار أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه-.

---

(١) في (ي): «فهلاً فعلتَ ذلك سرًّا بين يديَّ، ومن إظهار مخالفة أمير المؤمنين».
(٢) في (م): «وتغريري بنفسي مع سلوك البوادي أنا وولدي». وفي (ي): «ولذلك قصرت من بلدي وسلكت المفاوز».
(٣) في (ي): «إنْ كنتَ إنَّما جَعلت هذا سببًا إلى وصلتك إلى أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- لتقول غير هذا».

فأُخرِجتُ، وركبَ مِنَ الجانب الغربيِّ، وأنا وابني بين يدَيه يُعدى بنا على وجوهنا، وأيدينا في أيدي الرَّجَّالة[١]، حتَّى صار بنا إلى دار أمير المؤمنين المأمون مِنَ الجانب الشَّرقيِّ، فدخَل وأنا في الدِّهليز[٢] قائمٌ على رجليَّ، فأطال عند أمير المؤمنين القعود، ثُمَّ خرج فقعد في حجرته الَّتِي كان يجلس فيها، وأَمَرَ بي فأُدْخِلْتُ عليه.

فقالَ لي: قد أخبرتُ أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- بخبرك، وما فعلتَ، وما قلتَ، وما سألتَ مِنَ الجمعَ بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يدَيْهِ، وقد أمرَ -أطال الله بقاءه- بإجابتكَ إلى ما سألتَ، وجمعِ المناظرين عن هذه المقالة في مجلسِهِ -أعلاه الله- في يوم الاثنين الآتي، وتَحضُر معهم لتتناظروا بين يديه -أيَّده الله- ويكون هو الحاكم بينكم.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأكثرتُ من حَمْدِ الله تعالى على ذلك، وشكَرْتُهُ وأكثَرْتُ الشُّكْرَ والدُّعاء لأمير المؤمنين.

فَقَالَ لِي عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ: أعطِنا كفيلًا بنَفْسِك؛ حَتَّى تحضرَ معهم يوم الاثنين؛ وليست بنا حاجةٌ إلى حبسك.

فَقُلْتُ لَهُ: أعزَّك الله! أنا رجلٌ غريبٌ، ولستُ أعرف في هذا البلد أحدًا، ولا يعرفني أحدٌ من أهله، فمن أين لي مَنْ يكفلني؟ وخاصَّةً مع إظهار مقالتي! لو أنَّ الخلق يعرفونني لتبرَّؤوا مِنِّي، وهربوا من قربي، وأنكروا معرفتي.

---

(١) في (ي): «فحملت على تلك الحالة، وركب بين يدي مِنَ الجانب الغربيِّ، وأنا يسعى بي لا يَقِرُّ لي قدمٌ على الأرض، ويدي في أيدي الرَّجَّالة».

(٢) الدِّهْلِيز: الدِّلِّيج، فارسِيٌّ مُعَرَّبٌ، ما بين الباب والدَّار، والجمع الدَّهالِيز. انظر: «لسان العرب» (٥/ ٣٤٩).

قَالَ عَمْرٌو: فنوكِلُ بكَ من يكون معك؛ حتَّى يُحضرَكَ في ذلك اليوم، وتنصرفَ فتصلحَ من شأنك، وتفكّرَ في أمرك؛ فلعلَّكَ أن ترجعَ عن غَيِّكَ(١)، وتتوبَ من فعلك، فيصفح أمير المؤمنين عن جُرْمِكَ.

فَقُلْتُ: ذلك إليك -أعزَّكَ اللهُ- فافعَلْ ما رأيت.

فوكّل بي مَن يكونُ معي في منزلي، وانصرفت.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فلَمَّا كان يوم الاثنين(٢)، صلَّيتُ الغداة في مسجدي الَّذِي كان على باب منزلي، فلَمَّا فرغت مِنَ الصَّلاة، إذا بخليفة عَمْرِو ابْنِ مَسْعَدَةَ قد جاءني ومعه جمعٌ كثيرٌ مِنَ الفُرْسَانِ وَالرَّجَّالَةِ، فحملني مُكْرَمًا على دابَّةٍ حسنةٍ حتَّى صار إلى دارِ أمير المؤمنين المأمون، وأوقفوني بالباب حتَّى جاء عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ، فدخل فجلس في حُجرته الَّتِي كان يجلس فيها، ثُمَّ أَذِنَ لي بالدُّخول عليه فدخلتُ، فلَمَّا صِرتُ بين يديه أجلَسَني.

ثُمَّ قَالَ لِي: أنت مقيمٌ على ما كنتَ عليه، أم قد رجعتَ عنه؟

فَقُلْتُ: بل مقيمٌ على ما كنتُ عليه، وقَدِ ازددتُ بتوفيق الله تعالى إيَّايَ بصيرةً في أمري.

فَقَالَ لِي عَمْرٌو: يَا أَيُّهَا الرَّجلُ! قد حملتَ نفسكَ على أمرٍ عظيمٍ، وبلغتَ الغاية في مكروهها، وتعرَّضتَ لِمَا لا قِوَام لك به من مخالفة أمير المؤمنين، وادَّعيتَ ما لا تَثبتُ لك به حجَّة على مَخالفيك، ولا لأحدٍ غيركَ، وليس وراءك بعد ظهور الحجَّة عليكَ إِلَّا السَّيف؛ فانظُرْ

---

(١) في (ي): «فلعلَّكَ أن ترجعَ عن قولك».
(٢) في (أ): «فلَمَّا كان في يوم الاثنين».

لنفسك، وبادِرْ لأمرك قبل أن تقع المناظرة، وتَثبتَ عليك الحُجَّة(١)، فلا تنفعكَ النَّدامة، ولا تُقبَلُ لك معذرة، ولا تُقال لك عثرة؛ فقد رحمتكَ وأشفقتُ عليك مِمَّا هو نازلٌ بك، وأنا أستقبل لك أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- وأسأله الصَّفحَ عن جُرْمِك، وعظيمِ ما كان منك؛ إن أظهرتَ الرُّجُوع عنه، والنَّدم على ما كان منك، وآخذُ لك الأمان منه -أيده الله- والجائزة، وإن كانت لك ظلامة أُزيلت عنك، وإن كانت لك حاجةٌ قُضيت لك، فتكلَّمْ بما عندك وما بدا لك قبل أن أدخل إلى أمير المؤمنين -أيّده اللهُ تعالى-، فإنَّما جلستُ رحمةً لك مِمَّا هو نازلٌ بك بعد ساعة إنْ أقَمْتَ على ما أنت عليه، ورجوتُ أن يُخلِّصك الله من عظيم ما أوقعتَ نفسك فيه، وأن لا يكون ذلك على يدي(٢).

فَقُلْتُ لَهُ: ما نَدِمْتُ -أعزَّك الله- ولا رجعتُ، ولا خرجتُ من بلدي وغررتُ بنفسي إلَّا في طلب هذا اليوم وهذا المجلس؛ رجاء أن يبلِّغني الله تعالى ما أؤمِّل من إقامةِ الحَقِّ فيه، وما توفيقي إلَّا بالله، عليه توكَّلتُ وهو حَسْبي ونِعْمَ الوكيل(٣).

---

(١) في (م): «وتظهر عليك الحجَّة».

(٢) في (أ): «ورجوتُ أن يُخلِّصك الله على يدي، من عظيم ما أوقعتَ فيه نفسك».

(٣) في (م): «قال محمد بن الحسن: سمعت أبا عبد الله يقول: قال لي أبي: جاء عبد العزيز إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الحبس فقال: إنَّ هذا الأمر الَّذِي أنت فيه ليس تُطيقه على دقَّته؛ فاذكُرني. فبعثَ إليه أبو عبد الله: أنا قد وقعتُ، وأخافُ أن أذكركَ فأشيط بدمك، فيكون قتلكَ على يدي، فأُقتل أنا أحبُّ إليَّ؛ انصرِفْ بسلام».
وفي (ي): «قال عبد الله بن فرقد: قال لي أبي -وبعث عبد العزيز إلى الإمام أحمد بن حنبل وهو في السِّجن- فقال: إنَّ هذا الأمر الَّذِي أنت فيه ليس=

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فقام عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ قائمًا على رجليه، وقال: قد حَرصتُ على خلاصك جَهدي، وأنت مجترئٌ مجتهدٌ[1] في سفكِ دمكَ وقتلِ نفسك.

فَقُلْتُ لَهُ: معونةُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أعظَم، والله تعالى أعطَفُ عليَّ، وألطَفُ من أن يُسلِّمني أو يكِلَني إلى نَفسي، وعدلُ أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- أوسَعُ من أن يقصُر عنِّي؛ وَأَنَا أَقُولُ: لا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فأمر بي، فأُخرِجتُ إلى الدِّهليز الأوَّل، فأُجلست هنالك ودخل الدَّار، فلم أزل في الدِّهليز ومعي جماعة موكَّلون بي.

وقد كان وجَّه إلى سائر بني هاشم أن يحضروا مجلس أمير المؤمنين، ووجَّه إلى سائر الفقهاء وسائر المناظرين والمتكلِّمين فأحضروا وجعلوا يدخلون ولا يخرج أحد منهم، ثُمَّ أمر الجند فركبوا بالسِّلاح[2]؛ كُلُّ ذلك ليُرهبوني بهم.

ومُنع النَّاسُ من الانصراف إلى أن ينقضي المجلس، فلَمَّا اجتمع

= تطيقه على أنَّكَ قد ذقته فاذكرني، فبعث إليه أحمد: أمَّا أنا فقد وقعت وأنا أخاف عليك أن أذكرك فأكون سببًا في قتلك ويكون قتلك على يدي، وأقتل أنا وأنت؛ فانصرف وسلِّم الأمور إلى الله ودعهم».

(١) في (م) و(ي): «قد حَرصتُ على صلاحك جَهدي وأنت حريصٌ مجتهد».

(٢) في (أ) و(م): «وكان قد تقدَّم إلى سائر بني هاشم أن يركبوا، ممَّن كان يحضر إلى مجلس أمير المؤمنين، ووجَّه إلى القضاة والفقهاء الموافقين لهم على مذهبهم، وسائر المتكلِّمين المناظرين أن يحضروا دار أمير المؤمنين، وأمر القُوَّاد والوزراء والأمراء أن يركبوا في السِّلاح».

النَّاس وتأهَّبوا ولم يتخلَّف عنهم أحد مِمَّن يعرفونه بالكلام والجدال[١]؛ أُذِنَ لي بالدُّخُول، فخرج عَمْرٌو إليَّ وأدخلني الدِّهليز الثَّاني وتركني ودخل، ثُمَّ خرج فأخذ بيدي فأدخلني إلى الدِّهليز الثَّالث وتركني ودخل، ثُمَّ فعل بي ذلك سبع مَرَّات وصرتُ إلى الحاجب صاحب السِّتْر[٢]، الَّذِي على باب الصَّحن، فلَمَّا رآني أمرَ بي، فأُدخِلتُ إلى حُجرته ودخل معي.

فَقَالَ لِي: إن احتجت إلى أن تُجَدِّد طُهْرًا فافعل[٣].

فَقُلْتُ: لا حاجة لي في ذلك.

فَقَالَ: صلِّ رَكعتين قبل دُخولك.

فصلَّيت أربع ركعات، ودعوتُ الله تعالى وتضرَّعتُ إليه، فلَمَّا فَرَغْتُ أمرَ مَنْ كان بحضرته فخرج مِنَ الحُجْرَةِ[٤].

ثُمَّ تقدَّم إليَّ وهو يُسَارُّني فَقَالَ: يا هذا، إنَّ أمير المؤمنين لَبَشَرٌ مثلك رجلٌ من ولد آدم، وكذلك كُلُّ مَنْ يناظرك بحضرته فهو مثلك بشر؛ فلا تَتَهيَّبهم ولا تَخافهم، واجمَعْ فهمكَ وعقلكَ في عِلمكَ لمناظرتهم، وإيَّاكَ والجزع.

واعلَمْ -علمًا يقينًا-: أنَّهُ إِنْ ظهَرَتْ حُجَّتُكَ عليهم انكسروا وانقطعَ كلامُهم عنك وأذلَلْتَهُم وغلَبتهُم، ولم يقدروا لك على ضَررٍ

---

(١) في (أ): «للكلام والجدال».

(٢) في (أ) و(م): «أُذِنَ لي في الدُّخول، فلم أزل أنتقل من دهليزٍ إلى دهليزٍ حتَّى صرتُ إلى الحاجب صاحب السِّتْر».

(٣) في (أ): «إن احتجت إلى أن تخلي طهرًا فافعل».

(٤) في (م): «أمر مَنْ كان بحجرته فخرج مِنَ الحُجْرة».

ولا مكروهٍ، وصار أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- وسائر الأولياء والخليقة معكَ دونهم(١)، وإنْ ظهرَتْ حجَّتهم عليك أذلُّوك وقتلوكَ وشهَّروك(٢)، وجعلوكَ للخلق عبرةً، فاجمَعْ فهمكَ ومعرفتك(٣)، ولا تدَعْ شيئًا مِمَّا تحسنه أو تحتاج أن تتكلَّم به خَوْفًا من أمير المؤمنين أو من أحدٍ غيره، وتوكَّلْ على الله واستَجر باللهِ(٤)، وقُمْ فادخل.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: جزاك الله خيرًا؛ فلقد أدَّيتَ النَّصيحة، وقوَّيت قلبي وآنستني(٥).

وخرج وخرجتُ معه إلى باب الصَّحن.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ شال السِّتْر فأُدْخِلْتُ، وأخذ الرِّجَال بيدي وعَضُدي، وجعل أقوامٌ يتعادَون بي، وأيدي قوم آخرين في ظهري وعلى عُنُقِي.

فجعلتُ أسمع صوت المأمون، وهو يقول: خلُّوا عنه خلُّوا عنه.

وكثُر الضَّجيجُ مِنَ الحُجَّاب والأولياء بمثل ذلك؛ فخلُّوا عَنِّي، وقد كاد عقلي يتغيَّر من شِدَّة الجزع(٦) وعظيم ما رأيتُ في ذلك الصَّحْن مِنَ السِّلاح والرِّجَال؛ وقَدِ انبسطت عليهم الشَّمْسُ، وهم مِلء الصَّحن صفوفًا(٧)، وكنتُ قليلَ الخبرة بدار أمير المؤمنين، ما رأيتُها

---

(١) في (أ) و(م): «وسائر الأولياء والرَّعيَّة معكَ عليهم».
(٢) في (م) و(ي): «وقتلوك وأشهروك».
(٣) في (ي): «فاجمع همك ومعرفتك»، وفي (م): «فاجمع همتك ومعرفتك».
(٤) في (أ) و(م): «واستَخِرِ اللهَ تعالى».
(٥) في (أ) و(م): «فلقد أدَّيْتَ النَّصيحة، وسكَّنتَ الرَّوعة، وآنستَ الوحشة».
(٦) في (أ): «من شِدَّة الفزع».
(٧) في (ي): «وأكثر الضَّجيج من الحُجَّاب وغيرهم تتمثل ذلك؛ فخلُّوا عَنِّي =

قبلَ ذلك ولا دخلتُها، فلَمَّا صِرْتُ على باب الإِيوَان وقفتُ هناك[١]، فسمعته يقول: قرِّبوه قرِّبوه.

فلَمَّا دخلت من باب الإِيوَان وقعَتْ عيني عليه، وقبل ذلك لم أتبيَّنه[٢]؛ لما كان على باب الإيوان مِنَ الحُجَّاب والقُوَّاد والوزراء[٣].

فَقُلْتُ: السَّلام عليك -يا أمير المؤمنين- ورحمة الله وبركاته.

فَقَالَ: أُدْنُ منِّي.

فدنوت. ثُمَّ قَالَ: ادْنُ منِّي.

فدنوتُ، فكرَّر ذلك عليَّ مَرَّات[٤]، وأنا أدنو خطوةً خطوة، حَتَّى صرتُ في الموضع الَّذِي يجلس فيه المناظرون ويسمع كلامهم، والحاجب معي يقدِّمني، فلَمَّا انتهيتُ إلى الموضع، قَالَ لي المأمونُ: اجلس. فجلست.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فسمعتُ رجلًا من جُلسائه يقول -وقد دخلت من باب الإِيوَان-: يا أميرَ المؤمنين، يكفيكَ من كلام هذا قُبْحُ وجهه، واللهِ واللهِ ما رأيتُ خَلْقًا أَقْبَحَ وَجْهًا منه![٥].

= وقد كان عقلي أن يتغيَّر من شِدَّة الجزع، ووقعت عليَّ الرِّعْدة لما رأيت في صحن الدَّار من أصحاب السِّلاح والرِّجَال، وقد ملؤا الصَّحْن صفوفًا، وقد علت عليهم الشَّمس».

(١) في (ي): «على باب الإيوان أوقفت».

(٢) في (ي): «لم أكن أثبته».

(٣) في (ي): «والقُوَّاد قيامًا».

(٤) في (م): «ادن منِّي، زاده تكرارًا».

(٥) في (م): «لا والله ما أريت خلقَ الله قطُّ أقبحَ وجهًا منه».

فسمعته يقول هذا وفهمتُه(١)، ورأيتُ شخصَهُ على ما بي من الرِّعدة والجزع(٢).

وتبيَّن لأمير المؤمنين ما أنا فيه، وما نزلَ بي مِنَ الجزع والخوف، وجعلَ ينظر إليَّ وأنا أرْتَعِدُ؛ فأراد أن يؤنِسَني(٣) حَتَّى أسكن ويذهب عَنِّي ذلك الجزع(٤)؛ فجعل يُكثِرُ كلامَ جلسائه ويكلِّم خليفته عَمْرَو بْنَ مَسْعَدَةَ، ويتكلَّم بأشياء كثيرة مِمَّا لا يحتاج أن يتكلَّم بها؛ يريد بذلك كُلِّه إيناسي، وجعل يُطيلُ النَّظَرَ إلى الإيوان، ويردِّد طَرْفَهُ فيه(٥)، فوقعَتْ عينهُ على موضعٍ من نقشِ الجصِّ قَدِ انتفخ.

فَقَالَ: يَا عَمْرُو!

فَقَالَ: لبيك يا أمير المؤمنين.

قَالَ: أمَا ترى إلى هذا الَّذِي قَدِ انتفخَ من هذا النَّقشِ في الجصِّ وسيقع؟! فبادِرْهُ في يومنا هذا.

فَقَالَ عَمْرُو: قطعَ الله يدَ صانعهِ؛ فإِنَّهُ قَدِ استحقَّ العقوبةَ على عملِهِ هذا؛ وجعل يعيبه.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: ثُمَّ أقبل عليَّ المأمون، فَقَالَ لِي: ما الاسم(٦)؟

---

(١) في (م): «فسمعته يقول هذا، وفهمت كلامه كُلَّه».

(٢) في (ي): «وأنا على حالة غليظة مِنَ الرِّعْدة والجزع»، وفي (م): «على ما بي من الرَّوعة والجزع».

(٣) في (م): «وأنا أرتعد وانتفض فأَحَبَّ أن يؤنسني».

(٤) في (أ) و(م): «ويسكِّن عَنِّي ما لحقني وأن ينشِّطني».

(٥) في (ي): «ويَرُدُّ طَرْفه فيه»، وفي (م): «ويدير طَرْفه فيه».

(٦) في (أ): «فقال لي: كيف اسمك»، وفي (م): «فقال لي: الاسم».

فَقُلْتُ: عبد العزيز.

قَالَ: ابْنُ مَنْ؟

قُلْتُ: ابْنُ يحيى.

قَالَ: ابْنُ مَنْ؟

قُلْتُ: ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

قَالَ: ابْنُ مَنْ؟

قُلْتُ: ابْنُ مُسْلِمٍ.

قَالَ: ابْنُ مَنْ؟

قُلْتُ: ابْنُ مَيْمُون الْكِنَانِيّ.

فَقَالَ: وَأَنْتَ مِنْ كِنَانَة؟

قُلْتُ: نَعَمْ، يا أمير المؤمنين.

قال: فتركني ولم يكلِّمني هُنَيَّة، ثُمَّ أقبل عليَّ، فَقَالَ: من أين الرَّجل؟

قُلْتُ: مِنَ الحِجَاز.

قَالَ: مِنْ أيِّ الحجاز؟

قُلْتُ: من مكَّة.

قَالَ: ومَنْ تعرفُ من أهل مكَّة؟

قُلْتُ: يا أمير المؤمنين، بلدي وأنا صغير؛ وكُلُّ مَنْ بها من أهلها إلَّا وأنا أعرفُه، إلَّا رجلًا ضَوَى إليها وجاورَ بها مِنَ العرب فإنِّي لا أعرفه[1].

---

(١) في (م): «كُلُّ مَنْ بأهلها أعرفه إلاَّ رجلاً ضَوَى إليها وجاور بها مِنَ الغرباء فإنِّي لا أعرفه».

قَالَ: فهل تعرف فلانًا، هل تعرف فلانًا؟

حَتَّى عدَّ جماعة من بني هاشم كُلُّهم أعرفُهم حَقَّ المعرفة، فجعلتُ أقول: نَعَمْ أعرفُه، ويسألني عن أولادهم وأسمائهم[١] فأخبره، من غير حاجةٍ به إلى شيءٍ من ذلك، ولا ما تقدَّم من مسألتي؛ وإِنَّمَا يريد بذلك إيناسي وبسطي في الكلام، وتسكينَ رَوْعَتِي وجزعي.

فذهبَ عنِّي ما كانَ لحقني مِنَ الجَزَع، وجاءت المعونةُ مِنَ الله تعالى، فقوِيَ بها ظهري، واشتدَّ بها قلبي، واجتمعَ بها فهمي، وعلا بها جدِّي، وانشرح لها صدري، وانطلقَ بها لساني، ورجوتُ بها النَّصر على عدوِّي.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبل عليَّ المأمون، فَقَالَ: يا عبد العزيز، إِنَّهُ اتَّصَلَ بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع، وقولك: إِنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، بحَضرةِ الخلقِ وعلى رؤوس الأشهاد، وما سألت بعد ذلك من جمعك والمناظرين عن هذه المقالة[٢] بحضرتي وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم؛ وقد جمعتكَ والمخالفين لك ليناظروك بين يديَّ وأكون أنا الحكم بينكم؛ فإن تكن لك الحُجَّة عليهم والحَقُّ معك اتَّبَعْناكَ، وإنْ تكُن الحُجَّة عليك والحَقُّ معهم عاقبناكَ واستَتَبْناكَ.

ثُمَّ أقبلَ المأمون على بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ، ثُمَّ قَالَ: يَا بِشْرُ، قُمْ إلى عبد العزيز فناظِرْهُ وأنصِفْهُ.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فوثَبَ إليَّ بِشْرٌ من موضعِهِ الَّذِي كان فيه كالأسد

---

(١) في (م): «أولادهم وأنسابهم».

(٢) في (م): «وبين مناظريك على هذه المقالة».

يثِبُ على فريستهِ، فجاء فانحطَّ عليَّ، فوضَع فخِذَهُ الأيسر على فخذي الأيمن، فكاد عند ذلك أن يحطمها، وغمز عليَّ بقُوَّته كُلِّها[١].

فَقُلْتُ لَهُ: مَهْلًا! إنَّ أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- لم يأمُركَ بقَتلي ولا بظُلمي، وإنَّما أمركَ بمناظَرتي وإنصافي.

فَصَاحَ بِهِ المأمونُ: تنحَّ عنه! وكرَّر ذلك عليه مَرَّاتٍ حَتَّى أبعدَهُ عنِّي.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: ثُمَّ أقبل عليَّ المأمون، وَقَالَ: يا عبد العزيز، ناظِرهُ على ما تُريد واحتجَّ عليه، ويحتجُّ عليك، وسائِلْهُ ويسائلك[٢]، وتَناصَفَا في الكلام، وتحفَّظا ألفاظَكُما؛ فإنِّي مستمعٌ لكما ومتحفِّظ ألفاظَكُما.

فَقُلْتُ: السَّمْع والطَّاعة لكَ يا أمير المؤمنين، إلَّا أنِّي أقولُ شيئًا قبل كلامي؛ فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أنْ يأذنَ لي فيه فَعَلَ[٣].

فَقَالَ: قُلْ ما تريد[٤].

فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين! -أطالَ الله بقاءك- إنِّي رجلٌ عربيٌّ حجازيٌّ، وفي كلامي دِقَّةٌ[٥]، ولم يسمع أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- من كلامي قبلَ هذا الوقت شيئًا؛ وجليلُ كلامي في سَمْعِ أمير المؤمنين دقيقٌ، وبِشْرٌ يا أمير المؤمنين رجلٌ كثيرٌ سماعُ أميرِ المؤمنين

(١) في (م): «واعتمد عليَّ بقُوَّته كُلِّها».
(٢) في (م): «وسله ويسألك».
(٣) في (م): «فإنْ رأى أميرُ المؤمنين -أبقاه الله- أن يأذن لي في ذلك فعلت».
(٤) في (أ): «فقال: ما تريد؟».
(٥) في (ي): «وفي كلامي رِقَّةٌ».

لكلامِهِ، فصار دقيقُ كلامهِ في سَمْعِ أمير المؤمنين جليلًا؛ فإنْ رأى أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- أن يأذنَ لي أنْ أُقَدِّم شيئًا من كلامي في هذا المجلس، ليقيس ما يدقُّ بعدَهُ من كلامي على ما يأتي بعده[١]، ويعرف مذهبي في كلامي، ثُمَّ يجمعني ومَنْ أحبَّ للمناظرة بعد هذا اليوم في أيِّ وقتٍ شاء.

فقال المأمون: إنِّي مشغولٌ عن هذا بما يلزمُني من أمر المسلمين[٢]، وإنَّما جمعتكَ ومخالفيكَ لما أظهرتَ على رؤوس الأشهاد لمخالفتكَ إيَّاهم وذَمِّكَ لقولهم[٣]، وادِّعائكَ الرَّدَّ عليهم، ومسألتِكَ الجمعَ بينكَ وبينهم؛ ولستُ أجمعُكَ وإيَّاهم بعد هذا المجلس إلَّا عن مناظرةٍ تجري بينك وبينهم تحتاجون إلى عودةِ الاستتمام لِمَا[٤] بقي عليكما مِنَ المناظرة؛ فأجمعكما لذلك[٥].

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فقلت في نفسي: هذا الَّذِي سألت الله تعالى وعاهدته أن يبلِّغنيه[٦]؛ لأقومَنَّ بِحَقِّه ولأذُبَّنَّ عن دينهِ بما يُلهِمُني من توفيقه ويعينني به من تسديده صابرًا محتسبًا، وإنْ عُرضتُ على السَّيف والقتل[٧]، حتَّى إذا بلَّغني اللهُ ما أؤمِّلهُ وأعطاني ما سألتهُ، وأيَّدني بالمعونة، وكفاني المؤنة، وعطفَ بقلوبِ عباده عليَّ، وصرفَ عنِّي ما

(١) في (م): «على ما تقدَّم».
(٢) في (ي): «بما ينوبني من أمور المسلمين».
(٣) في (أ) و(م): «وذَمِّكَ مذهَبهُم».
(٤) في (م): «فتحتاجون إلى عودة لاستتمام ما».
(٥) في (ي): «تجري بينك وبينهم فتحتاجون إلى عودةٍ لاستفهامها فأجمعكم لتمامها».
(٦) في (م): «سألت الله عَزَّوَجَلَّ أن يبلغنيه وعاهدته لأن بلغنيه».
(٧) في (ي): «على الضَّرب والقتل».

كنتُ أحاذره من سوء بادرةٍ[١] تكون قبل قيامي بحقِّه، وشرح صدري وفتح لفهم كتابه قلبي، وأطلق به لساني ونصرني وأرشدني وسكَّن جزعي وهلعي، أنقُض عهدَهُ وأُخلِفُ وَعدَهُ وأكفُر نعمتهُ، فيسخط عليَّ ويخذُلني ويتبرَّأ مِنِّي ويسلمني ويكِلُني إلى نَفْسِي؛ واللهِ، لا فَعلْتُ ولو تلِفَتْ نفسي[٢].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، -أطال الله بقاءك- إنِّي لم أتهيَّب المناظرة ولم أعجز عنها؛ وإنَّما أحببتُ أن أُقدِّم في هذا المجلس شيئًا من كلامي ليقِفَ مَنْ بحضرة أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- وسمعِ مَن في مجلسهِ على معنى كلامي ودقَّته؛ فلا يخفى عليهم بعضُ ما يجري بيننا[٣].

فَقَالَ لِي بِشْرٌ: أنت مَرَّةً تخاطب أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- وتنسبه إلى قِلَّةِ الفَهْمِ بدقيق الكلام وغريبه، وتخاطب مَنْ بحضرته في مجلسه مِنَ الفقهاء وأهل المعرفة بالعربيَّة واليقين بالعلوم، وتنسبهم إلى قِلَّةِ المعرفة بكلامك، ولا تفرق بين أمير المؤمنين ورعيَّته في حال.

فَقُلْتُ لَهُ: لَستَ من أهل اللُّغَة فتفهم معنى كلامي، وقد أجلَّ اللهُ قَدْر أمير المؤمنين وأعلاه عن أن يساوي أحدًا من رعيَّتِه، أو يشبَّه بهم في حال.

ولكِنَّ العربَ من سُنَّتِها في لغتها وكلامها ومخاطبتها: إدخال

---

(١) في (ي): «من سوء نادرةٍ تجري».

(٢) في (م): «واللهِ، واللهِ، لا فعلت ولو قتلت نفسي».

(٣) في (ي): «فلا يخفى عليهم منه شيء»، وفي (أ): «فلا يخفى عليهم بعد بعد بيننا».

الخاصَّة مع العامَّة [ثُمَّ تخرجهم] بعد العموم بإفراد المخاطبة والصِّفة؛ لِيَدُلَّ بذلك على فضل الخاصَّة وكرامتها وتقدمتها، وبذلك جرت سنَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في أصل ولايته مِنَ الملائكة والأنبياء وسائر المؤمنين: أنْ يَعُمَّ الخاصَّة مع العامَّة في المخاطبة وفي الصِّفة، ثُمَّ يخرجهم مِنَ العُمُوم بإفراد المخاطبة أوِ الصِّفة؛ لِيَدُلَّ بذلك على أنَّهُم خاصَّة، وليعلم الخَلْقُ فضلَهم على العامَّة؛ فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٩٨]، فعمَّ بهذا القول الملائكة كُلَّهُم والرُّسُلَ؛ فلم يستثنِ منهم أحدًا، وأدخل جبريل ميكائيل [معهم، ثُمَّ أفردهم بالخصوص ليدُلَّ على فضلهم] على سائر الملائكة وخصوصهم منه وتقدمتهم عنده، فقال تعالى: ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة: ٩٨]، فعقل المؤمنون عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّـهُ قد عنى جبريل وميكائيل في القول الأوَّل، ثُمَّ أخرجهم مِنَ العموم وأفردهم بالخصوص؛ لِيَدُلَّ على أنَّهم خاصَّة ونخبته مِنَ الملائكة، فكانا بهذا القول الخاصَّة مِنَ الملائكة، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٧]، فعمَّ جميع النَّبيِّين بهذا القول، ولم يدع منهم أحدًا، ثُمَّ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧]، فعقل المؤمنون عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أنَّهُ عنى هؤلاء الخمسة مع النَّبيِّين، وأنَّهُم داخلون في جملة عمومهم، ثُمَّ أخرجهم بخاصَّتهم منه وزلفهم عنده من جملة العموم؛ فدلَّ بذلك على أنَّهُم خاصَّة الأنبياء.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [التوبة: ٧٢]، فدلَّ هذا على أنَّهُ قد عنى المؤمنين والمؤمنات جميعًا بهذا القول، ثُمَّ أحَبَّ أن يُظهر الخاصَّة مِنَ المؤمنين ويصفهم ويخرجهم من صفة العموم، كما أخرج الملائكة والأنبياء،

فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟... ﴾ [البقرة: ٢٧٧] الآيةَ، فوصفهم بأعمال الصَّالحات وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة لِيَدُلَّ على أنَّهُمْ الخاصَّة مِنَ العامَّة، ثُمَّ أخبر عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز عن خاصَّة الخاصَّة من المؤمنين وأخرجهم عن جملة العموم وأفردهم بالخبر عنهم والصِّفة لهم، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النُّور: ٥٥]، يَدُلُّ بهذا القول على أنَّ الخلفاء خاصَّة الخاصَّة ونخبة النُّخْبة مِنَ المؤمنين، وعلى فضلهم وتقدمتهم وعُلُوِّ منزلتهم عنده، ثُمَّ وصف خاصَّة الخاصَّة عنده بأحسن صفة، وامتدحهم بأحسن مدحة، وأثنى عليهم بالأعمال الصَّالحة، وأخبر بها عنهم، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾ [الحجّ: ٤١] الآية، فوصفهم بكمال صفات المؤمنين وأعمال المتَّقين، وذلك قبل خلقهم واستخلافهم؛ فعقل المؤمنون عن الله: أنَّهُ قد عنى الخلفاء في جملة المؤمنين، وعَمَّهم بالمخاطبة معهم، ثُمَّ أخرجهم عَنِ العموم وأفردهم بالخصوص؛ لِيَدُلَّ على فضلهم وكرامتهم وعلوِّ مراتبهم، وأنَّهم خاصَّة الخاصَّة ونخبة النُّخبة مِنَ المؤمنين أجمعين، ثُمَّ خاطب المؤمنين وخاطبهم أجمعين بطاعة الخاصَّة المنتخبين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النِّساء: ٥٩]، فأوجب على جميع المؤمنين طاعة الخاصَّة، وافترض ذلك عليهم؛ فصار عليهم فرضًا واجبًا وحقًّا لازمًا، فمَنْ فارقه فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عُنُقِه، ومَنْ خرج عن ذلك مات ميتة جاهليَّة، فعقل المؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّهُ قد فضَّل الخلفاء وولاة الأمر على سائرهم، وأنَّهم خاصَّة الخاصَّة ونخبة النُّخْبة منهم؛ فأَدَّبْتُ كما أَدَّبَنِي الله، وقلت كما

علَّمَني اللهُ تعالى؛ فأدخلت أمير المؤمنين في المخاطَبة وأفردته بعلوّ منزلته في الخاصَّة، وكان مخاطبةً لك ولمَنْ حضر مِمَّنْ ليس هو من أهل ذلك، فأمَّا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- فأعلم خلق الله تعالى بدقيق كلام العرب وغريبه، وإنَّمَا أردت أن أجعل هذا المجلس كُلَّهُ فضائل لأهل بيت رسول الله ﷺ، وما خصَّهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الكرامة والزُّلْفَى، وذكر فضائل الأئمة[1] وولاة الأمور خاصَّة، وما يوجبون به طاعتهم[2] على الخلق، وأن أبلغُ من ذلك -بعد هذا المجلس- ما يقي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عني به أميرَ المؤمنين إن شاء الله تعالى.

فَقَالَ لِي المَأْمُونُ: لقد أبلغت من ذلك وأحسنت القول والأمر، فارجع إلى مناظرة بِشْرٍ؛ فإنَّ هذا لَمَجْلِسٌ ما بعده إن شاء الله تعالى مجلسٌ.

فَقَالَ المأمونُ لِبِشْرٍ: ناظِرْ صاحبكَ على ما يريد.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنِ يَحْيَى: فأقبلت على أمير المؤمنين المأمون، فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، -أطال الله بقاءك- إنْ رأيتَ أن تأذن لي أن أتكلَّم[3] بشيءٍ قد سمعته في مجلسك هذا، وقد خطر هذه السَّاعة في خاطري وشغلَ قلبي فأقوله قبل مناظرتي لبشر.

فَقَالَ لِي: تكلَّم بما شئتَ، فقد أَذِنتُ لك.

فَقُلْتُ: أسألك بالله يا أميرَ المؤمنين مَنْ بلَغكَ أنَّهُ كان أجملَ البشر من ذُرِّيَّةِ آدمَ ﷺ؟

---

(١) في (ي): «الأمَّة».

(٢) في (ي): «ويرجون طاعتهم».

(٣) في (أ): «إنْ رأيتَ ان اتكلَّم».

قال: فأطرقَ مليًا، ثُمَّ رفعَ رأسه، فَقَالَ: يُوسُفُ الصِّدِّيق ﷺ.

فَقُلْتُ: صدقتَ يا أمير المؤمنين، فو اللهِ ما أُعطي يوسف الصِّدِّيق ﷺ على حُسن صورته ووجهه بَعْرَتَيْنِ(١)، ولقد سُجن وضُيِّق عليه من أجل حُسْنِ وجهه بعد أن وُقِفَ على براءته بالشَّاهد الَّذِي أَنطَقَهُ الله تعالى بتصديقه وبيانِ براءته، وبعد إقرار امرأةِ العزيز: أنَّها هي راودَتْهُ عن نفسهِ في المرَّة الأولى بقولها: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]، فأخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّهم حبسوه وضيَّقوا [عليه] بعد تلك الآيات؛ لحُسْنِ وجهه وقول النِّسْوة: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا ...﴾ [يوسف: ٣١] الآية، من بعد جماله وحسن وجهه(٢).

فقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]، فَدَلَّ قولُه أنَّهُ سُجِنَ بغير ذنبٍ لِعلَّةِ حُسن وجهه ولِيُغيِّبوه عنها وعن غيرها، فطالَ في السِّجن حَبْسُه، حَتَّى إذا عبَّر الرُّؤيا الَّتِي رآها الملك، ووقَف على فضله في العلم والمعرفة فاشتاقَ إليه، وأحَبَّ أن يستخلصه لنفسه وحضر عنده وعرف قَدْرَه(٣)، فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف: ٥٤]، فكان هذا القولُ مِنَ المَلِكِ عندما وقفَ عليه من علمِ يوسف ومعرفتِهِ وفهمه قبل أن يسمعَ كلامه، فلَمَّا دخلَ عليه وكلَّمه وسمعَ كلامه وحُسْنَ عبارتِهِ جعلهُ على خزائن الأرض(٤)، وفوَّضَ إليه الأمور كلَّها وتبرَّأ

---

(١) في هامش (ي): «بقدر شعيرتين».

(٢) في (أ): «فحُبِسَ بعدَ ذلكَ كلِّه لعلَّةِ حُسْنِ وجهه»، وفي (م): «فاستعصم فحُبِسَ بعد ذلك كُلِّه لحسن وجهه».

(٣) في (أ) و(م): «فاشتاقَ إليه، ورغبَ في صُحبته».

(٤) في (م): «صيَّرهُ على خافي خزائن الأرض».

منها، وصار كأَنَّهُ من تحتِ يده.

فكان هذا الَّذِي بلَغهُ يُوسُفُ الصِّدِّيق ﷺ بكلامهِ وعِلْمِهِ لا بحُسنهِ وجماله، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٥]، ولم يقل: إنِّي حسنٌ جميل!

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: ٥٦]، فو اللهِ يا أميرَ المؤمنين، ما أُبالي أنَّ وجهي قبيحٌ مع ما هو فيَّ من حُسْنِ العِلْمِ والفهم(١).

فَقَالَ لِي المأمونُ: وأيَّ شيءٍ أردتَ بهذا القول، وما الَّذِي دعاكَ إلى ذِكْرِ هذا؟

فَقُلْتُ: سمعتُ بعضَ مَنْ هاهنا يقول لأمير المؤمنين: يكفيكَ من كلامِ هذا قبحُ وجهِهِ، فما يضرُّني قُبْحُ وجهي إذا كان الله رزقَني فهم كتابه، وفتح له قلبي وأنطق به لساني(٢).

قَالَ: فتبسَّم المأمون حَتَّى وضعَ يدهُ على فيه.

ثُمَّ قُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، -أطال الله بقاءك- قد رأيتُكَ تنظرُ إلى هذا النَّقش وانتفاخِ الجصِّ وتذكُرُه، وسمعتُ عَمْرًا يدعو على صانعه ويَعيبُه، ولا يعيبُ الجصَّ، ولا يدعو عليه؟!(٣)

---

(١) في (ي) و(م): «ما أبالي أنَّ وجهي أقبح مِمَّا هو، وأنَّني أحسن مِنَ الفهم والعلم أكثر مِمَّا أحسن».

(٢) في (أ) و(م): «فما يضرُّني قُبْحُ وجهي مع ما قد رزقَني الله تعالى من فَهمِ كتابه، والعِلْمِ بِسُنَّةِ نبيِّه محمَّد ﷺ».

(٣) في (ي): «فلهذا الجصّ أعاب عمرو أم لصانعه».

فَقَالَ المأمونُ: العيبُ لا يقع على الشَّيء المصنوع، وإنَّما يقعُ العيبُ على الصَّانع[١].

قُلْتُ: صدق أمير المؤمنين؛ فهذا يعيب رَبِّي لِمَ يَخْلُقْ خَلقًا مِثْلِي![٢]

فازداد تبسُّمه حتَّى ظهر.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلَ عليَّ المأمون، وقالَ: يا عبد العزيز، ناظِرْ صاحبكَ؛ فقد طالَ المجلس بغير مناظرة.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، كُلُّ متناظرَين على غير أصلٍ يكون بينهما يرجعان إليه إذا اختلفا في شيءٍ مِنَ الفروع، فهما كالسَّائر على غيرِ طريقٍ؛ لا يعرفُ الحُجَّة فيتبعها ويسلكها، وهو لا يعرف الموضعَ الَّذِي يريد فيقصده، ولا يدري من أين جاء فيرجع يطلب الطَّريق؛ فهو على ضلالته أبدًا.

ولكن تُوَصِّلُ بيننا أصلًا[٣]؛ فإذا اختلفنا في شيءٍ من الفروع رَدَدناهُ إلى الأصل؛ فإنْ وجدناه فيه وإلَّا رمَينا به ولم نلتفت إليه.

فَقَالَ المأمونُ: نِعْمَ ما رأيتَ يا عبد العزيز؛ فاذكُر الأَصْلَ الَّذِي تريدُ أن يكونَ بينكما، ويذكر بِشْرٌ -أيضًا- مثلَهُ حَتَّى تتَّفِقا على أصلٍ فتؤصِّلاه بينكما.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، -أطال الله بقاءك-

---

(١) في (ي): «لا يقع على الجصِّ العيب إنَّمَا العيب على صانعه».
(٢) في (أ) و(م): «صدقتَ يا أميرَ المؤمنين، ولكِنَّ هذا يعيبُ ربِّي لم خَلَقَني قبيحًا!».
(٣) في (ي) و(م): «ولكِنَّا نُؤَصِّل بيننا أصلاً».

أأصَـلُ بيني وبينه ما أمرنا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ به واختاره لنا وأدَّبَنا به وعلَّمَنا ودلَّنَا عليه عند(١) التَّنازُع في الأشياء والاختلاف فيها، ولم يكِلْنَا إلى أنفسنا ولا إلى اختيارنا؛ فيبعد ذلك علينا.

قَالَ المأمونُ: وذلك موجودٌ عَنِ الله عَزَّوَجَلَّ؟!

قُلْتُ: نَعَمْ يا أمير المؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

فهذا تعليمُ الله تعالى وتأديبُه واختيارُهُ لعبادِهِ المؤمنين، فهو خيرٌ وأحسَنُ ما أصَّلَهُ المتنازعون بينهم، وقد تنازعتُ أنا وبِشْرٌ -يا أمير المؤمنين- فنحن نُؤَصِّل بيننا كتابَ الله تعالى وسُنَّةَ رسولِهِ ﷺ كما أمرنا اللهُ، فَإِنِ اختلفنا في شيءٍ مِنَ الفروع رَدَدْناه إلى كتاب الله تعالى؛ فإن وجدناه فيه وإِلَّا رَدَدْناهُ إلى سُنَّةِ رسوله ﷺ؛ فإن وجدناه فيها وإِلَّا ضَرَبْنَا به الحائطَ ولم نلتفتْ إليه.

فَقَالَ بِشْرٌ: وأين أمرَنا اللهُ تعالى أن نَرُدَّ ما اختلفنا فيه إلى كتاب الله وإلى سُنَّة نبيِّه ﷺ؟

فَقُلْتُ لَهُ: كأنَّكَ ما تسمَعُ ما جرى(٢) وما ابتدأتُ به؟!

قال اللهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

قَالَ بِشْرٌ: فإنَّمَا أمرَ اللهُ أن يردَّه إليه وإلى رسوله، ولم يأمرْنا أن

---

(١) في (ي): «وعلَّمَنا وأدَّبَنا به بعد».
(٢) في (م): «كأنَّكَ لم تكن تسمع ما جرى».

نردَّه إلى كتابه العزيز ولا إلى سُنَّةِ رسوله!

فَقُلْتُ لَهُ: هذا ما لا خلافَ[١] فيه بين المؤمنين وأهلِ العلم؛ إنْ رَددناهُ إلى الله تعالى فهو إلى كتابِهِ، وإن رَددناهُ إلى رسوله -بعد وفاته- فإنَّمَا هو إلى سُنَّته؛ وإنَّما يَشُكُّ في هذا الملحدون، وقد رُوِيَ هذا بهذا اللَّفظ عَنِ ابْنِ عَبَّاس، وعن جماعةٍ مِنَ الأئِمَّة الَّذِين أُخِذَ العلمُ عنهم -رحمة الله عليهم-[٢].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقَالَ لِي المَأمُونُ: افعَلَا وأَصِّلا بينكُما أَصْلًا يا عبد العزيز، واتَّفِقَا عليه، وأنا الشَّاهدُ عليكما، والحافظُ لما يجري بينكما والحاكِمُ عليكما[٣].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّهُ مَنْ ألحَدَ في كتاب الله جاحدًا أو زاهدًا[٤] لم يُناظَرْ بالتَّأويل، ولا بالتَّفسير، ولا بالحديث.

فَقَالَ المأمونُ: فبأيِّ شيءٍ تُناظره؟

فَقُلْتُ: بِنَصِّ التَّنزيل، كما قال اللهُ تعالى لنَبِيِّه محمَّد ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرَّعد: ٣٠].

---

(١) في (ي): «فقلت له: لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يعني: إلى كتابِ الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ؛ هذا ما لا خلافَ».

(٢) انظر: «الشَّريعة» للآجُرِّيِّ (١٠٦)، و«الإبانة» لابن بطَّة (٨٦-٨٧)، و«الفقيه والمتفقِّه» للخطيب البغداديِّ (٥٠٨-٥٠٩)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١٤١٣-١٤١٤).

(٣) في (ي) و(م): «وأنا الشَّاهد بينكما إنْ شاء الله تعالى».

(٤) في (أ) و(م): «جاحدًا أو زائدًا».

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال عَزَّوَجَلَّ لنَبيِّهِ ﷺ حين ادَّعت اليهودُ تحريمَ أشياء لم يحرِّمها عليهم: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وقال تعالى لنَبيِّه محمَّد ﷺ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: ٩٢].

وإنَّما أمرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبيَّه ﷺ بالتِّلاوة ولم يأمُرْهُ بالتَّأويل؛ وإنَّما يكون -يا أميرَ المؤمنين- التَّأويلُ لمن أقرَّ بالتَّنزيل، فأمَّا مَنْ أَلْحَدَ في التَّنزيل فكيف يُناظَرُ بتأويله؟!

فَقَالَ لِي المأمونُ: ويخالفُكَ بِشْرٌ في التَّنزيل؟!

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين[1]، أو لَيَدَعَنَّ قولَهُ ومذهبه ويوافقني على مذهبي!

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبلْتُ على بِشْرٍ، فَقُلْتُ: يا بِشْرُ، ما حُجَّتك على أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، وانظرْ إلى أحَدِ سهمٍ في كنانتكَ فارمِني به، ولا تحتاجُ إلى مُعاودَتي بغيره.

فَقَالَ بِشْرٌ: تقول أنَّ القرآنَ شيءٌ أو غيرُ شيءٍ؟

فإن قلت: إنَّهُ شيءٌ. فقد أقرَرْتَ بأنَّهُ مخلوقٌ؛ إذ كانت الأشياء كُلُّها مخلوقةً بنصِّ التَّنزيل، وإن قلتَ: ليس بشيءٍ. فقد كفرتَ؛ لأنَّكَ تزعمُ أنَّ حُجَّةَ اللهِ على خَلْقِهِ ليس بشيءٍ[2].

---

(١) في (ي) و(م): «نعم ليخالفني».

(٢) في (ي) و(م): «لأنَّك تزعم أنَّهُ حُجَّة الله على خلقه وأنَّ حُجَّة الله ليس بشيء».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: ما رأيتُ شيئًا أعجبَ من هذا![(١)] أتسألني وتجيبُ نَفْسَكَ عنِّي، وتجزِّعُني وتكفِّرني ولم تسمَعْ كلامي ولا قولي؟!

فإنْ كنتَ سألتَ لأجيبنَّكَ، فاستمِعْ منِّي، فأنا أُحسِنُ أُعَبِّرُ عن نفسي وأحتجُّ لمذهبي ومقالتي[(٢)]، وأمَّا إن كنتَ إنَّما تريدُ أن تَخطُب[(٣)] وتتكلَّم لتُدهِشَني وتُنسِيَني حُجَّتي؛ فلن أزداد -بتوفيق الله تعالى إيَّايَ- إلَّا بصيرةً وفهمًا، وما أحسَبكَ -يا بِشْرُ- إلَّا قد تعلَّمت شيئًا، أو سمعتَ قائلًا يقول بهذه المقالة الَّتِي قُلْتَها، أو قرأتها في كتابٍ، فأنتَ تكرهُ أن تقطَعَها حَتَّى تأتيَ على آخرها.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبل المأمونُ على بِشْرٍ، وقَالَ: صدقَ عبد العزيز! اسمَعْ منه جوابَهُ ورُدَّ عليه بعد ذلك بما شئتَ مِنَ الكلام.

ثُمَّ قَالَ لِي: تكلَّم يا عبدَ العزيز، وأجِبْهُ عمَّا سألك.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: سألتَ عَنِ القرآن أهو شيءٌ أم غيرُ شيء؟

فإن كنتَ تريدُ أَنَّهُ شيءٌ إثباتًا للوجودِ ونفيًا للعدم، فنعم هو شيءٌ، وإنْ كنتَ تريدُ أنَّ الشَّيْءَ اسْمٌ له وأَنَّهُ كالأشياء، فلا.

فَقَالَ بِشْرٌ: ما أدري ما تقولُ ولا أفهمهُ ولا أعقِلهُ ولا أسمعُه؛ ولابدَّ من جوابٍ أفهمه وأعقل أَنَّهُ شيءٌ يعقل أو غيرُ شيء؟

---

(١) في (ي): «ما رأيت أعجب منك».

(٢) في (ي) و(م): «فاسمع مِنِّي فإنِّي أحسن أن أجيب عن نَفْسِي وأحتجُّ عن مقالَتِي ومذهبي».

(٣) في (م): «وإن كنت إنَّمَا تريد أن تخطِّئني».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: صدقتَ! إِنَّكَ لا تفهَم ولا تعقلُ ولا تسمعُ ما أقـول(١)، ولقد وصفتَ نَفْسَكَ بأقبح الصِّفات، واخترتَ لها أذمَّ الاختيارات، ولقد ذمَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه مَنْ قال مثلَ ما قلتَ بأقبح ذمٍّ، أو كان مثلَ ما وصفتَ به نَفْسَك، فقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى لنبيِّهِ ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزُّخرف: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٦-١٨]. ومثلُ هذا في القرآن كثيرٌ جدًّا.

ولقد امتدحَ الله تعالى في كتابه أقوامًا بحُسْنِ الاستماع وأثنى عليهم أحسنَ الثَّناء، فقالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزُّمر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠].

---

(١) في (ي): «ولا تسمعُ ما تقول».

وقال المؤمنون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ومثلُ هذا في القرآن كثير[١].

فما اخترتَ لنفْسِكَ ما اختارَهُ الرُّسُل[٢]، ولا ما اختارَهُ المؤمنون، ولا ما اختارهُ أهلُ الكتاب، ولا ما اختارَهُ الجِنُّ والإنس لأنفسهم، ولقد وصفت نفسك بأقبح الصِّفات.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقَالَ لِي المَأْمُونُ: دَعْ هذا يا عبدَ العزيز، وارجِعْ إلى ما كنتَ فيه، واشرَحْ ما قُلْتَه[٣]، واحتجَّ لنفسك.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أجرى على كلامه ما أجراهُ على نَفْسِه، فلم يتسَمَّ بالشَّيء[٤]، ولم يجعل الشَّيْءَ اسمًا من أسمائه، ولكِنَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَلَّ على نَفْسِه أنَّهُ شَيْءٌ أكبرُ الأشياء إثباتًا منه للوجود ونفيًا للعدم، وتكذيبًا منه للزَّنادقة والدَّهريَّة، ومَنْ تقدَّم منهم[٥] مِمَّنْ جَحَدَ معرفته وأنكرَ ربوبيَّتَهُ من سائرِ الأممِ، فقال تعالى لنَبِيِّه محمَّد ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

فدَلَّ على نَفْسِه عَزَّوَجَلَّ أنَّهُ شيءٌ ليس كالأشياء، وأنزلَ في ذلكَ

(١) في (ي): «ولَقَدِ امْتَدَحَ الله أقوامًا في كتابه بحُسْنِ الاستماع، وأثنى عليهم بأحسن الثَّناء، فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ...﴾ [الزُّمر: ١٧] الآية، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ ...﴾ [المائدة: ٨٣] الآية، وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا ... -إلى قوله:- يَدَيْهِ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠]، فوصفهم بحسن الاستماع وتأدية الأمانة في الإنذار لقومهم. ومثل هذا في القرآن كثير».

(٢) في (م): «ما اختاره الرَّسُول».

(٣) في (م): «وارجع إلى ما كنت فيه، وبيِّن ما كنت فيه، واشرحه».

(٤) في (ط): «ما أجراه على نَفْسه (إذ كان كلامه من صفاته) فلم يتسمَّ بالشَّيء».

(٥) في (م): «ومن تقدَّمهم».

خبرًا خاصًا مفردًا لِعلمِهِ السَّابقِ أنَّ جَهْمًا[(١)] وبِشْرًا ومَنْ قال بقولهما سيُلحِدونَ في أسمائهِ ويُشبِّهون على خَلْقهِ[(٢)]، ويُدْخِلُونَه هو وكلامَهُ في الأشياء المخلوقة[(٣)]؛ فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورى: ١١]، فأخرج نَفْسَه وكلامَه وصفاتِه مِنَ الأشياء المخلوقة بهذا الخبر؛ تكذيبًا لمن ألحدَ في كتابه وافترى عليه وشبَّهه بخَلْقهِ الَّتِي ألحد بِشْرٌ فيها، وخالف تأويلها، وقال بغير علم؛ افتراءً على الله، وتحريفًا لكلامه، وردًا لأخباره، ثُمَّ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ثُمَّ عدَّد أسماءَه في كتابه فلم يتسمَّ بالشَّيء، ولم يجعل الشَّيءَ اسمًا من أسمائه، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ للهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٤)].

ثُمَّ عدَّدها[(٥)] فلم نجده جَعَلَ الشَّيْءَ اسمًا لله عَزَّوَجَلَّ؛ فقلتُ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، وتأدَّبْتُ كما أدَّبني اللهُ تعالى وعلَّمَنِي.

ثُمَّ ذكر عَزَّوَجَلَّ كلامَهُ كما ذكرَ نفسَهُ ودَلَّ عليه كما دَلَّ على نَفْسِهِ؛ لِيُعْلِمَ الخلقَ أنَّهُ من ذاتِهِ وأنَّهُ صفةٌ من صفاته، فقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟

---

(١) جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ المُتَكَلِّم أَبُو مُحْرِزٍ، كان ينكر الصِّفَات ويقول بخلق القرآن، وهو الَّذِي أشهر ذلك كُلَّه؛ قُتل سنة (١٢٨ هـ). «السِّير» (٦/ ٢٠٤).

(٢) في (أ): «يلحدون في أسمائه ويُشَبِّهونه على خلقه».

(٣) في (م): «وكلامه في الأسماء المخلوقة».

(٤) رواه البخاريُّ (٢٧٣٦ و٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة.

(٥) حديث سرد الأسماء رواه ابن ماجه (٣٨٥١) وغيره، بسندٍ ضعيف. انظر: «السِّلسلة الضَّعيفة» للألبانيِّ (٢٥٦٣).

ﱡﭐ ﭐﭐﱠ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ٩١]، فذمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اليهود حين نَفَوْا أن تكون التَّوراة شيئًا، وذلك أنَّ رجلًا مِنَ المسلمين ناظَرَ رجلًا مِنَ اليهود بالمدينة، فجعلَ المسلمُ يحتجُّ على اليهوديِّ مِنَ التَّوراة بما عَلِمَ من صفة النَّبيِّ ﷺ وذِكر نبوَّته فيها حَتَّى أثبتَ نبوَّته ﷺ مِنَ التَّوراة، فجحد اليهوديُّ[١]، وقال: ما أنزلَ الله على بَشَرٍ من شيءٍ[٢]، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ تكذيبَهُ وذمَّ قولَهُ، وعظَّم فِريتَهُ حين جَحَدَ أن يكون كلام اللهِ شيئًا، ودَلَّ بذلك على أنَّ كلامه شيءٌ ليس كالأشياء، كما دَلَّ على نَفْسِه أنَّهُ شيءٌ ليس كالأشياء.

ثُمَّ قال عَزَّوَجَلَّ في موضعٍ آخر: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فدَلَّ بهذا الخبر الثَّاني -أيضًا- على أنَّ الوَحْيَ شيءٌ في المعنى، والذَّمّ لمن جَحَدَ أنْ يكونَ كلامُه شيئًا[٣].

فلمَّا أظهرَ عَزَّوَجَلَّ اسمَ كلامِهِ ولم يظهر باسم الشَّيء ولم يجعل الشَّيء اسما من أسمائه؛ فيُلْحِد الملحدون في ذلك، ويُدخلونه في جملة الأشياء المخلوقة، ولكِنَّه عَزَّوَجَلَّ ظهر باسم الكتاب والنُّور[٤] والهُدَى، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى ﴾ [الأنعام: ٩١]، فأظهره باسم الكتاب والنُّور والهدى، ولم يظهره باسم

---

(١) في (أ) و(م): «فضحكَ اليهوديُّ».
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٠٠)، و«أسباب النُّزول» للواحديِّ (ص٢١٩).
(٣) في (م): «فدلَّ بهذا الخبر -أيضًا- على أنَّ الوحيَ شيءٌ بالمعنى، وذمَّ مَنْ جحد أنَّ كلامَ الله شيءٌ».
(٤) في (أ): «باسم الكتاب والنُّوراة».

الشَّيء فيقُول: مَنْ أنزل الشَّيء الَّذِي جاء به موسى؟ فيجعل الشَّيء اسمًا لكلامه.

وكذلك سمَّى تعالى كلامَه كُلَّه بأسماءٍ ظاهرة يُعرف بها، كما سمَّى نفسه عَزَّوَجَلَّ بأسماء ظاهرة يُدْعَا بها(١)؛ فسمَّى كلامَه نورًا، وهُدًى، وشِفَاءً، ورَحْمَةً، وحَقًّا، وقُرْآنًا، وفُرْقَانًا، وأشباه ذلك؛ لعِلْمِهِ السَّابق في جَهْمٍ وَبِشْرٍ ومَنْ يقول بقولهما أَنَّهُم سيُلحدون في كلامه وصفاته(٢) الَّتِي هي من ذاته وسيُدخلونها في الأشياء المخلوقة.

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين، -أطال الله بقاءك- قد أقرَّ عَبْدُ العَزِيزِ: أَنَّ القرآنَ شيءٌ، وادَّعى أَنَّهُ ليس كالأشياء(٣)، فلْيأتِ بنصِّ التَّنزيل -كما أخذَ عليَّ وعلى نَفْسِهِ- أَنَّهُ ليس كالأشياء؛ وإلَّا فقد بطلَ ما ادَّعاه وصحَّ قولي: إِنَّهُ مخلوقٌ؛ إذْ كُنَّا جميعًا قد أجمعنا واتَّفقنا على أَنَّهُ شيءٌ(٤)، وقُلْتُ أنا: هو شيءٌ كالأشياء وداخلٌ في الأشياء، وقال هو: ليس هو شيءٌ كالأشياء، ولا داخلٌ في الأشياء؛ فلْيَأتِ بنصِّ التَّنزيل على ما ادَّعاه: أَنَّهُ ليس كالأشياء، وإلَّا فقد ثبتت الحُجَّة عليه بخَلْقِهِ؛ إذ كان الله عَزَّوَجَلَّ قد أخبرنا بنصِّ التَّنزيل أَنَّهُ ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقَالَ لِي المَأْمُونُ: هذا يلزمُكَ يا عَبْدَ الْعَزِيزِ.

وجعل محمَّد بن الجَهْم وغيرُه يصيحون: ظهرَ أمرُ الله وهُم كارهون، جاءَ الحَقُّ وزَهَقَ الباطلُ.

---

(١) في (أ) و(م): «ظاهرة يُعرف بها».
(٢) في (م): «سيلحدون في أسمائه وصفاته».
(٣) في (م): «وإِنَّهُ لا كالأشياء».
(٤) في (م): «إذ كُنَّا قد أجمعنا واتَّفقنا: أنَّه شيء».

وطمِعوا في قتلي، وجثا بِشْرٌ على ركبتَيه، وجَعَلَ يَقُولُ: أَقَرَّ -واللهِ يا أميرَ المؤمنين- بخلق القرآن.

وأمسكتُ فلم أتكلَّم، حَتَّى قالَ لي المأمونُ: مالكَ لا تتكلَّم يا عبدَ العزيز؟!

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- قد تكلَّم بِشْرٌ وطالبني بنصِّ التَّنزيل على ما قُلْتُ وهو المناظر لي، فضجيجُ هؤلاء أيُّ شيءٍ هو؟! وأنا لم أنقطِع، ولم أعجز عَنِ الجوابِ وإقامة الحُجَّة بنصِّ التَّنزيل كما طالبني؛ ولستُ أتكلَّم وفي هذا المجلس أَحَدٌ يتكلَّم غَيْرُ بِشْرٍ، إلَّا أن ينقطِع بِشْرٌ عَنِ الحُجَّة فيعتزل ويتكلَّم غيره في مكانه.

فَصَاحَ المأمونُ بمحمَّد بن الجَهْم وغيرِه فأمسَكوا.

قالَ عبدُ العزيزِ: فقالَ لي المأمونُ: تكلَّم يا عبدَ العزيزِ، فليس يُعارضكَ أحَدٌ غيرُ بِشْرٍ.

قالَ عبدُ العزيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النَّحل: ٤٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

فدَلَّ تعالى بهذه الأخبار المتتابعات كُلِّها وأشباهٍ لها كثيرة على أنَّ كلامَه ليس كالأشياء، وأنَّهُ غيرُ الأشياء، وأنَّهُ خارجٌ عَنِ الأشياء، وأنَّهُ إنَّمَا تكون الأشياء بأمرِهِ وقوله.

ثُمَّ ذكرَ عَزَّوَجَلَّ خَلْقَ الأشياء كُلِّها فلم يدَعْ منها شيئًا إلَّا ذكَرهُ، وأخرجَ كلامَه وقولَهُ وأمرَهُ منها لِيَدُلَّ على أنَّ كلامَه غيرُ الأشياء

وخارجٌ عَنِ الأشياء المخلوقة؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فجمع في هذه اللَّفظة الخَلْقَ كُلَّه.

ثُمَّ قال: ﴿وَالْأَمْرُ﴾، يعني: الأمر الَّذِي كان به هذا الخَلْقُ، ويكون به الخلق خلقًا.

ففرَّق تعالى بين خَلْقِهِ وبين أمرِهِ؛ فجعلَ الخَلْقَ خَلْقًا والأمرَ أمرًا، وجعلَ هذا غيرَ هذا وهذا غير هذا، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

يقول: إذا أردتُ شيئًا فإنَّما هو كلَمْحِ البصر؛ يقول له: كُنْ كما أُريد، فيكونُ كَلَمْحِ بالبصر(١).

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الرُّوم: ٤]. يقول من قبل الخَلْق ومن بعد الخلق.

ثُمَّ جمع عَزَّوَجَلَّ بين الأشياء المخلوقة(٢) في آياتٍ كثيرةٍ من كتابه، وأخبر بقوله عن خَلْقها وأنَّهُ خَلَقها بقولِه وكلامِه، وأنَّ كلامَهُ وقولَهُ غيرُها وخارجٌ عنها، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

---

(١) في (ي): «يكون بقولي له: كُنْ كما أردت مثل لَمْح البصر».
(٢) في (ي): «ثُمَّ جمع الخلق»، وفي (أ): «ثُمَّ جمع نقل الأشياء المخلوقة».

وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الأحقاف: ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الدُّخان: ٣٨-٣٩].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الرُّوم: ٨].

وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٢].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقَالَ لِي المَأْمُونُ: يُجزئك بعض هذا فاختَصِرْه(١).

---

(١) في (ي): «وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [العنكبوت: ٤٣ - ٤٤]، وقال: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الأحقاف: ١ - ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الدخان: ٣٨ - ٣٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم: ٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الجاثية: ٢٢] الآية، ومثل هذا في القرآن كثير. وإنَّما أختصر لأن لا يطول المجلس. فقال المأمون: يا عبدَ العزيز، يكفيك بعض هذا».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، فقد أخبرنا اللهُ تعالى عن خلق السَّموات والأرض وما بينهما، فلم يَدَعْ شيئًا مِنَ الخَلْقِ إِلَّا ذَكَرَه وأخبرَ عن خَلْقِهِ، وأنَّه إِنَّمَا خَلَقَه بالحَقِّ، وأَنَّ الحَقَّ قولُه وكلامُهُ الَّذِي به خلقَ هذا الخَلْقَ كُلَّه، وأنَّهُ غيرُ الخَلْق، وخارجٌ عَنِ الخَلْق. فهذا نصُّ التَّنزيلِ بأخبار اللهِ وكلامه وقوله أنَّهُ خلق الأشياء كُلَّهَا بقوله وكلامه وأنَّ قولَه وكلامَه غيرُ الأشياء المخلوقة وخارج عنها[1]؛ وإِنَّمَا به تكون الأشياء.

فَقَالَ بِشْرٌ: الله أكبر! الله أكبر! قَدِ ادَّعى يا أميرَ المؤمنين، أنَّ الأشياء إِنَّمَا تكونُ بقوله، ثُمَّ جاء بأشياءَ متبايناتٍ متفرِّقات، فزَعَمَ: أنَّ اللهَ تعالى يخلُق بها الأشياء، فأكذَبَ نَفْسَه ونَقَضَ قولَه من حَيْثُ لا يدري، ورجع عن قوله: أنَّهُ خَلَقَ الأشياء بكلامِه[2]؛ وأميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- الشَّاهدُ عليه وهو الحاكمُ بيننا.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبل عليَّ المأمونُ، فَقَالَ: يا عبدَ العزيز، قد قال بِشْرٌ كلامًا قد قلتَه، وتحتاج أن تصحِّح قولكَ ولا تنقضَ بعضَه بعضًا.

وجعل بِشْرٌ يصيحُ ويقولُ: لو تركناهُ يتكلَّم لجاءنا بألفِ لونٍ مِمَّا خَلَقَ الله بها الأشياء.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، ذهبت الحُجَج وانقطعَ

---

(١) في (أ) و(م): «فهذا نصُّ التَّنزيل على أنَّ كلامَ اللهِ غيرُ الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء».

(٢) في (أ) و(م): «فأكذَبَ نَفْسَه ونقضَ قوله، ورجع عمَّا ادَّعاه من حيثُ لا يدري».

الكلام، ورضي بِشْرٌ وأصحابُهُ بالضَّجيج والتَّرويج إلى الباطل[١] وقطع المجلس، وطلب الخلاص، ولا خلاص مِنَ الله[٢].

قَالَ: فَصَاحَ به المأمونُ: يَا بِشْرُ، أقبِلْ على صاحبكَ واسمَعْ منه، ودَعْ هذا الضَّجيج؛ وكان المأمونُ قد قعد مِنَّا مقعدَ الحاكم مِنَ الخصوم.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبلَ عليَّ المأمونُ، فَقَالَ: تكلَّمْ يا عبدَ العزيز.

فَقُلْتُ: يا بِشْرُ! زعمتَ أنِّي جئتُ بأشياءَ متبايناتٍ متفرِّقات[٣]؛ زعمت: أنَّ اللهَ تعالى قد خلَقَ بها الأشياء، فما قُلْتُ إلَّا ما قال اللهُ تعالى في كتابه، وما جئتُ بشيءٍ غير كلام الله، ولا قُلْتُ -ولا أقولُ- أنَّ اللهَ خلقَ الأشياءَ، ولا يخلقها إلَّا بكلامه.

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين، أليسَ أنَّهُ قد قال: إنَّ اللهَ خلقَ الأشياء بقولِهِ وبأمرِهِ وبكلامِهِ وبالحَقِّ؟

فَقَالَ المَأْمُونُ: بلى؛ قد قلتَ هذا يَا عبدَ العزيزِ.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد قلتُ هذا؛ وما قُلْتُهُ إلَّا على صحَّته، وما خرجتُ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ[٤]، ولا قُلْتُ إلَّا ما قال اللهُ تعالى، ولا أخبرتُ إلَّا بما أَخْبَرَ اللهُ تعالى به مِمَّا يوافقُ بعضُه بعضًا[٥]، ويصدِّق بعضُه بعضًا؛ وكُلُّ ما ذكرَ اللهُ تعالى

---

(١) في (م): «ووصل بِشْرٌ وأصحابُه بالضَّجيج والتَّروُّج إلى الباطل».
(٢) في (ي): «وقطع المجلس، وطلب الخلق».
(٣) في (ي): «متباعدات متفرِّقات».
(٤) في (ي): «فقلت: نعم، وما نسقت كلامي إلَّا على صِحَّة، ولا خرجت عن كتاب الله».
(٥) في (م): «إلَّا بما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به أنَّهُ خلق مِمَّا يوافق بعضه بعضًا».

أَنَّهُ خلَقَ ويخلقُ به الأشياءَ فهو شيءٌ واحدٌ له أسماء: هو كلامُ الله، وهو قولُ اللهِ، وهو أمْرُ اللهِ، وهو الحَقُّ، فقولُ اللهِ هو كلامُه، وكلامُهُ هو الحَقُّ، والحَقُّ هو أمْرُهُ، وأمْرُهُ هو قَوْلُه، وقَوْلُه هو أمْرُهُ، وأمْرُهُ هو قَوْلُه، وقَوْلُهُ الحَقُّ. وهي أسماءٌ شتَّى لشيءٍ واحدٍ[1]، وكما سمَّى كلامَه نُورًا، وهُدًى، وشِفاءً، ورَحْمةً، وقُرْآنًا، وفُرْقانًا. فهذا مثل ذاك، وذاك مثلُ هذا.

وإِنَّمَا أجرى الله تعالى هذا على كلامِه كما أَجْرَاهُ على نَفْسِه لأَنَّهُ من ذاتِه، فسمَّى كلامَهُ بأسماءٍ كثيرةٍ، وهي شيءٌ واحدٌ كما سمَّى نفسه بأسماء كثيرة وهو واحدٌ[2] أحدٌ فردٌ[3] صمدٌ، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى واحد وله أسماء كثيرة، وإِنَّمَا يُنكِر بِشْرٌ هذا ويستعظِمُه لِقِلَّةِ فَهْمِهِ ومعرفتِهِ باللُّغةِ ومعنى كلامِ العرب وألفاظها!

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين، قد أَصَّلَ بيني وبينَهُ أصلًا فهو كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وزعَمَ: أَنَّهُ لا يقبَلُ إِلَّا نصَّ التَّنزيل، فما لنا ولذكرِ لغة العربِ وغيرها؟ ولستُ أقبلُ منه إِلَّا نصَّ التَّنزيل على ما قال: أَنَّ كلامَه هُوَ قَولُهُ، وقوْلَه هو كلَامه، وكلَامَه وقوْلَه هو أمْرُهُ، وأمْرَهُ هو كَلامُه وقوْلُه[4].

فَقَالَ لِي المَأْمُونُ: ذلك يلزمُكَ يا عبدَ العزيز؛ لما عقدتَ على نَفْسِكَ مِنَ الشَّرْط.

---

(١) في (ي): «وهي أشياء متفرِّقة بشيء واحد».

(٢) في (أ): «فسمَّى نفسه بأسماء كثيرة، وهو واحد».

(٣) تسمية الله باسم (الفرد) لا أصل لها، والله أعلم.

(٤) في (أ) و(م): «لستُ أقبلُ منه إلاَّ نصَّ التنزيل بما قال أنَّ كلامَ اللهِ هُوَ قَولُهُ، وهو أمرهُ وهو الحَقُّ».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين، إنَّ ذلك يلزمُني وعليَّ أنْ آتيَ به من نصِّ التَّنزيل.

فَقَالَ: هاتِهِ.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: قال اللهُ تعالى وقد ذكر كلامه، فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة: ٦]، يعني: حَتَّى يسمعَ القرآن؛ لأنَّهُ لا يقدر أن يسمعَ كلامَ الله مِنَ اللهِ، وإنَّمَا عَنَى: القرآن؛ لا خلافَ بين أهل العلم في ذلك، ولا بين أهل اللُّغة وأهل العقل.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح:١٥]، فسمَّى اللهُ القرآنَ كلامَهُ وسمَّاه قولَه، وأخبرنا أنَّ كلامَه هو قولُه وقولَهُ هو كلامُهُ بقوله -عَزَّ مِنْ قَائِلٍ-: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح: ١٥].

فَقَالَ بِشْرٌ: وما يدرينا أيش الَّذِي قال من قبل.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: صدقت؛ إنَّكَ لا تدري أيش عَنَى الله وأراد بقوله، ولكِنَّني أدري ما عَنَى الله وما أراد.

فَقَالَ: اذكره حَتَّى نسمع.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، مَنْ لا يعقل عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما خاطب به نَبِيَّه ﷺ مِنَ القرآن ولا يدري ما في هذه السُّورة وهذه السُّورة، كيف يَدَّعِي العلمَ[1] ويحتجُّ للمقالات والمذاهب ويدعو النَّاس إلى البدع والضَّلالات.

---

(١) في (ي): «وبشر يدَّعي العلم».

فَقَالَ المَأْمُونُ: ارجع إلى ما كنت فيه يا عبدَ العزيزِ، فاشرحه.

فَقَالَ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين.

فَقَالَ بِشْرٌ: لا تخرج عَمَّا كنت فيه بالخُطَب؛ فإنِّي لا أدعك أن تخرج عنه؛ من أين علمت أَنَّهُ عنى بهذا القرآن؟! وأيش القول الَّذِي قال قبل فأرادوا تبديله.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في سورة التَّوبة: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨١ - ٨٣]. أليس هذا القرآن؟!

قَالَ بِشْرٌ: بلى.

قُلْتُ لَهُ: فحظر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بقوله النَّبي ﷺ أن يخرج معه هؤلاء المُخَلَّفُون أبدًا وأن يقاتلوا معه عَدُوًّا فلَمَّا رَجعه تَبَارَكَ وَتَعَالَى إليهم فاستأذنوه للخروج معه، بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ ﴾ [الفتح: ١٥]، فأراد بالخروج معه تبديل كلام الله الَّذِي قاله في سورة التَّوبة: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ ﴾ [التَّوبة: ٨٣]. فأخبر الله عنهم بعلمه فيهم فقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ [الفتح: ١٥]، إِنَّكُم ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ فدَلَّ هذا على أَنَّ القرآنَ كلامُه وأَنَّ كلامَه هو قولُه، وأَنَّها اسْمَا شَيْءٍ وَاحِدٍ، وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ قد ذكر القرآن أَنَّهُ الحَقُّ.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]، فهذا خبرُ الله تعالى عَنِ القرآن أنَّهُ الحقُّ.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦]. فأخبر عَنِ القرآن أنَّهُ الحقُّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤]. فهذا خبرُ الله تعالى وقولُه أنَّ القرآنَ هو الحقُّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]. فهذا خبرُ الله عَنِ القرآن أنه الحقُّ، وقال فيه: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كبِشْرٍ؛ ونعيذ بالله أميرَ المؤمنين من ذلك.

وقال تعالى لنبيِّه محمَّد ﷺ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السَّجدة: ١ - ٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرَّعد: ١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ [القصص: ٥٣].

فهذه كُلُّها -ومثلُها في القرآن كثيرٌ- إِخْبَارُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ القرآنِ أنَّهُ الحَقُّ، فسمَّاه باسمِ الحَقِّ وقَدِ اختصرته، ثُمَّ ذكَرَ عَزَّوَجَلَّ أنَّ القرآنَ قولُه وأنَّ قولَهُ هو الحَقُّ، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

فهذا خبرُ اللهِ عن قولِهِ أنَّهُ الحَقُّ وأنَّ الحَقَّ قولُه.

ثُمَّ ذكر أنَّ الحَقَّ كلامُهُ وأنَّ كلامَهُ الحَقُّ، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٣٣]. فأخبرَ عَنِ الحَقِّ أنَّهُ كلامُه وأنَّ كلامَه الحَقُّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السَّجدة: ١٣]، فهذا خبرُ اللهِ أنَّ الحَقَّ قولُه.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣]، يعني: الملائكة حين سمعوا الوحي حين يفزَّع عن قلوبهم، ثُمَّ يقولون: ماذا قال ربُّكم؟ فيقولون: الحَقَّ.

فهذه أخبارُ الله تعالى كُلُّها عَنِ الحَقِّ أنَّهُ قولُه وأنَّ قولَهُ الحَقُّ، وقول الملائكة. ومثلُ هذا في القرآن كثيرٌ، وأنَّهُ كلامُه وأنَّ كلامَه الحَقُّ.

وقال تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢]. فهذا خبر الله عَزَّوَجَلَّ عن كلامِه أنَّهُ الحَقُّ وأنَّهُ يُحِقُّ الحَقَّ بكلماته[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزُّمر: ٧١]. فهذه أخبار الله تعالى عَنِ الحَقِّ أنَّهُ كلامُه، وأنَّ كلامَه هو الحَقُّ.

ثُمَّ ذكر عَزَّوَجَلَّ أنَّ القرآنَ والكتابَ أَمْرُهُ، وهو قولُهُ وكلامُهُ، فقال

(١) في (أ) و(م): «فأخبر عَنِ الحَقِّ أنَّهُ كلامُهُ، وأنَّ كلامَهُ هو الحَقُّ».

عَزَّوَجَلَّ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآ﴾ [الدُّخان: ١ - ٥]. يعني: القرآن، فأخبر الله تعالى أنَّ القرآنَ أمرُهُ، وأنَّ أمرَهُ القرآنُ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الطَّلاق: ٥]. يعني: القرآنَ، فهذا خبرُ الله تعالى أنَّ القرآنَ أمْرُهُ، وأنَّ أمْرَهُ القرآنُ.

فهذا إخبارُ الله تعالى وقولُه وتعليمُه لخلقه في كتابه؛ أنَّ القرآنَ كلامُه وأنَّهُ الحَقُّ وأنَّ الحَقَّ كلامُهُ، وأنَّ الحَقَّ قولُه، وأنَّ القرآنَ أمْرُهُ وأنَّ أمرَهُ القرآنُ، وأنَّ هذه أسماءٌ شتَّى لشيءٍ واحدٍ، وهو الشَّيءُ الَّذِي خلَقَ اللهُ به الأشياء، وهو غيرُ الأشياء وخارجٌ عَنِ الأشياء؛ وغيرُهُ داخلٌ في الأشياء، ولا هو كالأشياء؛ وبه تكون الأشياء، وهو كلامُه وهو قولُه وهو أمْرُه وهو الحَقُّ؛ فهذا نصُّ التَّنزيل بلا تأويلٍ ولا تفسير.

فَقَالَ المَأْمُونُ: أَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ يا عبدَ العزيز.

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- يحبُّ أن يخطبَ ويهذيَ بما لا أعْقِلهُ ولا أسْمَعُه ولا أفْهَمُه ولا أَلْتَفِتُ إليه، ولا أَعْلَمُ مِمَّا قال شيئًا؛ ولا أتى بحُجَّةٍ، ولا أَقْبَلُ من هذا شيئًا.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- مَنْ لا يعقِلُ عَنِ الله ما خاطبَ به نبيَّه ﷺ، وما علَّمه لعباده المؤمنين في كتابه، ولا يعلَمُ ما أراد اللهُ بكلامِهِ وقولِهِ، كيف يدَّعي العلمَ ويحتجُّ للمقالات[1] والمذاهبِ، ويدعو النَّاس إلى البدع والضَّلالات؟! فقد ضلَّ وأضلَّ.

---

(١) في (م): «ويحتجُّ بالمقالات».

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين، أنا وهو في الهذيانات سواء[١].

ثُمَّ قال لي: أنت تنتزع آياتٍ مِنَ القرآن ولا تعلَمُ تفسيرَها ولا تأويلها، وأنا أَرُدُّ ذلك وأدفعه حَتَّى تأتي بشيءٍ أفهمُه وأعقلُه[٢].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فقلت: يا أميرَ المؤمنين، قد سمعتَ كلامَ بِشْرٍ وتسويتَهُ فيما بيني وبينه، وقد فرَّق اللهُ بيننا ولم يجعلنا على السَّواء، وكذا أخبر الله عَنِّي وعن بِشْرٍ في كتابه وفرَّق بيننا ولم يجعلني وإيَّاه على السَّوَاء[٣].

فَقَالَ المَأْمُونُ: وأين ذلك لك مِن كتاب الله تعالى؟

فَقُلْتُ: قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرَّعد: ١٩].

فأنا واللهِ -يا أميرَ المؤمنين- أَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي أُنزِلَ عليه ﷺ هو الحَقُّ وأؤمنُ به، وبِشْرٌ يشهد على نفسه: أَنَّهُ لا يعلم من ذلك شيئًا ولا يعقله ولا يَقبلُه، ولا هو مِمَّا يقوم لي به عليه حُجَّة. فلم يقل كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، ولا كما علَّم نَبِيَّه محمَّدًا ﷺ أن يقوله، ولا كما قال موسى ﷺ، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب؛ ولقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن جهله، وأَزَالَ عنه التَّذْكِرة، وأخرجَهُ من جملة أهل العلم أولي الألباب والعقول، وأمَّا أمير المؤمنين -أطال الله

(١) في (أ) و(م): «أنا وهو في هذا سواء».

(٢) في (ي): «هو ينتزع آياتٍ مِنَ القرآن ويحتجُّ بها، وأنا أردُّ ذلك وأدفعه عَنِّي حَتَّى يأتي بشيءٍ أفهمُه وأعقِلُه».

(٣) في (أ) و(م): «ولقد فرَّق الله تعالى فيما بيني وبينه، وأخبر أنَّا على غير السَّواء».

بقاءه- فإِنَّهُ لِمَا خصَّهُ اللهُ به مِنَ العقل والفضل[١]، ورزقه من دِقَّة الفهم وكثرة العلم والمعرفة باللُّغَة، فإِنَّهُ فهم عَنِ اللهِ تعالى قولَه وعلم ما أرادَ اللهُ تعالى به وما عنى[٢]؛ فقبلَهُ واستحسنه مِمَّن انتزعه بين يديه، وأظهرَ قبولَه والرِّضا بقوله، وهذا ما يلزم أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- ويلزم الخَلْقَ كُلَّهُم.

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- قد أقرَّ بين يديك أنَّ القرآنَ شيءٌ، فليكن عنده كيف شاء، فَقَدِ اتَّفقنا جميعًا على أنَّهُ شيءٌ، وقد قال اللهُ تعالى بنَصِّ التَّنزيل: إنَّهُ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرَّعد: ١٦]. وهذه لفظةٌ لا تدع شيئًا مِنَ الأشياء إِلَّا أدخلته في الخلق، ولا يخرج عنها شيء يُنسَبُ إلى الشَّيء؛ وقَدِ استقصَت هذه اللَّفْظَةُ الأشياء كُلَّهَا وأتت عليها، مِمَّا ذكَر الله تعالى ومِمَّا لم يذكرها؛ فصار القرآنُ مخلوقًا بنصِّ التَّنزيل بلا تأويلٍ ولا تفسير.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، عليَّ أن أكسرَ قولَه وأكذِّبه فيما قال بنصِّ التَّنزيل، وأدحض حُجَّته حَتَّى يرجع عن قوله، ويقِف أميرُ المؤمنين على كَسْرِ قولِهِ وكَذِبِهِ وإبطالِ ما ادَّعاه، واسْتَشْهَدَ به على ما قال.

فَقَالَ: هاتِ ما عندك[٣].

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]. يعني: الرِّيحَ الَّتِي أُرْسِلَتْ على قوم عادٍ، فهل

---

(١) في (أ) و(م): «مِنَ الفَضْلِ والسُّؤدد».
(٢) في (أ) و(م): «عقلَ عَنِ الله تعالى وعن قوله ما أرادَ به وما عنى به».
(٣) في (أ) و(م): «هاتِ يا عبدَ العزيزِ».

أبقَتِ الرِّيحُ -يا بِشْرُ- شيئًا لم تدمِّره؟

قَالَ: لا، لم تُبْقِ شيئًا إلَّا دمَّرَتْهُ، وقد دمَّرَتْ كُلَّ شيء كما أخبر الله تعالى. لا، لم يَبْقَ شيءٌ إلَّا وقد دخل في هذه اللَّفظة[1].

فَقُلْتُ: واللهِ، قد أكذبَ اللهُ تعالى مَنْ قال هذا بقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥]. والمساكنُ شيءٌ. فهذا خبر الله تعالى عن مساكنهم أنَّها كانت باقية بعد تدمير الرِّيح على ما مرَّت عليه، ومساكنهم -أيضًا- كانت باقية بعد تدميرهم[2].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢]. وقد أتت الرِّيحُ على المال والأرض والجبال والمساكن والشَّجر وغير ذلك فلم يَصِرْ كُلُّ شيء منها كالرَّميم.

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. يعني: بِلْقِيس، وكأنَّ بقولك يا بِشْرُ، يجبُ أن لا يبقى شيءٌ يقع عليه اسم الشَّيء إلَّا دخل في هذه اللَّفظة وأُوتيَتْهُ بِلْقِيس! وقد بقيَ مُلْكُ سليمانَ ﷺ وهو مائة ألف ضعف مِمَّا أوتيته بِلْقِيس، لم يدخل في هذه اللَّفظة.

فهذا كُلُّه مِمَّا يكسِرُ قولَكَ ويَدْحَضُ حُجَّتكَ؛ ومثلُ هذا في القرآن كثيرٌ مِمَّا يُبطلُ قولَك، ولكِنِّي أريد أنْ أبدأ بما هو أشنَعُ وأظهَرُ فضيحةً لمذهبك وأدحضه لباطله، وأدفَعُ لبدعتك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ

---

(١) في (م): «لأنَّهُ لم يبق شيء إلاَّ وقد دخل في هذه اللَّفظة».

(٢) في (أ) و(م): «فأخبرَ عنهم أنَّ مساكنهم كانت باقيةً بعد تدميرهم، ومساكنُهم أشياء كثيرة».

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [هود: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾[فاطر: ١١]. فأخبر اللهُ تعالى في أخبارٍ كثيرةٍ في كتابه أنَّ لهُ عِلْمًا، وأنَّهُ ذو عِلْمٍ.

أفتُقِرُّ يا بِشْرُ، أنَّ لله عِلْمًا كما أخبر به أو تخالفُ نَصَّ التَّنزيلِ؟

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فحاد بِشْرٌ عن جوابي، وأبَى أنْ يُصرِّح بالكفر، فيقول: ليس لله علمٌ؛ فيكون قد ردَّ نصَّ التَّنزيل، فتتبيَّن ضلالته ويشهد بكُفره؛ فأبى أن يقول: إنَّ لله علمًا، فأسأله عن عِلْمِ الله: هل هو داخلٌ في الأشياءِ المخلوقة أم لا؟

وعَلِمَ ما أُرِيدُ وما يَلزمُه في ذلك من كَسْرِ قولِه وإبطالِ حجَّته؛ فاجتلَبَ كلامًا لم أسأله عنه، فقال: معنى عِلْمِهِ أنَّه لا يجهل.

فَأَقْبَلْتُ عَلَى المَأْمُونِ؛ فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا يكونُ الخبرُ عن المعنى قَبْلَ الإقرار بالشَّيء، وإنَّما يكون الإقرارُ بالشَّيء ثُمَّ الخَبَرُ عن معناه؛ فلْيُقِرَّ بِشْرٌ أنَّ لله عَزَّوَجَلَّ عِلْمًا كما أخبرَ اللهُ في كتابه أو يخالف نَصَّ التَّنزيلِ، فإن سألتُه ما معنى العلم؟ فيُجِبني بعد ذلك؛ فهذا ما لا أسأله عنه فليجيبني بهذا الجواب وبغيره إن كان عنده جواب[1]. وقد حَادَ بِشْرٌ يا أميرَ المؤمنين، عن جوابي.

فَقَالَ بِشْرٌ: وهَلْ تعرِف الحَيْدَةَ؟

---

(١) في (أ) و(م): «فإن سألتُه ما معنى العلم؟ وهذا مِمَّا لا أسأله عنه؛ فلْيُجِبني: إنَّ اللهَ لا يجهل».

فَقُلْتُ: نَعَمْ، إنِّي لأعرف الحَيْدَةَ في كتاب الله تعالى، وهي سبيل الكافرين الَّتِي اتَّبعَتها أنت.

فَقَالَ لِي المَأْمُونُ: وهل تجد الحَيْدَةَ في كتاب الله وفي سُنَّة المؤمنين والمسلمين، وفي لغة العَرَبِ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أمير المؤمنين[1].

فَقَالَ: وأين هي من كتاب الله تعالى؟

فَقُلْتُ لَهُ: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في قِصَّة إبراهيم الخليل ﷺ حين قال لقومه: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشُّعَراء: ٧٢ - ٧٣]، وإنَّمَا قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا ليكفِّرهم[2] ويعيبَ آلهتَهُم ويُسفِّه أحلامهم؛ فعرفوا ما أراد، وأنَّهم بين أمرين:

إمَّا أن يقولوا: نَعَمْ، يسمعونا حين ندعوهم وينفعونا ويضرُّونا؛ فيشهد عليهم بلغة قومِهِم: أَنَّهُم قد كَذَبُوا.

أو يقولون: لا يسمعونا حين ندعوا ولا ينفعونا ولا يضرُّونا؛ فينفون عن آلهتهم القُدْرة.

وعلموا ما يلزمهم وأنَّ الحُجَّة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ -في أيِّ القولين أجابوه- عليهم قائمةٌ، فحَادُوا عن جوابه واجتلَبوا كلامًا من غير ما سألهم عنه، فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشُّعَراء: ٧٤]. ولم يكن هذا جوابًا لمسألة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) في (أ) و(م): «فَقَالَ لِي المأمونُ: يا عبدَ العزيز، فهل تعرفُ الحَيْدَةَ في كتاب الله تعالى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين، وفي سنَّة المسلمين، وفي لغة العرب».

(٢) في (ي): «قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا ليكذبهم».

وأمَّا الحَيْدَةُ في سُنَّة المسلمين: فيُروى عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّهُ قال لمعاوية بن أبي سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وقد قَدِمَ عليه فنظر إليه يكاد يتفقَّأ شحمًا، فقال له: يا معاوية، ما هذه الشَّحمة؛ لعلَّها من نومة الضُّحَى وردِّ الخصوم؟

فقال له معاوية: يا أميرَ المؤمنين -يرحمك الله- علِّمني وفهِّمني.

ولم يكن هذا جوابًا لقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إنَّمَا حادَ عن جوابه لِعلْمِهِ بما فيه، فاجتلَبَ كلامًا غيره فأجابَ به.

وأمَّا الحَيْدَةُ في كلام العرب، فقولُ امرئ القيس:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعًا ... عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ، فَانْزِلِ
فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ ... وَلَا تُبْعِدِينِي[١] مِنْ جَنَاكِ الْمُعَلَّلِ[٢]

ولم يكن هذا جوابًا لقولها[٣]، وإنَّما حادَ عن جوابها واجتلَبَ كلامًا غيره.

فَقَالَ المَأْمُونُ لِبِشْرٍ: غلبك عبدُ العزيز يا أبا عليٍّ، إلَّا أن تُقِرَّ أنَّ لله عِلْمًا، فلا تَحِدْ عن جوابه وأَجِبْه[٤].

فَقَالَ بِشْرٌ: قد أَجبتُه أنَّ معنى العلم: أَنَّهُ لا يَجهَل، وهذا هو جوابُه، ولكنَّه يتعنَّت!

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد صَدَقَ، اللهُ تعالى لا

---

(١) في (ي): «ولا تُبعِدينا».
(٢) البيتان من معلَّقته؛ انظر ديوانه (ص١٦).
(٣) في (م): «ولم يكن هذا جوابًا لكلامها».
(٤) في (أ) و(م): «قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فأقبلَ المأمونُ على بِشْرٍ، وقَالَ لَهُ: يا بِشْرُ يأبى عليك عبدُ العزيز إلَّا أن تقول: إنَّ لله علمًا؛ فأجِبهُ ولا تَحِدْ عن جوابه».

يجهل[١]، ولم تكن مسألتي عن هذا[٢]، إنَّما سألتُه أن يُقِرَّ[٣] بالعلم الَّذِي أخبَرَ اللهُ تعالى عنه في كتابه وأثبتَهُ لنَفْسِه، ولم أسألْهُ عَنِ الجهلِ فينفي الجهلَ عَنِ اللهِ تعالى؛ فلْيُقِرَّ أنَّ لله علمًا ولْيَقُلْ بعد ذلك: إنَّ الله لا يَجهَل.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ التفتُّ إلى بِشرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: لا بُدَّ من أن تقول: إنَّ لله علمًا كما أخبرَ الله، أو تردَّ أخبارَ الله تعالى بنصِّ التَّنزيل، أو يقفُ أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- على حَيْدَتكَ عن جوابي.

فَجَعَلَ يَقُولُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ نَفْيَ الجهلِ عنه هو جوابُهُ، وهو الَّذِي عَنَاه اللهُ تعالى في كتابه، وهو والَّذِي يُطالبني به واحدٌ، إلَّا أنَّ اللَّفظين مختلفان!

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ نفيَ السُّوء لا يَثبُتُ به المدح، وإنَّ إثبات المدحة تنفي السُّوءَ، وكذلك نفيُ الجهل لا يُثبت العلم، وإثباتُ العلم ينفي الجهل.

قَالَ بِشرٌ: وكيف ذلك؟

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قُلْتُ لَهُ: إنَّ قولي: هذه الأُسطُوَانةُ لا تَجْهَلُ، ليس هو إثباتُ العِلْم لها.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبلتُ على المأمون، فَقُلْتُ لَهُ: يا أميرَ المؤمنين، لم يمدح الله في كتابه مَلَكًا مُقَرَّبًا ولا نَبِيًّا مُرْسَلًا ولا مُؤمِنًا تَقِيًّا بنفيِ الجهل؛ ليدلَّ على إثباتِ العلم، وإنَّما مدحهم بالعِلْم، فقال

(١) في (م): «صدق: أنَّ الله لا يجهل».
(٢) في (م): «ولم تكن مسألتي إيَّاه على هذا».
(٣) في (ي): «ولم أسأله عن هذا، إنَّما سألتُه عَنِ الإقرار».

تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]. ولم يقل: لا يجهلون ما يعقلون.

وقال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]. ولم يقل: الَّذِين لا يجهلون.

فهذا قولُ الله تعالى ومدحُه للملائكة ولِلنَّبِيِّ ﷺ وللمؤمنين، فمَن أثبتَ العِلمَ -يا أميرَ المؤمنين- نفى الجهل، ومَنْ نفى الجهل لم يُثبت العلم، وعلى الخلق جميعًا أن يُثبتوا ما أثبتَ اللهُ لنفسه وينفوا ما نفى الله عن نَفْسِه ويُمسكوا عندما أمسَكَ اللهُ تعالى. فما اختار بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين- لا من حيثُ اختار تعالى لنفسه، ولا من حيثُ اختار لملائكته، ولا من حيثُ اختارَ لنبيِّه ﷺ، ولا من حيثُ اختار لعبادِهِ المؤمنين؛ فمَن أجهَلُ مِمَّن اختارَ لنَفْسِهِ غيرَ ما اختار اللهُ لنَفْسِه ولملائكته ولأنبيائه ولعباده المؤمنين؟!

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ: فإذا قال بِشْرٌ إنَّ لله تعالى عِلْمًا وأقرَّ بذلك، فيكون ماذا؟

قُلْتُ لَهُ: أسأله يا أميرَ المؤمنين، عن عِلْم الله: هل هو داخلٌ في الأشياء المخلوقة؛ حين احتجَّ بقوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. فزعَمَ بِشْرٌ: أنَّهُ لم يبقَ شيءٌ إلَّا وقد أتى عليه هذا الخبر.

فإن قال: نَعَمْ، فقد دخلَ في الأشياء المخلوقة؛ فقد شبَّه الله تعالى -يا أميرَ المؤمنين- بخَلْقِهِ الَّذِين أخرجَهُم من بطون أُمَّهاتهم لا يعلمون

شيئًا، وكُلُّ مَنْ تقدَّم من قبل عِلْمه(١) فقد دخلَ عليه الجهلُ فيما بين وجوده إلى حُدوثِ عِلْمه، وهذه صفة المخلوقين، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أعظَمُ وأجلُّ من أن يُوصَفَ بذلك ويُنسب إليه.

ومَنْ قال هذا فقد كفر وحَلَّ دَمُهُ، ووجَبَ على أمير المؤمنين قتْلُه.

وإنْ قَالَ: إنَّ عِلْمَ الله خارجٌ عن جملة الأشياء المخلوقة وغيرُ داخلٍ فيها؛ كما أنَّ قولَهُ خارجٌ عَنِ الأشياء وغيرُ داخل فيها، فقد رجع عن قوله وأكذب نَفْسَه وثبتت عليه الحُجَّة. وقُلْتُ لَهُ أنا: فإنَّ كلام الله خارج عن جملة الأشياء وغير داخل فيها كما أنَّ علمَه خارجٌ عَنِ الأشياء وغيرُ داخل فيها(٢).

فَقَالَ المَأْمُونُ: أحسنْتَ أحسنْتَ يا عبدَ العزيز، إنَّما فرَّ بِشْرٌ أن يُجيبكَ في هذه المسألة لهذا.

ثُمَّ أقبل عليَّ المأمونُ، فَقَالَ: يا عبدَ العزيز، تقولُ: إنَّ الله عالم؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين.

قَالَ: فتقولُ: إنَّه سميعٌ بصيرٌ؟

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين.

قَالَ: فتقولُ: إنَّ له سمعًا وبصرًا كما قلت: إنَّ له عِلْمًا؟

فَقُلْتُ: لا أُطلق هذا، كما أطلق هذا(٣).

---

(١) في (ط): «وكُلُّ مَنْ تقدَّم (وجودُه) قبل علمه».

(٢) في (أ) و(م): «وإن قال: إنَّ عِلْمَ الله خارجٌ عن جملة الأشياء وغيرُ داخلٍ فيها؛ كما أنَّ قولَهُ خارجٌ عَنِ الأشياء وغير داخل فيها، فمنْ ثَمَّ تركَ قوله وأنقضَ مذهبه وثبتَتْ عليه الحجَّة فيها».

(٣) في (أ): «لا أُطيق هذا، هكذا يا أمير المؤمنين»، وفي (م): «لا أطلق هذا =

فَقَالَ: أفرقٌ بين هذين؟[1]

فَأَقْبَلَ بِشْرٌ يَقُولُ: يا أميرَ المؤمنين، يا أفقهَ النَّاس، ويا أعْلَمَ النَّاس؛ يقول اللهُ تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨][2].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: يا أميرَ المؤمنين، قد قدَّمتُ له فيما احتججت به[3]: أنَّ على النَّاس كُلِّهم جميعًا أن يُثبتوا ما أثبت الله لنفسه، وينفوا ما نفى الله عنه، ويُمسكوا عمَّا أمسكَ الله عنه[4]؛ فأخبرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّ له علمًا بقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: ١٤]. فقلتُ: إنَّ له عِلْمًا كما قال.

وأخبرنا عَزَّ وَجَلَّ أنه سميعٌ بصيرٌ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠].

فقلت: إنَّهُ سميعٌ بصيرٌ كما قال.

ولم يُخبرنا أنَّ له سَمْعًا ولا بَصَرًا؛ فَقُلْتُ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ، وأمسكتُ عند إمساكِه[5].

= هكذا يا أمير المؤمنين».

(١) في (م): «قال: أيُّ فَرْقٍ بين هذين؟».

(٢) في (ي): «يا أفقهَ النَّاس، ويا أعلَمَهم بقول الله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾».

(٣) في (ي): «قد تقدَّمت إليك فيما احتججت به».

(٤) في (م): «ويمسكوا عندما أمسك الله».

(٥) السَّمْعُ والبَصَرُ صفتان ثابتتان لله تعالى بالكتاب والسُّنَّة؛ كما دلَّت على ذلك النُّصوص وقرَّرَ ذلك الأئمَّة -رضوان الله عليهم- محتجِّين لإثباتهما بالأدِلَّة الصَّحيحة؛ فمن دلالة الكتاب على إثبات صفة السَّمع والبصر قولُه تعالى: =

فأقبل عليهم المأمون، وقَالَ: ما هو مُشَبِّه فلا تكذبوا عليه.

فَقَالَ بِشْرٌ: قد زعمْتَ أنَّ لله تَبَارَكَوَتَعَالَى عِلْمًا، فأيُّ شيءٍ هو عِلْمُ الله، وما معنى علم الله؟

فَقُلْتُ لَهُ: هذا مِمَّا تفرَّد الله عَزَّوَجَلَّ بعلمهِ ومعرفته، وحجبَ عَنِ الخلقِ جميعًا عِلْمَهُ، فلم يخبر به مَلَكًا مُقرَّبًا، ولا نبيًّا مرسلًا، ولا عَلِمَهُ أحدٌ قبلي، ولا يعلَمُهُ أحدٌ بعدي؛ لِأَنَّ عِلْمَ الله عَزَّوَجَلَّ أكبرُ وأوسعُ وأعظَمُ من أن يعلَمَهُ أحدٌ من خلقه، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى

= ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، وقولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولُ الله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وكذلك جاءت السُّنَّةُ مفسِّرةً لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النِّساء: ٥٨]، بإثبات صفةِ السَّمع والبصر؛ حيثُ أشار النَّبِيُّ ﷺ بإبهامه والسَّبابة إلى سمعهِ وبصَرهِ؛ وذلك لتحقيق إثباتِ الصِّفةِ كما قال العلماء.

ويُعتذَرُ للإمام عبد العزيز الكنانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنَّ المقامَ مقامُ مناظرة؛ فلم يستحضر النُّصُوصَ في ذلك، أو أنَّه قصدَ: أنَّهُ لم يَرِدِ النَّصُّ بالتَّصريح بأنَّ له سمعًا وبصرًا.

وعلى كلِّ حال فالحقُّ في هذه المسألة ظاهرٌ بلا ريب، وهي دلالة القرآن والسُّنَّة على إثباتِ صفتَي السَّمع والبصر مع حملِ كلام الإمام عبد العزيز الكنانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما يليقُ به مِنَ الإمَامةِ والفضل.

والله تعالى أعلم.

ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:٢٧].

أتدري يا بِشْرُ: ما معنى هذا؟

فَقَالَ: وأيُّ شيءٍ هذا مِمَّا نحن فيه!

فَقَالَ المأمونُ: قُلْ يا عبدَ العزيز أنتَ: ما معناه؟

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- يقول تعالى: لو أنَّ ما في الأرض من جميع الشَّجر والخشب والقصب أقلامٌ يكتب بها والبحر مدادٌ يمدُّه من بعده سبعةُ أَبْحُرٍ بالمداد، والخلائقُ كُلُّهم يكتبون بهذه الأقلام من هذا البحر، ما نفدت كلماتُ الله؛ فمَن يبلغ عقلُهُ أو فهمُهُ أو فكرُه كُنهَ عظمة الله تعالى(١)، وسَعَة علمِهِ، وكثرة كلامه، وقد قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]. فمَنْ يَحُدُّ عِلْمَ الله أو يصِفُه أو يدَّعي علمه؟!

وقد عجزت الملائكة المقرَّبون عن عِلْم ذلك واعترفوا بالعجز فـ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وسُئل ﷺ عن علم السَّاعة؟ فقال: عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، فِي خَمْسٍ لَا

---

(١) في (م): «أو ذِكْرُه كُنهَ عظمة الله تعالى».

يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَتَلَا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤][(١)].

فأخبر: أنَّ هذه الخمس مِمَّا تفرَّد الله بعِلْمِهِ؛ فلا يعلَمُها، فإذا كان النَّبِيُّ ﷺ لا يعلَمُها ولا يعلَمُ إلَّا ما علَّمه؛ أيَجوزُ لأحدٍ أن يتكلَّف عِلْمهُ أو يدَّعي معرفته؟!

فَقَالَ بِشْرٌ: لا بُدَّ أن تقول: أيُّ شيءٍ هو علم الله؟ أو يقف أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- على أنَّكَ حِدْتَ عَنِ الجواب؛ فأكون أنا وأنتَ في الحَيْدَة سواء.

فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: إنَّك لتأمرني بما نهاني الله تعالى عنه، وحرَّم عليَّ القولَ به، وتأمرني بما أمرني به الشَّيطان، وأتبع أمرَكَ وأمرَه؛ إذْ كنتما قد أمَرتُماني بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ وارتكاب نهيه، ولست أعصي الله تعالى وأخالف أمره وأتبع نهيه وأُحِلُّ حرامه وأطيع الشَّيطان وأطيعك فيما أمرتماني به؛ إذ كنتما قَدِ اتَّفقتما على الأمر بمعصية الله تعالى.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فاشتدَّ تبسُّم المأمون من كلامي، ثُمَّ قَالَ لِي: يا عبدَ العزيز، أمركَ بشرٌ بما نهاكَ الله تعالى عنه وحرَّم عليك القول به، وأمركَ به الشَّيطان؟!

فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين.

قَالَ: ومن أين لك ذلك؟

قُلْتُ: من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وكلامهِ بنصِّ التَّنزيل.

قَالَ: فهاتهِ.

قُلْتُ: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

(١) انظر: «صحيح البخاريِّ» (٤٦٢٧).

بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فحرَّم الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الخبر على الخلق جميعًا أن يقولوا على الله ما لا يعلمون.

وأمرَهُم الشَّيطانُ بضدِّ ذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٦٩]، فهذا تحريمُ الله ونهيهُ لنا: أنْ نقولَ على الله ما لا نعلَم، وهذا أمرُ الشَّيطان لنا أن نقولَ عليه ما لا نعلَم.

وقَدِ اتَّبعَ بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين- سبيلَ الشَّيطان ووافقَهُ على قوله، وأمرَني بما أمرَ به الشَّيطان[1] من ارتكاب نهي الله تعالى وتحريمه؛ حين قال: لا بُدَّ أن تقول: أيُّ شيءٍ عِلْمُ الله؟ وقد أعلَمْتُه أنِّي لا أعْلَمُه، ولا عَلِمَهُ أحدٌ قبلي، ولا يعلَمهُ أحدٌ بعدي.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فكثُر تبسُّم المأمونِ حَتَّى غطَّى فمَهُ بيده، وأطرقَ ينكُتُ بيده على السَّرير.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (م): «وأمرني بما نُهِيتُ عنه».

بَابُ ذِكْرِ [عِلْمِ] اللهِ عَزَّوَجَلَّ

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقَالَ لِي بِشْرٌ: لو وردَ عليك اثنان وقد تنازعَا في عِلْمِ الله تعالى؛ فحلَفَ أحدُهما بالطَّلاق: إنَّ عِلْمَ اللهَ هو الله. وحلفَ الآخر بالطَّلاق: إنَّ عِلْمَ الله هو غيرُ الله. فقالا لك: أفتِنا في أيْمَانِنَا. فما يكون جوابك لهما؟

قُلْتُ: الإمساكُ عنهما وتركُهما وجَهْلَهما، وصرفُهما بغير جواب.

قَالَ بِشْرٌ: يلزمك ويجبُ عليك -إذْ كنتَ تدَّعي العلم- أن تُجيبهما عن مسألتهما، وأن تُخرجهما من أيْمَانِهِمَا؛ وإلَّا فأنت وهما في الجهل سواء.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: ويجب عليَّ أن أجيبَ كُلَّ مَنْ سألني عن مسألةٍ محالٍ، لا أجدُ لها في كتاب الله تعالى ولا في سُنَّة نبيِّه محمَّدٍ ﷺ ذِكْرًا ولا عِلْمًا؟! فهذه ليس لها في كتاب الله تعالى أصلٌ، ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ ذكرٌ، قد جهل السَّائلُ فيها، وحمقَ الحالفُ عليها.

قَالَ بِشْرٌ: يجب عليك أن تُجيبه على مسألته؛ فإنَّهُ لكُلِّ مسألةٍ جواب[1].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: هذا جهلٌ من قائله!

---

(١) في (م): «يجب عليك أن تجيب عن مسألته؛ فإنَّه لا بُدَّ لكُلِّ مسألة من جواب».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبلتُ على المأمون، فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد سمعت ما قال بِشْرٌ: إنَّه يجب عليَّ جوابُ كلِّ مَن سألني عن مسألة، وفُتياه وإخراجُه من يمينه بما لا أجدهُ في كتاب الله، ولا في سنَّة نبيِّه محمَّد ﷺ.

فلو وردَ عليَّ -يا أمير المؤمنين- ثلاثةُ نفرٍ قد تنازعوا في الكوكب الَّذِي أخبرَ الله تعالى أنَّ إبراهيم الخليل ﷺ رآه، بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

فقال أحدهم: حلفتُ بالطَّلاق: إنَّهُ المرِّيخ.

وقال الثَّاني: حلفتُ بالطَّلاق: إنَّهُ المشتري.

وقال الثَّالث: حلفتُ بالطَّلاق: إنَّه الزُّهرة.

فأفتنا في أيماننا وأجِبْنا في مسألتنا.

أكان يجبُ عليَّ أن أُجيبهم في مسألتهم، وأُفتيهم في أَيْمَانِهِم؛ وذلك مِمَّا لم يُخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ عنه ولا رسوله ﷺ؟!

فَقَالَ المأمونُ: ما ذاكَ عليك بواجبٍ، ولا لكَ لازم.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ قُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، لو وردَ عليَّ ثلاثة نفر قد تنازعوا في الأقلام الَّتِي أخبر الله عنها في كتابه، بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

فقال أحدُهم: حلفتُ بالطَّلاق: إنَّها من خشب[١].

وقال الثَّاني: إنَّها من نحاس[٢].

وقال الثَّالث: إنَّها مِنَ الرَّصاص[٣].

---

(١) في (م): «حلفت بالطَّلاق: إنَّ هذه الأقلام نحاسًا».

(٢) في (م): «وقال الآخر: حلفت بالطَّلاق: إنَّها خشب».

(٣) في (م): «وقال الآخر: حلفت بالطَّلاق: إنَّها قصب».

فأجِبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيْمَانِنَا[١].

وذلك مِمَّا لم يُخبرنا اللهُ تعالى به ولا رسوله ﷺ[٢]، ولا يوجدُ عِلْمُهُ في كتابه تعالى، ولا في سُنَّة رسوله ﷺ.

أكان عليَّ -يا أميرَ المؤمنين- أن أُجيبهم عن مسألتهم، وأفتيهم في أيْمَانِهِم؟!

فَقَالَ المأمونُ: لا، ليس عليك إجابتهم، ولا فتياهم.

ثُمَّ قُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، فلو وردَ عليَّ ثلاثة نفر قد تنازعوا في المؤذِّن الَّذِي يؤذِّن بين الجنَّة والنَّار[٣] الَّذِي أخبر اللهُ تعالى عنه، بقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

فقال أحدهم: حلفتُ بالطَّلاق: إنَّ المؤذِّن مِنَ الملائكة.

وقال الثَّاني: حلفتُ بالطَّلاق: إنَّ المؤذِّن مِنَ الإنس.

وقال الثَّالث: حلفتُ بالطَّلاق: إنَّ المؤذِّن مِنَ الجِنِّ.

فأجِبنا عن مسألتنا وأفتنا في أيْمَانِنَا.

وذلك مِمَّا لا أجدهُ في كتاب الله تعالى ولا في سُنَّه نبيِّه ﷺ، ولا أخبَرنا الله تعالى به، ولا رسوله ﷺ.

أكان يجب عليَّ -يا أميرَ المؤمنين- أن أُجيبَهُم في مسألتهم، وأفتيهِم في أيْمَانِهِم؟!

---

(١) في (م): «وأجبنا عن أيماننا».
(٢) في (م): «وذلك مِمَّا لم يخبر الله به ولا رسول».
(٣) في (م): «لو ورد عليَّ ثلاثة نفر قد تنازعوا في المؤذِّن الَّذِي يؤذِّن بين أهل الجنَّة والنَّار».

فَقَالَ المأمونُ: لا، ليس عليك إجابتهم، ولا فتياهم.

فَقُلْتُ: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين، لا يجوزُ لي ولا لغيري بأن يقضي بينهم، ولا يفتيهم إِلَّا أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ قد أخبرَ عن ذلك في كتابه، أو على لسان نبيِّه محمَّد ﷺ، فإذا لم يَجُزْ هذا في خَلْقٍ من خلقِ الله تعالى[1]، فكيف يجوز الجوابُ عن عِلْم الله تعالى؛ وهو مِمَّا لا يوجدُ في كتاب الله ولا سنَّة نَبِيِّه، ولا أخبرَنا اللهُ تعالى به ولا رسوله ﷺ؟!

فقد كذَّبَ اللهُ بشرًا على لسانِ أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- فيما ادَّعاه من وجوب الجواب عليَّ، وفُتيا مَنْ جهلَ في مسألته، وحَمِقَ في يمينه.

فَقَالَ المأمونُ: أحسنْتَ أحسنْتَ يا عبدَ العزيز.

فَقَالَ بِشْرٌ: واحدةٌ بواحدةٍ يا أميرَ المؤمنين، سألَني عبدُ العزيز: أنْ أقولَ: إنَّ لله عَزَّوَجَلَّ علمًا فلم أجبه، وسألته عن معنى علمِ الله فلم يُجبني، فقد استوَينا في الحَيْدَةِ عَنِ الجواب؛ ونخرجُ من هذه المسألة إلى غيرها، وندَعُها على غير حجَّة تثبت لأحدنا على صاحبه فيها[2].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنَّ بِشْرًا قد أُفحِمَ وانقطعَ عَنِ الجواب، ودُحِضَتْ حُجَّتُه، وبقي بلا حُجَّة يُقيمها لهذا المذهب الَّذي كان يدعو النَّاس إليه، فلجأ إلى أن يسألني عن مسألةٍ محالٍ يحتجُّ بها منِّي[3]؛ ليقول: سألني عبدُ العزيز عن مسألةٍ فلم أجبه، وسألتهُ عن مسألةٍ فلم يُجبني عنها، وقد قال ذلك.

وأنا وبِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين- على غير السَّواء في مسألتنا؛

---

(١) في (ي): «وإذا لم يخبر وإذا لم يجد هذا في خَلْقٍ من خلقِ الله تعالى».

(٢) في (م): «لأحد على صاحبه فيما قال».

(٣) في (أ): «مسألة محال يتحد بها مِنِّي».

لأني سألتهُ عمَّا أخبرَ الله تعالى به، وشهدَ به لنَفْسِه، وشهدَتْ له به الملائكةُ، بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، فأخبرَنا الله تعالى عن عِلْمِهِ، وشَهِدَ به لنفسه، وشَهِدَتْ له به الملائكة، وتعبَّد الله تعالى به نبيَّه ﷺ وسائر الخلق بالإيمان به، بقوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]؛ فوجبَ على نبيِّه ﷺ وعلى الخلق جميعًا الإيمانُ بما أنزل الله من كتابه. فبِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين- يأبى أن يؤمنَ بذلك، أو يُقرَّ به، أو يصدِّق به.

وسألني بِشْرٌ عن مسألةٍ سَتَرَ اللهُ تعالى عِلْمَها عن ملائكته ورسله ووأهلِ ولايته جميعًا[1]، وعنِّي وعن بِشْرٍ، وعن سائر الخلق جميعًا، مِمَّن مضى وممَّن هو آتٍ إلى يوم القيامة، فلم يَعلَمْها أحدٌ قبلنا، ولا يعلَمُها أحدٌ بعدَنا؛ فلم يكن لي أن أُجيبه عن مسألته.

وإنَّما يدخل النَّقْصُ[2] عليَّ -يا أميرَ المؤمنين- لو كان بِشْرٌ يعلَمُ ما سألني عنه، أو غيرهُ مِنَ العلماء، وكنتُ أنا لا أعلمه؛ فأمَّا إذا اجتمعنا جميعًا أنا وبِشْرٌ وسائرُ الخلق في جهلِ مسألة وقلَّةِ العلم بها، فليس الضَّررُ بِداخل عليَّ دونه.

وهذه مسألةٌ لا يَحِلُّ أن يسألَ عنها، ولا يَحِلُّ لأحدٍ أن يُجيب فيها؛ لأنَّ الله تعالى حرَّم ذلك عليه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقَالَ لِي المأمونُ: أنتما في مسألتكما على غير

---

(١) في (ي): «عن ملائكته ورسله وأهله ﷺ كُلَّمَا ذكر اللهَ الذَّاكرون وكُلَّمَا غفل عن ذكره الغافلون وأهلِ ولايته جميعًا».
(٢) في (أ): «النَّقصُ».

السّواء، وقد صحَّ قولك[١] في هذه المسألة يا عبدَ العزيز، وبانَ ووضحَ، وظهرت[٢] حُجَّتك على بِشْرٍ فيها.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ورأيتُ بِشْرًا قد حادَ وانقطع بين يدي، واستنار الحَقُّ[٣] ووضحَ لأمير المؤمنين ولسائر مَنْ بحضرته من أهل العلم وغيرهم.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- أرْجِعُ إلى أوَّل المسألة، وأدَعُ ذِكْرَ العلم، وأكسِرُ قولَ بِشْرٍ، وأفضَحُ مذهبه، وأبطِلُ قولَه واحتجاجَه.

فَقَالَ لِي المأمونُ: قد أصبتَ -يا عبدَ العزيز- بتَركِكَ الكلام فيما قد قطع به المجلس من غير أن يرجع إليك عن مسألتك فيها جواب، وقد وقَفْنا من قولك على ما يَلزمُ بِشْرًا في هذه المسألة لو أجابك عن مسألتك، فهات ما عندكَ من غير هذا.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- على كُلِّ مَنِ اكتالَ بمكيالٍ أن يوفِّي به.

قَالَ: ذلك يلزمه.

فَقُلْتُ: يا بِشْرُ، أليس تزعم: أنَّ قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، لفظةٌ لا يخرج عنها شيء؛ لأنَّ لفظة «كُلّ» كلمة تجمع الأشياء، فلا تَدَعُ شيئًا يخرج عنها، وكُلُّ شيء داخلٌ فيها؟!

قَالَ بِشْرٌ: هكذا قلت، وهكذا أقول، وهكذا هو عند الخلق، ولستُ

---

(١) في (أ): «قولكما».

(٢) في (أ): «وصحَّ وظهرت».

(٣) في (أ) و(م): «ورأيتُ بِشْرًا قد حادَ وانقطع، وصحَّ ما في يدي، وبان الحَقُّ».

أرجع عنهُ بكَثرةِ خُطبك وهذَيانك.

فَقُلْتُ لَهُ: أميرُ المؤمنين شاهدٌ عليك بهذا.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: يا بِشرُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام: ١٢].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال له عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في مواضع كثيرة من كتابه: أنَّ له نَفْسًا[(١)].

أفتُقِرُّ يا بِشرُ: أنَّ لله تعالى نَفْسًا كما أخبرنا عنها بهذه الأخبار كُلِّها؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: قال اللهُ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أفتقولُ -يا بِشرُ-: إنَّ نَفْس رَبِّ العالمين داخلةٌ في هذه النُّفُوس الَّتِي تذوق الموت؟!

قَالَ: فصاحَ المأمونُ بأعلى صوته -وكان جَهْوَرِيَّ الصَّوت[(٢)]-: معاذ الله، معاذ الله[(٣)].

---

(١) في (أ): «هذا خبر الله في مواطنَ كثيرةٍ: أنَّ له نَفْسًا».

(٢) في (م): «وكان جهير الصَّوت».

(٣) في (ي): «معاذ الله، معاذ الله؛ أن يكون كلام الله داخلاً في الأشياء المخلوقة=

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ أَنَا -ورفعت صوتي-: معاذ الله، معاذ الله أنْ يكون كلامُ الله تعالى داخلًا في الأشياء المخلوقة؛ كما أنَّ نَفْسَه ليست بداخلةٍ في الأنفس الميِّتة، وكلامُهُ خارجٌ عَنِ الأشياء المخلوقة؛ كما أنَّ نَفْسَه خارجة عَنِ الأنفس الميِّتة.

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين، قد سألني فلْيَسْمَعْ كلامي، ولْيدَعِ الصِّياحَ والضَّجيج.

فَقُلْتُ لَهُ: تكلَّم بما شئت.

فَقَالَ: إذا كانت «نَفْسٌ» ضميرًا أو تُوهِمُ جارحةً، فليست بداخلة في هذه النُّفُوس[1].

فَقُلْتُ لَهُ: كم أُلقي إليك أنِّي أقول بالخبر، وأمسك عن عِلْمِ ما ستر عنَّا، وإنَّمَا قلتُ: إنَّ لله نَفْسًا كما أخبرنا، وقد أقررتَ بذلك؛ فلْتَكُن عندكَ على أيِّ معنًى شئتَ، وقل هي داخلةٌ في هذه النُّفُوس أم لا، ودَعْ عنكَ كلام الخطرات والوساوس.

فَقَالَ لِي بِشْرٌ: أنت رجلٌ متعنِّتٌ؛ يُجابُ عن مسألتكَ فتطلبُ غيرَها، وليس عندي جوابٌ غير هذا؛ وانقطع.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد كسرتُ قولَه في هذه المسألة بالقول الأوَّلِ، والقول الثَّانِي في باب العلم، وكسرتُ قولَه بقوله، ودحضتُ حُجَّته بحُجَّته، وبطلَ ما كان يدعو إليه من بدعتِهِ وضلالته، وبانَ لأمير المؤمنين قُبْحُ مذهبه وفُحْشُ قولِه.

= كما أنَّ نَفْسَه ليست داخلةً فيها».

(١) في (ط): «إذا كانت نَفْسُ (الله) ضميرًا أو توهمًا، فهي خارجة وليست بداخلة في هذه النُّفُوس».

ثُمَّ أقبل عليَّ المأمونُ، فَقَالَ: يا عبدَ العزيز، قد وضحَتْ حُجَّتُك، وبانَ قولكَ، وانكسَرَ قولُ بِشرٍ؛ ونحتاج أن تشرح هذه الأخبار الَّتِي في القرآن ومعانيها، وما أرادَ الله عَزَّوَجَلَّ بها؛ ليسمع مَنْ بحضرتنا، فقد مرَّ اليوم أشياء كثيرة، محتاجٌ مَنْ يسمَعُها إلى معرفتها وفهمها.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى شرَّفَ العربَ وكرَّمهم[1]؛ بأن أنزلَ القرآن بلسانهم، وجعله مكتفيًا[2] على تبيانهم، فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزُّخرُف: ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشُّعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [مريم: ٩٧].

فخصَّ اللهُ تعالى العربَ بفهمه ومعرفته، وفضَّلَهُم على غيرهم؛ بعلم أخباره[3] ومعاني ألفاظه، وخصوصِهِ وعمومِهِ، ومُحكَمِهِ ومُبهَمِهِ، وخاطَبَهُم بما عقلُوهُ وعلمُوهُ ولم يجهلوه؛ وقَبلوه ولم يدفعوه، وعَرفوهُ فلم ينكروه؛ إذْ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثلِ ذلك[4] في خطابهم ولغاتهم وكلامهم، فأنزل اللهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ- القرآنَ على أربعةِ أخبار، خاصَّةٍ وعامَّة:

فمنها خبرٌ مخرجهُ مخرجُ الخصوص، ومعناه معنى الخصوص.

ومنها خبرٌ مخرجهُ مخرجُ العموم، ومعناه معنى العموم.

---

(١) في (أ): «شرَّف العرب وفضَّلهم».

(٢) في (م): «وجعله مكتسبًا».

(٣) في (أ): «فعَلِمُوا أخباره».

(٤) في (ي): «يتعاقبون بمثلِ ذلك».

فهذان خبران مُحكمان لا ينصرفان بإلحادِ ملحد.

ومنها خبرٌ مخرجهُ مخرجُ العموم، ومعناه معنى الخصوص.

ومنها خبرٌ مخرجهُ مخرجُ الخصوص، ومعناه معنى العموم.

ففي هذين الخبرين دخلت الشُّبهة -يا أميرَ المؤمنين- على مَنْ لا يعرفُ خاصَّ القرآن وعامَّه.

فأمَّا الخبرُ الَّذِي مخرجهُ العمومُ ومعناه معنى العموم؛ فهو قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٩١]. فجمعَ بهذا الخبر الخلْقَ والأمر، ولم يُبقِ شيئًا إلَّا وقد أتى عليه؛ لِأَنَّ كُلَّ شيء هو له مِمَّا هو مخلوق، أو غير مخلوق.

فهذا خبرٌ مخرجهُ مخرجُ العموم، ومعناه معنى العموم.

وأمَّا الخبَرُ الَّذِي مخرجهُ مخرجُ الخصوص ومعناه معنى الخصوص، فهو قولُه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٢].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠].

فكان مخرج الخبر لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ(١) مخرج الخصوص، ومعناه معنى الخصوص، وكذلك كان مخرجُ الخبر لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ مخرجُه مخرجُ الخصوص، ومعناه معنى الخصوص.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]. والنَّاسُ اسمٌ يجمع آدم وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ومَنْ بينهما ومَنْ بعدهما، فعقلَ المؤمنون عَنِ الله تعالى عند نزول هذا الخبر أنَّه لم يُعيِّن آدم

---

(١) في (م): «فكان مخرج الأمر لآدم».

وعيسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ في النَّاس الَّذِين خَلَقهُم من ذكرٍ وأنثى؛ لِأنَّه قد قدَّم ذلك في الخبر الخاصّ، ومعناه خاصًّا إلى آدم وعيسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وكان مخرج اللَّفْظ خاصًّا لهما، ومعناه خاصًّا لهما دون النَّاس أجمعين[1].

وأمَّا الخَبَرُ الَّذِي مخرجه مخرجُ الخصوص ومعناهُ معنى العموم، فهو قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النَّجم: ٤٩]. فكان مخرجُ الخبر خاصًّا ومعناه معنًى عامًّا.

وأمَّا الخبر الَّذِي مخرجهُ مخرجُ العموم ومعناه معنى الخصوص، فهو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فكان مخرجُ الخبر مخرجَ العموم، ومعناه معنى الخصوص؛ فعقلَ المؤمنون عَنِ الله عَزَّوَجَلَّ عند نزول هذا الخبر أنَّهُ لم يعيِّن إبليس فيمَن تسَعُهُ الرَّحْمة؛ لما قدَّم فيه مِنَ الخبر الخاصّ قبل ذلك، وهو قولُه تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]. فكان إبليسُ ومَنْ تبعهُ خارجين بهذا الخبر الخاصّ من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ الَّتِي وسعَتْ كلَّ شيء، فصار معنى ذلك الخبر العامُّ خاصًّا؛ لخروجِ إبليس ومَنْ تَبِعهُ من رحمة الله الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شيء.

فلَمَّا أنزل الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ القرآنَ على هذه الأربعة الأخبار، خصَّ العربَ بفهمها ومعرفةِ معانيها وألفاظها، وخصوصها وعمومها، والخطاب بها، ثُمَّ لم يدَعْها عَزَّوَجَلَّ اشتباهًا على خَلْقِهِ؛ ليجدَ الملحدون السَّبيلَ إلى الإلحاد في صفاته، والطَّعن على أخباره، والتَّشبيه على خَلْقِهِ؛ من غير العرب الَّذِين عقلوا عنه ما أراد بخطابه[2]، حَتَّى جعل

---

(١) في (م): «في آدم وعيسى عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وكان مخرج اللَّفظ عامًّا بهما وبغيرهما، ومعناه خاصًّا بالنَّاس دونهما».

(٢) في (م): «من غير العرب الَّذِين لم يعقلوا عنه ما أراد بخطابه».

فيها بيانًا ظاهرًا، وعلمًا واضحًا، لا يخفى على مَنْ سَمِعَهُ وتدبَّرهُ وتفهَّمهُ من غير العرب، مِمَّن لا يَعرف الخاصَّ والعامَّ، والمحكَم والمبهَم؛ تَفضُّلًا منه، وتكرُّمًا وإحسانًا إلى خلقهِ، وإثباتًا منه عَزَّوَجَلَّ للحُجَّة على مَنْ ألحدَ في كتابه وصفاته وما هو من ذاته.

فإذا أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خبرًا مخرج لفظهِ خاصٌّ ومعناه عامٌّ، أو خبرًا مخرج لفظهِ عامٌّ ومعناه خاصٌّ؛ لم يَدعْهُ إشكالًا على خلقهِ حَتَّى يجعل فيه أحدَ بيانَين:

إِمَّا أن يستثني مِنَ الجملة شيئًا؛ فيكون بيانًا للنَّاس جميعًا.

أو يقدِّم قبله خبرًا خاصًا، فإذا أنزل بعده خبرًا عامًّا لم يتوهَّم أحدٌ من العلماء أَنَّهُ عنى ما خصَّه[1] في الخبر الَّذِي قدَّمه قبل نزول العلم في العامِّ؛ إذْ كان قد خصَّه ونصَّه قبل ذلك[2].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: وأمَّا الخبرُ الَّذِي أنزلَهُ على لفظ العموم، ثُمَّ يستثني منه الجملة ما لم يعنه في العموم، فهو مثل قوله تعالى في قصَّة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]. فعقل المؤمنون عَنِ الله عَزَّوَجَلَّ حين استثنى الخمسين سنة مِنَ الألف = أَنَّ الألف سنة لم يستكملها نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قومه أيَّام الطُّوفان، فكان ابتداء اللَّفظ عامًّا بالألف سنة، ومعناه خاصًّا بالاستثناء للخمسين سنة مِنَ الألف. ومثلُ هذا في القرآن كثير.

ولكِنِّي أقتصر من كُلِّ خبر على مسألةٍ[3] واحدةٍ؛ ليقفَ مَنْ بحضرةِ

---

(١) في (م): «إِنَّه غير ما خصَّه».

(٢) في (ي): «الَّذِي قدَّمه قبل نزول العامِّ في العامِّ؛ إذْ كان قد خصَّه ونصَّه بعد ذلك».

(٣) في (ط): «ولكِنِّي أختصر من كُلِّ خبر مسألة».

أمير المؤمنين على ذلك كما أمر.

وأمَّا الخبَرُ الَّذِي نزَّله على مخرجِ العموم، وقد قدَّم قبلَهُ خبرًا خاصًا، فهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فكان مخرجُ الخبر باللَّفظ عامًّا، وكان معناه خاصًا؛ لما قدَّم قبلَهُ مِنَ الخصوص في إبليس ومَنْ تبعه بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، وبقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣]. فعقلَ المؤمنون عَنِ الله عَزَّوَجَلَّ أنَّهُ لم يَعْنِ هؤلاء الَّذِين قدَّم فيهم الأخبار الخاصَّة؛ بخروجهم عَنِ الرَّحْمة، أنَّهم معمومون بالرَّحْمَة مع غيرِهم بهذا الخبر العامّ(١).

وكذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ في قصَّة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١ - ٣٢].

وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣]. فخصَّ الله عَزَّوَجَلَّ المرأةَ بالهلاك، وقدَّم فيها أخبارًا خاصَّة بذلك، ثُمَّ أنزل الله تعالى خبرًا مخرجهُ مخرج الخصوص بالهلاك، وقدَّم فيها أخبارًا خاصَّة بذلك، ثُمَّ أنزل خبرًا مخرجهُ مخرجُ العموم، ومعناه معنى الخصوص، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]. فعقلَ المؤمنون عَنِ الله عَزَّوَجَلَّ أنَّهُ لم يَعْنِ امرأة لوطٍ بالنَّجاة؛ لما قدَّم فيها مِنَ الأخبار الخاصَّة بالهلاك.

---

(١) في (ي): «الَّذِين قدَّم إليهم الأخبار الخاصَّة؛ بخروجهم عَنِ الخبر العامّ، فهم الخروج من رحمة الله في العموم».

وكذلك حين قدَّم إلينا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في نفسه خبرًا خاصًا أَنَّهُ حيٌّ لا يموت؛ بقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. ثُمَّ أنزلَ خبرًا مخرجهُ مخرجُ العموم، ومعناهُ معنى الخصوص، فقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. فعقلَ المؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ لم يُعيِّن نَفْسَهُ مع هذه النُّفُوس الميِّتة؛ لما تقدَّم إليهم مِنَ الخبر الخاصّ في نَفْسِه أَنَّهُ حيٌّ لا يموت(١).

وكذلك حين قدَّم إلينا في كتابه(٢) خبرًا خاصًا فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]. فدلَّ على قوله باسم معرفة، وعلى الشَّيء باسم نكرة؛ فكانا شيئَين مفترقَين عند العرب وأهل اللُّغة، فقال: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾. ولم يقل: إذا أردناهما. وقال: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾. ولم يقل: أن نقول لهما؛ فَفَرَّق تعالى بين القول وبين الشَّيء المخلوق الَّذي يكون بالقول مخلوقًا(٣).

ثُمَّ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. فعقلَ المؤمنون عَنِ الله تعالى عند نزول هذا الخبر العامِّ، أَنَّهُ لم يعيِّن كلامَهُ وقولَهُ في الأشياء المخلوقة؛ بما قدَّمه في ذلك مِنَ الخبر الخاصِّ أَنَّ الأشياء المخلوقة إِنَّمَا تكون بقول الله تعالى.

وإِنَّمَا غلطَ بِشرٌ ومَنْ قال بقوله -يا أميرَ المؤمنين- وهلكوا وتاهُوا وضلُّوا؛ بجَهلهم بالخاصِّ والعامِّ في القرآن، وإِنَّمَا شرَّفَ الله تعالى

(١) في (ي): «لما تقدَّم إليهم مِنَ الخبر الخاصِّ في نَفْسِه تعالى وعظم وتكبَّر عن ذلك».
(٢) في (ي): «قدَّم إلينا في كلامه».
(٣) في (م): «الَّذي يقول بل يكون بالقول مخلوقًا».

العربَ وفضَّلها لمعرفتها بخاصِّ القرآن وعامِّه، ومحكمه ومُبهَمه(١).

فَقَالَ لِي المأمونُ: أحسنْتَ أحسنْتَ يا عبدَ العزيز.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بِشْرًا خالفَ كتابَ الله تعالى، وخالفَ سُنَّة رسول الله ﷺ، وخالفَ إجماعَ أصحاب محمَّد ﷺ.

فَقَالَ لِي المأمونُ: خالفَ بِشْرٌ كتابَ الله، وسُنَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ، وإجماعَ أصحاب محمَّد عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين، أُوقفكَ عليه السَّاعة.

قَالَ: قُلْ.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ اليهود ادَّعت تحريمَ أشياء لم تُحرَّم عليهم في التَّوراة، وزعموا: أنَّها في التَّوراة محرَّمة؛ فقال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. فإذا أتوا بالتَّوراة فتُليتْ عليهم، لم يجدوا ما ادَّعوه محرَّمًا فيها عليهم(٢)؛ كان إمساكُ التَّوراة عند ذلك مكذِّبًا لقولهم، ومبطلًا لدعواهم.

وكذلك أقول لِبِشْرٍ: ائْلُ قرآنًا بما قلتَ؛ وإلَّا فإمساك القرآن عمَّا تدَّعيه مكذِّبٌ لدعواكَ ومُبطلٌ له(٣).

وكذلك ننظرُ في سنَّةِ رسول الله ﷺ؛ فإن كان معه سنَّةٌ من رسول الله ﷺ بما قال؛ وإلَّا كان إمساكُ السُّنَّة مكذِّبًا لقوله، مبطلًا لدعواه، وهما الأصلُ الَّذي أصَّلناه بيننا، وأشهَدْنا أميرَ المؤمنين

(١) في (أ): «وعامِّه، ومُجمَلِهِ ومُبهَمه».
(٢) في (ي): «فإذا أتوا بها فتبيَّنت فلم يوجد ما ادَّعَوْا».
(٣) في (ط): «وإلَّا فإنَّ إمساكَ القرآن عَمَّا تدَّعيه مُكَذِّبٌ لك مبطلٌ لدعواك».

-أطال الله بقاءه- على أنفسنا به، وشَرَطْنا على أنفسنا إسقاطَ كُلِّ ما لم نجدهُ في كتاب الله، ولا في سنَّةِ رسول الله ﷺ.

وأمَّا خلافُ إجماع أصحاب محمَّدٍ ﷺ؛ فإنَّ أصحابَ محمَّد ﷺ اختلفوا في الحلال والحرام، ومخارجِ الأحكام، فلم يُخَطِّئ بعضهم بعضًا[(١)]، فهُم من أن يكفِّر بعضُهم بعضًا أبْعَد.

وبِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين- ادَّعى على الأُمَّةِ كلمةً تأوَّلها من غير عِلْم منه بمعناها وبما أرادَ الله بها، ولم يجد لها في كتاب الله تعالى ما ينصُّها[(٢)]، ولا ما يَدُلُّ على تأويلها، ثُمَّ زعمَ أنَّ مَنْ خالفهُ عليها كافرٌ حلالُ الدَّم؛ فأباحَ دمَ أُمَّة محمَّد ﷺ جميعًا على ذلك؛ فهو خارجٌ عن إجماع أصحاب محمَّد ﷺ[(٣)].

فَقَالَ بِشْرٌ: قد خطبتَ وتكلَّمتَ وهذيتَ، وتركتُكَ حَتَّى تَفرغ؛ فما ادَّعيت إلَّا نصَّ التَّنزيل[(٤)]، ومعي من كتاب اللهِ تعالى آيةٌ لا يتهيَّأ لكَ معارضتُها، ولا دفعُها، ولا التَّشبيه فيها، ولا الخطبُ عليها، كما فعلتَ

(١) في (ي): «فلم يُخفض بعضهم بعضًا».

(٢) في (ي): «لا نجد لها في التَّنزيل ما ينصُّها».

(٣) في (م): «عن إجماع أصحاب محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّم تسليمًا وشرَّف وكرَّم.
تمَّ الكتاب الأوَّل بعون الله وتوفيقه
وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا.
يتلوه الكتاب الثَّاني إن شاء الله
بسم الله الرَّحمن الرَّحيم
وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم».

(٤) في (ط): «مِمَّا ادَّعيت (من إبطال خلق القرآن) بنصِّ التَّنزيل».

في غيرها؛ وإِنَّمَا أَخَّرتُها ليكون انقضاعُ المجلس[١] عليها، وسفكُ دمكَ بها.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: هاتها! فأنا أُشهِدُ أميرَ المؤمنين على نفسي أنِّي أَوَّلُ مَنْ يتَّبعكَ عليها، ويُقِرُّ بها[٢]، ويرجع عن قوله، ويكذِّب نفسَهُ، ويتوبُ إلى الله؛ إنْ كان معكَ نصُّ التَّنزيل بخَلْقِه كما قلت؛ وكُلُّ مَنْ خالفَ نصَّ التَّنزيل فهو كافرٌ، ووالله ثُمَّ والله، لو اجتمعت الإنسُ والجنُّ على ما قلتَ أن يأتوا به، لم يقدروا أن يأتوا به، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٣].

فَقَالَ بِشْرٌ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزُّخرف: ٣].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: واللهِ لا أعلَمُ أحدًا مِنَ المؤمنين إلَّا وهو يؤمنُ بهذا ويُقِرُّ به، ويقول: إنَّ اللهَ تعالى جعلَ القرآن عربيًّا ويقول بذلك. ولا يخالفُ عليه، فأيُّ شيءٍ في هذا مِنَ الحُجَّة لك، والدَّليلِ على خَلْقهِ[٤]؟!

فَقَالَ بِشْرٌ: وهل في الخليقة أحدٌ يَشُكُّ في هذا، أو يخالفُ على أنَّ معنى جعلناه: خلَقناه!

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، ذهبَ نصُّ التَّنزيل الَّذِي

---

(١) في (م): «ليكون انقضاء المجلس». وفي المعجم الوسيط (٢/ ٧٤٢): «انقضع القَوم: تفرَّقُوا».
(٢) في (ي): «أوَّلُ مَنْ يتَّبعكَ عليها، ويقول بقولك فيها».
(٣) في (ي): «والله، لو اجتمعت الإنسُ والجنُّ لم يأتوا بمثله ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾».
(٤) في (أ): «فأيُّ شيء في هذا مِنَ الجُحُود والدَّليل على خَلْقِه».

قال يأتي به، ورجعنا إلى معناه وتأويله.

فَقَالَ بِشْرٌ: ما هذا تأويلٌ، ولا تفسيرٌ، ولا معنًى، ولا هو إلَّا نصُّ التَّنزيل.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلتُ على المأمون، فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنَّ القرآن نزلَ بلسانك ولسان قومك، وأنت أفهَمُ أهل الأرض بلغة العرب ومعاني كلامها، وبِشْرٌ رجلٌ من أبناء الأعاجم، يتلو كتابَ الله ويتأوَّله على غير ما عَناهُ الله، ويُحرِّفه عن مواضعه، ويبدِّل معانيه، ويقولُ ما تُنكرهُ العربُ، ولا تتعارفه في كلامها ولغاتها، وأنْتَ أعلَمُ خلْقِ الله بلُغةِ قومك ومعاني كلامهم؛ وإنَّمَا يُكفِّر بِشْرٌ النَّاسَ ويُبيح دماءهم بتأويل القرآن(١).

فَجَعَلَ بِشْرٌ يَقُولُ: جاء الحَقُّ وزهقَ الباطل، تَروحُ يا عبدَ العزيزِ إلى الكلام والخطَب، والاستعانة(٢) بأمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- لينقطعَ المجلس، قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]. ثُمَّ ضربَ بِشْرٌ يده على فخِذي، وقال: أقبِلْ عليَّ؛ فقد أتيت بما لا تقدرُ على دفعه(٣)، ولا على التَّشبيه فيه، ليُقطَع المجلسُ بثبات الحُجَّة عليك، وإيجاب العقوبة عليك، وليكُن عندكَ شيء تتكلَّم به، وإلَّا فقد قطعَ الله مقالتكَ، وأدحضَ حُجَّتك، وجعل يصيح: فَرَّحناكَ في أوَّل المجلس، وأطمَعناكَ حَتَّى انبسطت في الكلام(٤)، وتوهَّمْتَ أنَّكَ قد قدرتَ على ما أردتَ، فأين

---

(١) في (م): «ويبيح دماءهم بتأويل التَّنزيل».
(٢) في (م): «والخطب والاستغاثة».
(٣) في (ي): «ثُمَّ ضربَ بيده على فخِذه وقال: أقبِلْ عليَّ؛ فقد أثبتُّ ما لا تقدرُ على دفعه».
(٤) في (ي): «وأطمَعناكَ حتَّى استطبت في الكلام».

كلامُكَ، وأينَ احتجاجُك؟ انقطع ذلك، وجاء ما يُخرِسُ اللِّسان ويُذهِبُ بالعقل ويُحِلُّ الدَّم.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبل عليَّ المأمونُ، فَقَالَ: مالك -يا عبدَ العزيز- قد أمسكتَ؟! أجِبْهُ إنْ كان عندكَ جوابٌ لمسألته.

فَقُلْتُ: ليس يَدَعُنِي -يا أميرَ المؤمنين- أكلِّمه من ضجيجهِ وصياحه، فإنْ أمسكَ تكلَّمتُ وأجَبته، وكسَرْتُ قولَهُ بإذن الله بنصِّ التَّنزيل، وإن أرادَ أن يَهذي ويتروَّح[1] إلى قطعِ المجلس لم أتكلَّم، وكان أميرُ المؤمنين -أطالَ الله بقاءه- أعلى عينًا بما يراه.

فَصَاحَ به المأمونُ: أمسِكْ -يا بِشْرُ- واسمَع الجوابَ منه عمَّا سألت.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأمسَكَ.

فَقَالَ لِي المأمونُ: تكلَّم -يا عبدَ العزيز- بما تريد.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال اللهُ بقاءك- ما يَخفى عليكَ حرفٌ واحدٌ مِمَّا جرى اليوم في مجلسك، وَلَنِعْمَ الحاكمُ أنت، جزاكَ اللهُ عن رعيَّتِكَ خير الجزاء، وأمَّا بِشْرٌ فيقولُ الشَّيء على ما يخطرُ ببَالِهِ بغير علم، ولا حقيقة لقوله؛ فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يحفظ علينا ألفاظَنا، وما يجري بيننا في هذه الآية[2]، ويشهدَ علينا بما نقول مِنَ الكتاب والسُّنَّة فَعلَ، ويطالبُ كُلَّ واحدٍ منَّا صاحبَهُ بإقامة الشَّاهد على ما يقولُ مِنَ الكتاب والسُّنَّة فَعلَ.

فَقَالَ: أنا أفعل ذلك منذ اليوم، فتكلَّم بما تريد؛ فلن يدفع شيئًا مِمَّا يجري بينكما بالإنكار.

---

(١) في (ط): «يهذي ويروج الكلام».

(٢) في (م): «في هذه المسألة».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلتُ على بِشْرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَخبِرْني عن «جَعَلَ» هذا حرفٌ محكَمٌ لا يحتملُ معنى غير الخلْق؟!

فَقَالَ بِشْرٌ: نعم! هو حرفٌ محكمٌ لا يحتملُ معنًى غيرَ الخلق؛ وما بين «جعل» و«خلق» فرقٌ عندي، ولا عند غيري من سائر النَّاس، ولا عندَ أحدٍ مِنَ العرب، ولا مِنَ العجم إلَّا هذا، ولا يتعارفون النَّاس، ولا يعقلون غير هذا في كلامهم ولغاتهم، سواءٌ عندهم قالوا: «خلق» أو «جعل».

فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: أخبرني عن نفسكَ، ودَعْ ذِكْرَ العرب وسائر النَّاس؛ فأنا مِنَ النَّاس ومِنَ الخَلْقِ ومِنَ العرب أُخالفُكَ على هذا، وكذلكَ سائرُ العرب تُخالفك.

فَقَالَ بِشْرٌ: هذا باطلٌ منك، ودعوى تدَّعيها على العرب وغيرهم، وليس يخالفُ في هذا أحدٌ من خَلْقِ الله تعالى غيرُك؛ خوفًا على نفسك مِمَّا هو بكَ نازلٌ لا محالة.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: أخبرني عن إجماعِ الخَلْقِ كُلِّهم بزعمكَ على أنَّ «جعل» و«خلق» واحدٌ لا فَرْقَ بينهما، في هذا الحرف وَحْدَهُ أم في سائر ما في القرآن والأخبار والأشعار وكلام العرب(١).

فَقَالَ: بل في سائر القرآن(٢)، وفي سائر الكلام والأخبار والأشعار.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: قد حفظ أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- عليكَ ما قلتَ، وشهدَ به عليك.

---

(١) في (م): «في هذا الحرف وحدَهُ أو في سائر القرآن من جعل».
(٢) في (م): «في سائر القرآن من ذلك».

فَقَالَ بِشْرٌ: أنا أُعيدُ هذا القولَ عليكَ متى سألتني عنه، ولا أُخالفه ولا أرجعُ عنه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: زعمتَ أنَّ معنى ﴿ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾: خلقناه قرآنًا عربيًّا[1].

قَالَ: نَعَمْ، هكذا قلتُ، وهكذا أقولُ أبدًا.

فَقُلْتُ لَهُ: أخبرني: آلله تفرَّد بخلق القرآن، أو يُشاركه في خلقه أحد[2]؟

قَالَ: بل اللهُ خلَقَهُ، وتفرَّد بخَلْقِهِ، ولم يُشاركه في خَلْقِهِ أحد.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: أخبرني عَمَّن قالَ: إنَّ بعضَ ولدِ آدمَ خلَقوا القرآن من دون الله. أمؤمنٌ هو أم كافر؟

فَقَالَ: بل هو كافرٌ حلالُ الدَّم.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: وأنا أقول -أيضًا- هكذا: إِنَّهُ كافرٌ حلالُ الدَّم.

قُلْتُ: فأخبرني عمَّن قال: إنَّ التَّوراة خلقَها اليهودُ من دون الله. أمؤمنٌ هو أم كافر؟

قَالَ: بل كافرٌ حلالُ الدَّم.

فَقُلْتُ: وأنا أقولُ -أيضًا- هكذا: كافرٌ حلالُ الدَّم.

قُلْتُ: فأخبرني عمَّن قال: إنَّ الله قال لبني آدم: لا يخلقون الله. وقال في موضعٍ آخر: وقد خلقتم الله[3]. أمؤمنٌ هو أم كافر؟

---

(١) في (ي): «زعمت: أنَّ معنى جعلناه: خلقناه».

(٢) في (م): «فقلت له: الله عَزَّوَجَلَّ تفرَّد بخلقه ولم يشاركه فيه أحدٌ، أو شاركه في خلقه أحد».

(٣) في (ط): «قال: إنَّ بني آدم خلقوا الله، وأنَّ الله أخبر بذلك».

قَالَ: بل كافرٌ حلالُ الدَّم.

قُلْتُ: وأنا أقولُ -أيضًا- مثل ذلك.

فأخبرني -يا بِشْرُ- أليسَ الله خلقَ الخلْقَ كُلَّهم أجمعين؟

قَالَ: بلى.

قُلْتُ: فهل شاركَهُ في خَلْقهم أحد؟

قَالَ: لا.

قُلْتُ: فمَنْ قال: إنَّ بعضَ ولد آدم خلَقوا الله. أمؤمنٌ هو أم كافر؟

قَالَ: بل كافرٌ حلال الدَّم.

قُلْتُ: وأنا هكذا -أيضًا[١]-.

قَالَ بِشْرٌ: قد قعدت تمتحنني وتشغلني؛ حَتَّى يؤذِّن الظُّهر وينقطعَ المجلسُ، رجاءَ أن تنصرفَ منه سالمًا، وهذا ما لا يكونُ، فإن كان عندكَ جوابٌ لمسألتي؛ وإلَّا فقد انقطعَ الكلام، وأيُّ شيء هذه الخرافات؟!

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين! ليس يُنصِفُني؛ فَأْمُرْهُ أن يُجيبني عمَّا أسأله عنه، فإنَّ الَّذِي بقي أيسَرهُ؛ ثُمَّ أُجيبه عن مسألته وعن كلامه.

فَقَالَ لَهُ المأمونُ: أَجِبْهُ عن كلامه، وما يسألك.

قَالَ: السَّاعة يؤذِّن بالصَّلاة، وينقطعُ المجلس.

فَقَالَ المأمونُ: نُؤخِّر الآذانَ للصَّلاة[٢] إلى آخر الوقت، فإن احتَجْنا[٣] أن تجلسا بعدَ الصَّلاة لتمامِ الكلام جلستُ لكما حتَّى تفرغا.

---

(١) في (م): «وأنا هكذا أقول».

(٢) في (ط): «يؤخِّر الآذان بالصَّلاة».

(٣) في (ي): «فإن احتَجْتما».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبلَ عليَّ المأمونُ، وَقَالَ: سَلْهُ -يا عبدَ العزيز- عَمَّا تريد، ولا تدَعْ شيئًا مِمَّا تحتاجُ إليه؛ فإنِّي متحفِّظٌ عليكما جميعَ ما يجري بينكما، وشاهدٌ به عليكما.

فأقبلت عليه فَقُلْتُ لَهُ: جَزَاكَ اللهُ عنِّي -يا أميرَ المؤمنين- خاصَّةً، وعن رعيَّتكَ عامَّةً أفضلَ الجزاء؛ فلقد جلستَ منَّا اليوم مجلسَ الإمام العادل، أحسنتَ إليَّ حين رأيتَني جَزِعًا، فسكَّنتَ رَوعي، وآنستَ وحشتي، وبسطْتَ لساني بحُجَّتي، وتابعتَ الحقَّ حين ظهرَ لك[١]، واتَّبعته ونصرتَ أهلَه[٢]، وشهدتَ لي بثبات الحُجَّة، وذممتَ أهلَ الباطل[٣] حتَّى زهق واضمحلَّ ورأيتَ فضيحته[٤]، وشهدتَ على بُطلانه، وأنصفتَ مَنْ بمجلسك؛ وكان ذلك كُلُّه منك بتوفيق الله وتأييده إيَّاك، فلَهُ الحمدُ والشُّكْر على ما أولاك وأولى[٥] رعيَّتك فيك[٦]، فجزاك الله أفضلَ ما جزى أحدًا مِنَ الأئمَّة عن رعيَّته.

فَقَالَ لِي المأمونُ: قد أبلغتَ -يا عبدَ العزيز- في القول والشُّكْر! ولك الزِّيادة فيما ابتدأناكَ به؛ فارجِع إلى مسألة بِشْرٍ، واسأله عمَّا بدا لك.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلتُ على بِشْرٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أخبرني عمَّن زعمَ أنَّ

(١) في (أ): «حتَّى ظهرَ لك».
(٢) في (أ): «ووافقته ونصرتَ أهلَه»، وفي (م): «ودافعت وانتصرت له».
(٣) في (م): «ودفعت أهلَ الباطل».
(٤) في (م): «وبانت فضيحته».
(٥) في (أ): «ما أبلاك وأبلى».
(٦) في (ي): «وشهدتَ على إثبات الحُجَّة، وذممتَ الباطل حتَّى اضمحلَّ ورددته ودمغته وشهدتَ على إثبات الحُجَّة وأنصفتَ مَنْ بمجلسك، ومنعت مِنَ التَّطَاول بغير الحَقِّ فيه ولقد أعطيت الله حَقَّ مجلسه».

بعضَ بني آدم خلَقوا الملائكة من دون الله تعالى، أمؤمنٌ هو أم كافر؟

فَقَالَ: بل كافرٌ حلالُ الدَّم.

فَقُلْتُ: وأنا أقول هكذا -أيضًا-.

فَقُلْتُ: أخبرني عمَّن زعمَ أنَّ بعضَ بني آدم خلقوا لله شركاء، أمؤمنٌ هو أم كافر؟

فَقَالَ: بل كافرٌ حلالُ الدَّم.

فَقُلْتُ: وأنا أقول هكذا -أيضًا-.

قُلْتُ: أخبرني عمَّن زعمَ أنَّ بعضَ بني آدمَ خلَقُوا لله أندادًا، أمؤمنٌ هو أم كافر؟

قَالَ: بل كافرٌ حلالُ الدَّم.

فَقُلْتُ: وهكذا أقول أنا -أيضًا-.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلتُ على المأمون، فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، قد أقرَّ بِشْرٌ أنَّهُ كافرٌ حلال الدَّم، وكُلُّ مَنْ قالَ بقوله ووافقَهُ على مذهبه.

ثُمَّ ندمتُ على قولي: وكُلُّ مَنْ قالَ بقوله ووافقه على مذهبه، وعلِمْتُ أنِّي قد أخطأتُ.

وأطرقَ المأمونُ إطراقَ مُغضَب.

ونظرَ إليه بِشْرٌ، فَقَالَ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- يُكفِّرنا ويُحِلُّ دماءنا بحضرتكَ وفي مجلسكَ بلا حُجَّة ظهرت، وإنَّمَا تسبَّبَ بذلك الكلام ليقول هذا.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: شهِدَ عليكَ أميرُ المؤمنين -أطال الله

بقاءه- بما قلته[١].

فَقَالَ لِي المأمونُ: لقد أفحشتَ القولَ وأعظَمْتَهُ واستشهَدتَني على ما لم أسمعهُ ولم أشهد به على بِشرٍ ولا على أحدٍ مِمَّن يقولُ بقوله، ولا لَفظ بهذا منذ اليوم ولا حفظته عليه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- اسمَعْ قولي؛ فإنْ كنتُ قُلْتُ حقًّا، وكان بِشْرٌ قد كفَّرَ نَفْسَه ومَنْ قال بمقالته، وأَحَلَّ دمه ودماءَهُم، وانتزعتُ على كُلِّ حرفٍ من كلامي آيةً من كتاب الله تعالى = وإلَّا فدمي حلال، وليأمر أميرُ المؤمنين بضرب عنقي السَّاعة[٢] على رؤوس الأشهاد، وإن أثبتُّ[٣] على ما قلتُ ولفظتُ به بنصِّ الكتاب والتَّنزيل في كُلِّ لفظةٍ وأقمتُ الشَّهادة على بِشْرٍ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ وسِعَني عدلُ أمير المؤمنين.

قَالَ: فَقَالَ لِي: هاتِ ما عندك ولا تُطِل الكلامَ بغير حُجَّة.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾

---

(١) في (ي): «قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبلت على المأمون، فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد أقرَّ بِشْرٌ أنَّهُ كافر حلال الدَّم. فأطرق المأمونُ مغضبًا، ونظر إليه بِشْرٌ، فَقَالَ: يا أميرَ المؤمنين، يكفِّرنا أجمعين. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: إنَّ أمير المؤمنين خارج عن جملة من عنيته، وأنَّهُ مخالف لقولهم. فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين، يُكفِّرنا ويُحِلُّ دمائنا بحضرة أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه- من غير مناظرة جرت ولا حُجَّة ظهرت؛ وإنَّمَا سبَّب الكلام ليقول هذا. فأقبلتُ على المأمون، فَقُلْتُ: يشهد أميرُ المؤمنين عليَّ بما قلت».

(٢) في (أ): «وإلَّا فدمي حلال، وأميرُ المؤمنين يضربُ عنقي في هذه السَّاعة».

(٣) في (م): «وإن أتيت».

[النّحل: ٩١]. فزعمَ بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين-: أنَّ معنى ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾: وقد خلقتم الله عليكُم كفيلًا؛ لا معنى لذلك [عنده] غيره، وإنَّه ومَنْ قال بقولِهِ فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، ومَنْ خالفهُ وسائرُ العرب والعجم يقولون هذا.

ثُمَّ قَالَ: مَنْ قال هذا فهو كافر حلالُ الدَّم؛ وقد كذَبَ في القول الأوَّل، وصدقَ في قوله: إنَّ مَنْ قال هذا حلالُ الدَّم بإجماع الأمَّة.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. فزعمَ بِشْرٌ: أنَّ معنى ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: ولا تخلقوا الله عُرضةً لأيمانكم؛ لا معنى له عنده وعند مَنْ قال بقوله ومَنْ خالفه، ولا عند سائر الخلق جميعًا غير هذا.

وأنَّهُ قال لبني آدم: ولا تخلُقوا الله. ثُمَّ قال: مَنْ قال هذا فهو كافر حلال الدَّم، وأميرُ المؤمنين يشهدُ عليه بهذا اللَّفْظ؛ وقد كذبَ في قوله: إنَّ معنى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ﴾: ولا تخلقوا. وصدقَ في قوله: إنَّ مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم؛ بقوله وقولي وقول النَّاس جميعًا.

فَقَالَ المأمونُ: ما أقبحَ هذا القول وأشنَعَه، وأعظَمَ القولَ فيه!

فَقُلْتُ: قال الله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النَّحل: ٥٧]. فزعم بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين-: أنَّ بني آدم يَخلقون لله البنات، ويُخبر بذلك عَنِ الله، وأنَّهُ هو قاله، ويشهدُ به على نَفْسِه؛ ثُمَّ قال: مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، وقد صدقَ في قوله الأخير، وكَذَبَ في قوله الأوَّل، ومَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم بإجماع الأُمَّة.

قُلْتُ: قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٣٠]. فزعمَ بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين-: أنَّ معنى ﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾: وخلقوا.

لا معنى له عنده وعند مَنْ قال بقوله غير هذا، فزعمَ عَنِ الله تعالى أنَّهُ قال: وخلَقوا لله أندادًا. ثُمَّ قال: مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، وقد كَذَبَ في قوله الأوَّل وصدقَ في قوله: إنَّهُ مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم بإجماع الأمَّة.

قُلْتُ: وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٠]. فزعم بِشْرٌ: أنَّ معنى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾: وخلقوا لله شركاء الجِنَّ. لا معنى له عنده ولا عند مَنْ قال بقوله ومَنْ خالفه، ولا عند سائر النَّاس إلَّا هذا، فزعمَ بِشْرٌ: أنَّ الله تعالى أخبر: أنَّهُم يخلقون له شركاء الجِنَّ. ثُمَّ قال: مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، وقد كذبَ في قوله: أنَّ معنى ﴿ وَجَعَلُواْ ﴾: وخلقوا. وصدقَ في قوله: أنَّ مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم بقوله وقول النَّاس جميعًا.

قُلْتُ: قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ [الرَّعد: ٣٣]. فزعمَ بِشْرٌ: أنَّ معنى ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾: وخلقوا لله شركاء. لا معنى له عنده وعند مَنْ قال بقوله ومَنْ خالفه، ولا عند العرب والعجم إلَّا هذا المعنى، فزعم بِشْرٌ: أنَّ الله أخبر: أنَّهُم خلقوا لله شركاء، وكذبَ بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين- وقال الباطلَ والزُّورَ؛ ولقد نفى الله تعالى ذلك وأبطَلَهُ، وأخبرنا: أنَّهُ لا يعلَمُ من هذا شيئًا، وأخبرنا: أنَّ مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم(١) بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الرَّعد: ٣٣].

(١) في (م): «مَنْ قال ذلك كافرٌ ضالٌ».

قُلْتُ: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]. فزعمَ بِشْرٌ: أَنَّ معنى ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾: خلَقَا له شركاء. لا معنى له عنده وعند مَنْ قال بقوله وعند النَّاس جميعًا غير هذا، ثُمَّ قال: مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلال الدَّم، وكذبَ في الأَوَّل وصدقَ في الآخر: أَنَّهُ كافرٌ حلالُ الدَّم بإجماع الأُمَّةِ.

قُلْتُ: قال الله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرَّعد: ١٦]. فزعم بِشْرٌ: أَنَّ معنى ﴿أَمْ جَعَلُوا۟﴾: أم خلقوا. لا معنى لذلك عنده وعند مَنْ قال بقوله وعند النَّاس جميعًا غير هذا، وزعم: أَنَّ مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، وكذبَ في قوله الأَوَّل وصدقَ في الآخر: أَنَّهُ كافرٌ حلالُ الدَّم بإجماع الأُمَّة.

قُلْتُ: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزُّخرف: ١٩]. فزعم بِشْرٌ: أَنَّ معنى قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: وخلقوا الملائكة. ثُمَّ قال: مَنْ قال به فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، وقد كذبَ في الأَوَّل وصدق في الآخر: أَنَّ مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم بإجماع الأُمَّة.

قُلْتُ: قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ [الأنعام: ٩١]. فجعل بِشْرٌ: أَنَّ معنى[1] ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾: تخلقونه. يعني: أَنَّ اليهود خلقوا التَّوراة، ومعنى خلق التَّوراة: خلق كلام الله تعالى، فزعم بِشْرٌ: أَنَّ اليهود خلقوا كلام الله تعالى، وأَنَّهُ لا معنى لذلك عنده ولا عند غيره ومَنْ قال بقوله ولا عند سائر العرب والعجم غير ذلك. ثُمَّ قال: مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، فكذبَ في الأَوَّل وصدقَ في الآخر: أَنَّهُ كافرٌ حلالُ الدَّم.

(١) في (م): «فزعم بِشْرٌ -يا أمير المؤمنين- أَنَّ معنى».

قُلْتُ: وقال الله تعالى: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩٠ - ٩١]. فزعم بِشْرٌ: أنَّ معنى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾: الَّذِين خلقوا القرآن. ثُمَّ قال: مَنْ قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، وقد كذبَ في قوله: إنَّ المقتسمين خلقوا القرآن. وصدقَ في قوله: إنَّ مَنْ قال هذا كافرٌ حلالُ الدَّم، كافرٌ بإجماع الأُمَّة.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلَ عليَّ المأمونُ، وَقَالَ لِي: حَسْبُكَ -يا عبدَ العزيز- قد أقرَّ بِشْرٌ على نَفْسِه بالكُفر وإحلال الدَّم، وأشهدَ على نَفْسِه بذلك، وقد صدقْتَ في كُلِّ ما قلتَ؛ ولكِنَّه قال ما قال وهو لا يعقِل ولا يعلمُ ما عليه في ذلك؛ وهذا شيءٌ يلزمه في نَفْسِه خاصَّة ولا يلزمُ غيره مِمَّنْ يُقرُّ بمثل ما أقرَّ به، ولا يحكمَ على نَفْسِه[1] بمثل ما حكَم به بِشْرٌ على نَفْسِه[2].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنَّمَا خاطبتُ أميرَ المؤمنين بما حَصَلَ في صدري[3]، وأقرَّ بِشْرٌ به وأشهدَ أميرَ المؤمنين على نَفْسِه، وعلمتُ: أنَّ أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- قد حفظَ عليه كلامه[4]؛ ولولا ذلك ما اجترأتُ على ذلك.

---

(١) في (م): «مِمَّن لا يُقِرُّ بمثل ما أقَرَّ به ولا يحكم به على غيره».

(٢) في (ي): «وقد صدقت في كُلِّ ما قلت، ولكن ليس حكم غير بِشْرٍ في ذلك كحكمه؛ فإنَّ مَنْ قال بمثل ما قال وهو لا يعقل ولا يعلم فما عليه شيء، وهذا يلزمه خاصَّة دون غيره، ومَنْ قال ما قال بِشْرٌ وهو لا يُقِرُّ بمثل ما أقرَّ به ولا يحكم على نَفْسِه بمثل ما حكم به بِشْرٌ على نَفْسِه؛ فما عليه في ذلك شيء، وهذا يلزم بِشْرٌ في نَفْسِه خاصَّة دون غيره مِمَّنْ لا يُقِرُّ على نَفْسِه بمثل ما أقَرَّ به بِشْرٌ على نَفْسِه».

(٣) في (م): «بما قد حصل في يدي».

(٤) في (ي): «وعلمتُ: أنَّ أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- عقله عليه كُلَّه».

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ المأمونُ، فَقَالَ: كنتَ تقصدُ بشرًا وحدَهُ بالكلام والمخاطبة دون سائر النَّاس؟

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين، ولكِنَّه لم يدَعْني أسألهُ في خاصَّة نَفْسِه؛ فيقول: هذا قولي وقولُ سائر النَّاس وقول العرب والعجم؛ فأجبتُه على حسب كلامه، وقد صدقَ أميرُ المؤمنين؛ هذا يلزم مَنْ أقرَّ به دون غيره، إلَّا مَنْ قال مثل قوله وأقرَّ بمثل ما أقرَّ به؛ وهذا هو الَّذِي عنيتُ بقولي الأوَّل حين قُلْتُ: ومَنْ قال بقوله ووافقَهُ على مذهبه.

فَقَالَ المأمونُ: قد أحسنْتَ -يا عبدَ العزيز- الانتزاع.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أَقْبَلَ عليَّ المأمونُ، فَقَالَ: يا عبدَ العزيز، تكلَّم في بيان هذا وذِكْر «الجعل» و«الخلق» وفرِّق بينهما، واشرَحْ ذلك؛ ليقِفَ عليه مَنْ بحضرتنا ويعرفه.

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- ولكن إن رأيتَ أن تأذَنَ لي فأقول قبل البيان والشَّرح أشياء في هذا المعنى(١) مِمَّا أكسِرُ به قولَ بِشْرٍ، وأدحضُ به حجَّته، وأفضحُ به مذهبه، وأُبْطِلُ به اعتقاده؛ فقد ادَّعى على العرب وغيرها من سائر الخلق موافقته على قوله أنَّ الجعل والخلق عندهم سواء لا فرق بينهما!!

فَقَالَ: افعل ولا تطوِّل المجلس.

فَقُلْتُ: إنَّمَا هو شيءٌ أدرسهُ درسًا يا أميرَ المؤمنين.

فَقَالَ لِي المأمونُ: قد أذنت لك، تكلَّم بما تريدُ ولا تخاطب بِشْرًا ودَعْهُ(٢).

---

(١) في (أ): «تأذَنَ لي، فأقول قبل البيان، وأشرح أشياء في هذا المكان».

(٢) في (أ) و(م): «قال: قل ما تريدُ ولا تخاطب بِشْرًا، أقبل عليَّ ودَعْهُ».

فَقُلْتُ: قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه ﷺ: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢].

وقال تعالى في موضعٍ آخر لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩].

فزعمَ بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين-: أنَّ معنى «ولا تجعل» في هذين الموضعين أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال لنبيِّه ﷺ: ولا تخلُقْ مع الله إلهًا آخر!! فمَنْ أقبحُ قولًا مِمَّنْ قال هذا وأفحَشُ منه؟!

وقال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩].

فزعمَ بِشْرٌ: أنَّ الله قال لنبيِّه ﷺ: ولا تخلُق يدكَ مغلولةً إلى عنقك. فزعمَ: أنَّ الله خلقَ نبيَّهُ وبعثَهُ رسولًا وليسَ له يَدٌ، ثُمَّ خاطبه بعد الرِّسالة فقالَ: ولا تخلُق يدك! والله قد خلَقَهُ خلقًا سويًّا، وما أقبحَ هذا القول وأشنعَهُ من قائله!

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قِصَّة موسى وفرعون، وقول فرعون له: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشُّعراء: ٢٩]. فزعم بِشْرٌ: أنَّ فرعون قال لموسى وهو نبيٌّ مبعوثٌ إليه: لأخلُقَنَّكَ! فما أقبحَ هذا وأشنَعهُ وأبينَ كسرَهُ.

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النُّور: ٦٣]. فزعم بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين-: أنَّ الله تعالى قال لخلقِهِ: لا تخلُقوا دعاء الرَّسُول بينكم! ما أقبحَ هذا من قولٍ وأدحَضه.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

[القصص: ٧]. فالله تعالى يأمرُها بعد ولادته والرَّضاع له: أَنْ تُلقيه في اليمِّ، ويعِدُها أَنْ يردَّهُ إليها ويجعله مِنَ المرسلين. وبِشْرٌ يزعمُ: أَنَّ الله وعدَها أن يردَّه إليها ويخلُقه، وهذا ما لا يعقلُه النَّاس[١]؛ كيف يخلُقه وهو مخلوق؟!

وقال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]. فوعد أن يجعلهم بعد خلقهم وبعد أن استضعفوا في الأرض. فزعم بشرٌ: أَنْ نمُنَّ[٢] على الَّذِين استضعفوا في الأرض ويخلُقهم. وهم مخلوقون مستضعفون في الأرض، هذا ما لا يعقله العرب ولا العَجَم؛ فما أقبح هذا من قول!

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦]. فخاطَبهُ بعد خَلْقِهِ، وبعد فَهمِهِ ومعرفته أن يجعله خليفة، فزعم بِشْرٌ: أَنَّهُ قال لداود[٣]: إنَّا خلقناكَ خليفةً في الأرض. ولو قال هذا ما عقل داود ﷺ ما أراد الله؛ لأَنَّهُ خاطبه وقد تكامل خلقه، وما أقبح هذا من قول[٤].

وقال تعالى مخبرًا عن دعاء إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ حين قالا: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]. فأخبَرَ أنَّهما دعَوَا ربَّهما وهما مخلوقان، وزعمَ بِشْرٌ: أَنَّهُمَا دَعَوا ربَّهما أن يخلُقَهما مسلمَين، بعد أن قال تعالى مخبرًا عن دعاء[٥] إبراهيم وقوله: ﴿ رَبِّ

---

(١) في (ي): «وبِشْرٌ يزعمُ: أَنَّهُ وعدَها أن يردَّه إليها ويخلُقه، وهذا مِمَّا قد ردَّه إليها مخلوقًا لا يعقلُه النَّاس».
(٢) في (م): «فزعم بِشْرٌ: أَنَّهُ يريد أن يَمُنَّ».
(٣) في (م): «فزعم بِشْرٌ: أَنَّ الله تعالى قال لداود».
(٤) في (أ) و(م): «وهذا مِمَّا لو خُوطِبَ به داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما عَقِلَهُ».
(٥) في (م): «يخلقهما مسلمين كان قد خلقهما، وقال الله عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن دعاء».

ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وقد كانت مكَّة مخلوقة قبل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقبل إبراهيم، فكيف يدعو إبراهيم بخَلْقها؟! وهذا مِمَّا لا يعقله النَّاس.

وقال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾ [المائدة: ١٠٣]. فأخبر الله تعالى: أنَّهُ ما جعل ذلك كذلك[1]، وزعم بِشْرٌ: أنَّ اللهَ ما خلقَ البحيرة، ولا السَّائبة، ولا الوصيلة، ولا الحام؛ وإنَّما خلَقَها الكفار من دون الله، ومَنْ قال هذا فقد كَفَرَ بالله تعالى.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلَ عليَّ المأمونُ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يا عبدَ العزيز؛ فقد ثبتت حجَّتكَ في هذه المسألة، كثَباتها في المسألة الأولى، وانكسرَ قولُ بِشْرٍ فيها وبطلَ دعواه؛ فارجع إلى بيانِ ما قَدِ انتزعتَ به وشرحه ومعانيه، وما أراد الله تعالى به، وما هو مِنَ «الجعل» مخلوق، وما هو غيرُ مخلوق، وبيان الأعلام والشَّواهد على ما هو مخلوق وغير مخلوق، وما تتعاملُ به العرب في لغاتها، وما تُفرِّق به بين الجعلَين في كلامها؛ ليسمع مَنْ في المجلس ذلك، فيقفوا على مذهب العرب في ذلك، ومعنى ما أرادَ اللهُ تعالى بقوله في ذلك.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ «جعل» في كتاب الله يحتملُ عند العرب معنيين: معنى «خَلَقَ»، ومعنى «صَيَّرَ» غير خلق؛ فلَمَّا كان «خلق» حرفًا محكمًا لا يحتملُ معنًى غير الخلق، ولم يكن من صناعة العباد، لم يتعبَّدِ اللهُ تعالى العباد به، فيقول لهم: اخلقوا أو لا تخلقوا؛ إذْ كان الخلقُ ليس من صناعة المخلوقين، وكان من فعل الخالق.

ولـمَّا كان «جعل» على معنى «صيَّر»، لا على معنى الخلق؛

---

(١) في (م): «ما جعل ذلك كُلَّه».

خاطبَ الله عَزَّوَجَلَّ به العباد بالأمر والنَّهي، فقال: اجعلوا ولا تجعلوا.

ولمَّا كان «جعل» كلمةً تحتملُ معنيين معنى: «خلق»، ومعنى: «صيَّر» غير خلق، لم يدع تعالى ذلك اشتباهًا على خَلْقِهِ ولبسًا على عباده؛ فيلحد الملحدون في ذلك، ويشبِّهون على خَلقِه، كما فعل بِشْرٌ وأصحابُه، حَتَّى جعل على كُلِّ كلمة عَلَمًا ودليلًا فرَّقَ به بين الجَعْلِ الَّذِي يكون على معنى الخلق وبين الجعل الَّذِي يكون على معنى التَّصيير الَّذِي هو غير خلق، فأمَّا الجَعْلُ الَّذِي هو على معنى الخلق؛ فإنَّ الله تعالى جعلَهُ مِنَ القول المفصَّل، وأنزلَ القرآن به مفصَّلًا، وهو بيانٌ لقومٍ يفقهون.

والقول المفصَّل يستغني به السَّامع إذا أخبر أنَّهُ يوصل الكلمة بغيرها من الكلام إذا كانت قائمة بذاتها تَدُلُّ على معانيها، فمن ذلك قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]. فسَواءٌ عند العرب قال: وجعل. أو قال: وخلق. لأنَّ العرب قد علمتْ أنَّهُ أراد بهذا الجَعْلَ الخلق؛ لأنَّهُ أنزله مِنَ القول المفصَّل.

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢]. فعقلت العربُ عنه أنَّ معنى هذا: وخَلَقَ لكم؛ إذْ كان هذا قولًا مفصَّلًا.

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ [النحل: ٧٨]. فعقلت العربُ عنه أنَّهُ عنى بهذا الجعل: الخَلْق؛ إذ كان مِنَ القول المفصَّل، وسواءٌ عندها قال: خلق أو جعل؛ لأنَّهَا قد علمت ما أراد وما عنى.

ومثلُ هذا في القرآن كثير جدًّا يا أمير المؤمنين.

فهذا وما كان على مثاله في القول المفصَّل الَّذِي يستغني به المخاطَبُ والسَّامع له بكُلِّ كلمة عمَّا بعدها.

وأمَّا الجَعْلُ الَّذِي هو بمعنى التَّصيير الَّذِي هو غيرُ الخَلْق، فإنَّ الله تعالى أنزله في القول الموصل الَّذِي لا يدري المخاطَب ما أراد المخاطِب حتَّى يصل الكلمةَ بما بعدها، فيعلَمَ ما أراد بها؛ وإنْ تركها مفصَّلة لم يصلها بغيرها مِنَ الكلام لم يعقل السَّامع لها ما أراد بها، ولم يفهمها، ولم يقف على ما عَنى بها حتَّى يصِلَها.

فمِن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦]. فلو قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ ﴾. ولم يصلها بما بعدها، لم يعقل داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا أحدٌ ممَّن سمع هذا الخطاب ما أرادَ الله تعالى به، ولا ما عَنى بقوله؛ لأنَّه خاطبه بهذا القول وهو مخلوق، فلَمَّا وصله بـ ﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾. عقلَ داود ﷺ وكُلُّ مَنْ سمعَ هذا الخطاب ما أراد الله تعالى بقوله، وما عنى به.

وكذلك حين قال تعالى لأُمِّ موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]. فلو لم يصل: «وجاعلوه» بـ «المرسلين»، لم تعقل أُمُّ موسى ما خاطَبَها به، ولا ما عَنى بقوله؛ إذْ كان خَلقُ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تَقدَّم ردَّهُ إليها، فلمَّا وصلَ الكلمة بالمرسلين، عقلَتْ أُمُّ موسى ما أرادَ بخطابها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقد كان الجبل قبل أن يتجلَّى له مخلوقًا، فوصل «الجعل» بـ «دكًّا»، ولو لم يصله لم يعقل السَّامع له ما أرادَ الله تعالى بقوله.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقد كانا قبل دعوتهما مخلوقَين، فوصل ﴿وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾. فلو لم يصل الكلمة وفصلَها فقال: ربَّنا واجعلنا، لم يعقل أحدٌ ممَّن سمعَ ذلك ما أراد بدعوتهما.

وكذلك قول إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]. فوصَلَهُ بـ «آمِنًا»، ولو لم يصِله بـ «آمِنًا»، ما عقلَ أحدٌ ممَّن سمع ذلك ما عَنى بدعوته؛ إذْ كان بلد مكَّة مخلوقًا قبل ذلك، فلمَّا وصله بـ «آمنًا»، عقلَ السَّامع لذلك ما أراد إبراهيم بدعوته. ومثل هذا في القرآن كثيرٌ جدًّا يا أمير المؤمنين.

والَّذِي تتعارفه العربُ وتتعاملُ به في لغاتها وخطابها ومعنى كلامها ومخارج ألفاظها، هو الَّذي جرت به سنَّة الله تعالى في كتابه العزيز؛ إذ كان إنَّمَا نزلَ بلسانها، واكتُتِبَ على تبيانها، فخاطَبَهُم الله تعالى بما عَقَلوهُ[1] وعرفوه ولم ينكروه، ولم يكونوا يعرفون سواه، وهو القول الموصل والمفصَّل.

فأرجعُ أنا وبشرٌ -يا أمير المؤمنين- فيما اختلفنا فيه من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزُّخرف: ٣]، إلى سُنَّة الله تعالى في كتابه في الجَعْلَين جميعًا، وإلى سُنَّة العرب -أيضًا- وما تتعارفهُ وتتعامل به؛ فإذا كان مِنَ القول الموصل فهو كما قلت -أنا-: إنَّ الله تعالى جعلَهُ قرآنًا عربيًّا بأن صَيَّره عربيًّا، أنزَلَهُ بلغةِ العرب ولسانها، ولم يُصَيِّره أعجميًّا، فينزله بلغة العجم، وإن كان مِنَ القول المفصَّل فهو كما قال بشرٌ، ولن يجدَ ذلك أبدًا، وإنَّمَا دخل الجَهْلُ على بِشْرٍ -ومَنْ قال بقوله يا أمير المؤمنين- لأنَّهم ليسوا مِنَ العرب، ولا عِلْمَ

---

(١) في (ي): «بما عَقَلوهُ وفعلوه».

لهم بلغة العرب ومعاني كلامها، فتأوَّلوا القرآنَ على لُغةِ العجَم الَّتِي لا تفقهُ ما تقول، وإنَّمَا تتكلَّمُ العَجَمُ بالشَّيء كما يجري على ألسنتها، وكُلُّ كلامهِم يَنقضُ بعضُه بعضًا[1]، لا يفقهون ذلك من أنفسهم، ولا يتفقَّده عليهم غيرُهم لكثرته.

وسمعتُ يا أمير المؤمنين، الأصمعيَّ عبدَ الملك بن قريب[2]، وسأله رجلٌ فقال: أَتُدغِمُ الفاء في الياء؟ فتبسَّم الأصمعيُّ، وقبضَ على يدي؛ وكان صديقي، فقال لي: أما تسمع؟! ثُمَّ أقبل على السَّائل -وهو متعجِّب من مسألته وقوله- فقال: تُدغَمُ الفاء في الياء، في لغة إخواننا بني الأبناء[3]، يقولون: كيصبحت[4]، فيُدغمون الفاءَ في الياء، فأمَّا العرب فلا تعرفُ هذا.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فاشتدَّ تبسُّم المأمونِ من قول الأصمعيِّ، ووضع يده على فيه.

فَقُلْتُ: وهذا الَّذِي يأتينا به بِشْرٌ -يا أمير المؤمنين- من لغة أصحابنا بني الأبناء[5].

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- يذمُّنا ويكفِّرنا، ويقولُ أنَّا نحرِّف القرآن عن مواضعه، وهو قد وضعَ قدرَ القرآن وشأنَهُ،

---

(١) في (أ): «بعضهم بعضًا».

(٢) هو عبد الملك بن قريب البصريُّ أبو سعيد، حُجَّةٌ في الأدب ومن أعلَمِ النَّاس فيه، له روايات في الحديث، أثنى عليه الإمام أحمد في عقيدته. انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ١٧٥).

(٣) في (م): «بني الأنباء» وفي (ص): «بني ساسان».

(٤) في (ي) و(أ): «كي اصبحت».

(٥) في (م): «بني الأنباء» وفي (ص): «بني ساسان».

وسمَّاه بأنقصِ اسمٍ، ووصفَهُ بأفحشِ صفةٍ وأقلِّها[1]، ولقد خالفَ بقوله كتاب الله تعالى وحرَّفه عن مواضعه؛ لأنَّ اللهَ تعالى سمَّاه كتابًا عزيزًا، وسمَّاه كريمًا، وأخبرَ عنه: أنَّهُ تامٌّ كاملٌ بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وسمَّاه عبدُ العزيز: موصلًا ومفصَّلًا، فخالفَ كتابَ الله تعالى وصفته، وذمَّ ما مدحَ الله تعالى؛ لأنَّ الموصل عند العرب والعجم وسائر الخلق، دون التَّامِّ الصَّحيح الكامل؛ إذ كان الموصل عندهم جميعًا هو الملفَّق، الَّذِي قد وصل بعضُه ببعض، ولفَّق بعضُه إلى بعض؛ فإذا أراد الرَّجُل مِنَ العرب أو غيرهم أن يضع من قَدْرِ الشَّيء قال: هو موصل وليس هو صحيح، فقد سمَّى كتابَ الله تعالى اسمًا ناقصًا، وقال فيه بهتانًا وإثمًا عظيمًا، ولو قلتُ أنا -يا أمير المؤمنين- هذا وما هو دونه لكان قد خطبَ وتكلَّمَ واستغاثَ بأمير المؤمنين، وأخرجَنا عَنِ الإسلام، وهو يقول العظائم، ويُجِيلُ على العرب، وأميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- يَحْلُمُ عنه بفضلِه، وهو يتقوَّى بحِلْمِهِ علينا.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: وهذا -أيضًا- من جهلكَ بما في كتاب الله تعالى وتذمُّني وتزعمُ: أنِّي سمَّيتُ كتابَ الله تعالى اسمًا ناقصًا، وتُغري بي أميرَ المؤمنين، وهو أعلَمُ بما قلت وما تكلَّمت مِنِّي ومنك، وما قلتُ إلَّا ما قال اللهُ تعالى وما نسبتُ إلَّا ما نسَبهُ إليه وارتضاه له[2]، وهو عند العرب الفصحاء كلامٌ جيِّدٌ صحيحٌ مرتضى، وأنت تزعمُ: أنَّ كلام الله تعالى الَّذِي هو من ذاتِهِ مخلوق، يشبهُ كلامَ

---

(١) في (أ) و(م): «بأخسِّ صفةٍ وأقلِّها».
(٢) في (أ): «وما شبَّهته إلأ ما شبَّهه الله تعالى وارتضاه له».

المخلوقين[١] مِنَ الشِّعْر، وقول الزُّور وغيره، وتنكر عليَّ أَنْ سمَّيتهُ بما سمَّاه الله تعالى به.

قَالَ بِشْرٌ: وأين سمَّاه الله تعالى موصلًا ومفصَّلًا.

قُلْتُ: في كتابه من حيث لا تفهمه ولا تعلمه.

قَالَ: فَهَاتِهِ.

فَقُلْتُ لَهُ: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١]. فهذه تسمية الله تعالى كلامه، وتسميته له بنصِّ التَّنزيل، بلا تأويل ولا تفسير[٢]، وهو الَّذِي اختارَهُ لنفسه، ولكلامِهِ وارتضاه له.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرَّعد: ٢١]. فامتدَحَهُم بصِلةِ ما وصلَ الله، وأثنى عليهم في غير آيةٍ من كتابه، ووعدَهُم على ذلك أحسنَ عِدَةٍ؛ وهي الجنَّة، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرَّعد: ٢٢ - ٢٤]. فهذه مِدْحَةُ الله، وهذا ثناء الله[٣]، وهذا جزاء الله لِمَنْ وَصَلَ ما وَصَلَ الله.

ولقد ذمَّ الله تعالى الَّذِين قطعوا ما أمرَ الله تعالى بصِلَتهِ، وذمَّهم ولعَنَهُم، وجعلَهُم مِنَ الخاسرين، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ

---

(١) في (م): «وتشبِّهه بكلام المخلوقين».

(٢) في (م): «فهذه تسمية الله عَزَّوَجَلَّ لكلامه ووصفه له بنصِّ التَّنزيل لا بتأويل ولا بتفسير».

(٣) في (أ): «وهذه ما أثنى الله».

ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥]. يعني: النَّار. وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧]. فهذا ذَمُّ الله تعالى لِمَنْ قطعَ ما وصلَ الله تعالى فيما أمرَ بصِلَته، وهذا وعيدُ الله تعالى لهم بالنَّار.

ثُمَّ ذكر الله تعالى ما في القرآن مِنَ المفصَّل، فقال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

وقال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [فصلت: ١ - ٣].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [الرُّوم: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٨].

فهذا قولُ الله تعالى وهذه أخبار الله تعالى وهذه تسمية الله، وهذه نسبة الله عَزَّوَجَلَّ لكلامه، وهذا اختيار الله عَزَّوَجَلَّ لكتابه ولكلامه[1]، وهذا ما ارتضاه الله تعالى ورضيَ به من قائله.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبلت على المأمون، فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين، يزعم بِشْرٌ: أنِّي سمَّيت كتابَ الله تعالى اسمًا ناقصًا مذمومًا، وأنِّي وهَّنتُ بقدره، وسمَّيتهُ بما لم يُسمِّه اللهُ تعالى به، وأنِّي أتيتُ بذلك بهتانًا وإثمًا عظيمًا، ويدَّعي عليَّ الدَّعاوي، وأنا حاضرٌ معه، وإنَّما ينبغي له إذا تكلَّمتُ بشيء أن يُطالبني بإقامةِ الحجَّة عليه، والدَّليل على كُلِّ لفظةٍ

---

(١) في (أ): «وهذه تسمية الله تعالى الكلام، وهذه أخبار الله تعالى لكتابه ولكلامه».

ألفظُها[١]، فإن لم أفعل ذلك؛ فلْيتكلَّمْ بما شاء، ولقد أكذَبَهُ الله تعالى في كلامه[٢]، وذمَّ قولَهُ وأبطلَهُ بما أنزلَ في كتابه من ذكرِ الموصل والمفصَّل.

وما قصد بِشْرٌ -يا أمير المؤمنين- بقوله هذا إِلَّا أن يتنقَّص العرب كلَّها، وذمَّ كلامها ولغاتها، وما تتعامل به في خطابها؛ إذ كانت تسمِّي كتابَ الله تعالى موصلًا ومفصَّلًا، وتسمِّي كلامَها موصلًا ومفصَّلًا، وتختار هذه الأسماء لكلامها وترتضيها؛ وهي عندنا جميلةٌ حسنةٌ صحيحةُ المعنى، لا خلاف بينهم في ذلك.

فَقَالَ بِشْرٌ: ما تتعارفُ العرب من هذا شيئًا، وما أنتَ أعرف بلغة العرب منِّي، وكُلُّ شيء نسبته اليوم إلى العرب فهو مخالفٌ لقولها ولغتها ومذهبها وكلامها.

فَقُلْتُ: وما تنفعني البيِّنة وأنتَ جاحد!

ثُمَّ أقبلتُ على المأمون، فَقُلْتُ: يا أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك- أنت بيتُ اللُّغة العربيَّة، وأنت أعلَمُ خَلْقِ الله تعالى بلُغة العرب وكلامها، وما تتعارفه، وما تتعاملُ به في خطابها، وأنت الحاكمُ بيننا؛ فإن أكن تزيَّدتُ على العرب منذ اليوم في شيءٍ حكَيتهُ عَنِ العرب، أو نسبتهُ إليهم، أو عدلتُ عن سنَّتهم ومذهبهم في شيءٍ من كلامهم[٣] وخطابهم ومخارج ألفاظهم = فقد استحقَقْتُ العقوبة من جهتين[٤]:

---

(١) في (م): «على كُلِّ لفظة لفظت بها».

(٢) في (م): «أكذبه الله تعالى في كتابه».

(٣) في (م): «عن سُنَّتهم أو حِدْت عنهم وعن مذهبهم وكلامهم».

(٤) في (م): «من وجهين».

أحدهما: جُرأتي على أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه- وقولي بين يدَيه، وحكايتي عن قومه ما يعلم خلافه، مع علمي أَنَّهُ أعلَمُ خلْقِ الله تعالى بذلك.

والأخرى: تكذبي على سائر العرب[١]، وادِّعائي الباطل عليهم، وأميرُ المؤمنين يشهد على تكذيبي وتزييدي[٢]، وهو أعلَمُ خَلْق الله تعالى باللُّغَة؛ وهو في حِلٍّ وسَعةٍ من دمي، ومن كُلِّ ما يعاقبني به، إن كان قد وقفَ على ذلك منِّي.

وإن يكن بِشْرٌ قد تزيَّد في القول -يا أميرَ المؤمنين- وادَّعى عليَّ الباطل؛ كان أميرُ المؤمنين أعلى عينًا بالرَّدِّ عليه، ومنعِهِ من قول الزُّور والكذب.

فَقَالَ المأمونُ: ما قلتَ -يا عبدَ العزيز- منذ اليوم إلَّا ما تقولُه العرب، وما تتعارفه، وما تتعامل به، وما خرجتَ عن مذهبها؛ ولو عدلتَ عن ذلك ما سوَّغتُ لك الكذب عليها.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: الله أكبر، الله أكبر؛ ظهرَ -واللهِ- كذبُ بِشْرٍ بشهادة أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه- لي عليه، أفلحتُ وربِّ الكعبة، أفلحتُ وربِّ الكعبة، وظهرَ أمرُ الله وهم كارهون.

فَقَالَ بِشْرٌ: وعلى الخلق أن يتعلَّمُوا لغات العرب، ما تعبَّدنا الله عَزَّوَجَلَّ بهذا؛ كُلُّ إنسان يقول بلُغته، وعلى قَدْرِ معرفته، وما كلَّف اللهُ تعالى الخلقَ فوق طاقتهم، ولا طالبَ أولادَ العجم بلُغات العرب.

---

(١) في (م): «والأخر: كذبي على سائر العرب».
(٢) في (م): «يشهد عليَّ بكذبي وتزييدي».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: أفكلَّفَ الله الخلق أن يتكلَّموا بما لا يعلمون؟! حيثُ ادَّعيْتَ العلمَ وتكلَّمتَ في القرآن العظيم، وتأولتَ كتاب الله تعالى على غير ما عَنَاهُ الله، ودعوتَ الخلْقَ إلى اتِّباعك، وكفَّرْتَ مَنْ خالفك، وأبحتَ دمَهُ، والله تعالى قد نهى الخَلْقَ جميعًا فلم يكلف نبيًّا مرسلًا، ولا صدِّيقًا، ولا عبدًا مؤمنًا أن يقولوا على الله ما لا يعلمون، أو يتكلَّفوا ما لا يعلمون؛ فقال تعالى لنبيِّه محمَّد ﷺ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى لنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود: ٤٦]. فقال نوح معتذرًا إلى ربِّهِ، معترفًا بخطيئته، مستغفرًا منها: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧]. فأخبرَ تعالى: أنَّ مَنْ في قلبه زَيْغٌ يتَّبع ما تشابهَ منهُ ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وما يعلَمُ تأويله إلَّا الله، فذمَّهم الله تعالى بهذا الخبر، وذمَّ فِعلَهُم وذمَّ طريقَتهم الَّتي سلكوا.

فَقَالَ بِشْرٌ: اخْطُبْ حَتَّى تشبع مِنَ الكلام ثُمَّ أخاطبك.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فقلتُ يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنَّ بِشْرًا قد تحيَّر في ضلالته، وعَمِيَ عن رُشْدِه، وبانت فضيحتهُ في قولِهِ

ومذهبه[١]، وانقطعَ فما يأتي بحُجَّة.

فَقَالَ بِشْرٌ: ما انقطعتُ ولا تحيَّرتُ، ولا بانت فضيحةُ مذهبي، وإنيِّ لعلى بيِّنةٍ من أمري، وما دعوتُ النَّاس ولا أدعوهم إلَّا إلى سبيل الرَّشَاد، ولا أنا وهم إلَّا على سدادٍ، وكُلُّ مَنْ خالفَني فكافرٌ حلالُ الدَّم.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، ما كان بقيَ على بِشْرٍ غيرُ هذا؛ قد قال كما قال فرعون، ولجأ إلى طريق فرعون فاتَّبعَها، وإلى طريقته فسلَكَها[٢].

فتبسَّم المأمونُ حَتَّى وضعَ يده على فيه، ثُمَّ قَالَ: كيف قلتَ يا عبدَ العزيز؟!

فأعذتُ عليه القولَ؛ فازداد تبسُّمه، ثُمَّ قَالَ: كيف قال بِشْرٌ ما قال فرعونُ ولجأ إلى سبيله[٣]؟!

فَقُلْتُ: إنَّهُ لمَّا قرأتُ على بِشْرِ القرآن، وأوضَحتُ له السَّبيل والبرهان، ودللتهُ على طريق النَّجاة، ونطقتُ بالحَقِّ الَّذِي أنطقني اللهُ تعالى به = قال بِشْرٌ: إنِّي لَعَلَى بيِّنةٍ من رَبِّي، وما دعوتُ النَّاس ولا أدعوهم إلَّا إلى سبيل الرَّشاد[٤]. وكذلك قال فرعون حين أَنْطَقَ الله تعالى مَنْ وفَّقه[٥] لقولِ الحَقِّ، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ

(١) في (ي): «وبانت فضيحة قولهِ ومذهبه».
(٢) في (م): «ولجأ إلى سبيل فرعون فاتَّبعها وإلى سبيله فسلكها».
(٣) في (م): «ولجأ إلى سبيل فرعون».
(٤) في (م): «قال هو ما دعوت النَّاس إلأ إلى سبيل الرَّشاد».
(٥) في (أ): «أنطق الله تعالى من قومه».

مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ [غافر: ٢٨ - ٢٩]. فلمَّا قال هذا المؤمن الحَقُّ، الَّذي أنطقَ الله تعالى به لسانه، وسدَّد به قوله، وسمعهُ فرعون وقومه، قال فرعون لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]، وكذلك قال بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين- حين سمعني أقولُ الحَقَّ الَّذي وفَّقني الله تعالى له، وأنطقَ به لساني، فقال: إنِّي لعلى بيِّنةٍ من ربِّي[1]، وما دعوتُ النَّاس إلَّا إلى سبيل الرَّشاد؛ فأجابَ بمثلِ ما أجابَ به فرعونُ عند سماع الحَقِّ، واتَّبعَ سبيلَهُ وما عدلَ عنها.

فَبِشْرٌ مرَّةً يتَّبعُ سبيلَ الشَّيطان، ويأمرُ بما أمر به الشَّيطان، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النِّساء: ٧٦].

ومرَّةً يتَّبعُ سبيلَ اليهود في تحريف القرآن عن مواضعه، وقد قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [النِّساء: ٤٦- ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٦١]. ومثل هذا في القرآن كثير.

ومرَّةً يتَّبعُ سبيل الكُفَّار في التَّسوية بين الله تعالى وبين خَلْقهِ في خَلْق الأشياء.

ومرَّةً يتَّبع سبيلَ عَبَدةِ الأصنام في الحَيْدَةِ عَنِ الجواب، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر: ٢٥].

(١) في (ي): «إنِّي لعلى بيِّنةٍ من أمري».

ومرَّةً يتَّبع سبيلَ فرعون والقول بمثل قوله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]، وقال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

قَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّمَا يتكلَّم ويخطبُ لينسّي خصمَهُ حجَّته، ويَشغَلهُ بغيرها؛ ولولا بسطُ أميرِ المؤمنين له، لم يقدر أن يُديرَ لسانه في فيه، ولكانت الحُجَّة عليه ظاهرة.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أَقبَلَ بِشْرٌ عليَّ، فَقَالَ: لو خطبتَ إلى غدٍ ما تركتُ مطالبتكَ بما قلْتَ؛ فدَعْ عنكَ الهَذيان، وأقبل عليَّ.

فَقُلْتُ لَهُ: يا بِشْرُ، بعد نداء القرآن تهدَّم كُلُّ ما أسَّستَ وصاخَّه في سمعه[(١)]، وتكذِّبَ ما زخرفتَ[(٢)]، وتشير إلى الكلام؟! فإن كنت لا تستحيي من أميرِ المؤمنين، وقد وقف من ذلك[(٣)] على ما قلته، أفَلا تستحي مِنَ اللهِ تعالى وقد أثبت كفركَ[(٤)] بكتابه وبكلامه؛ أَورِدْ -يا بشرُ- ما شئتَ، فعليَّ الإصدارُ، وتكلَّم بما شئتَ فإنِّي مجيبُكَ.

فَقَالَ بِشْرٌ: تعبَّد الله تعالى الخلقَ أن يعرفوا الموصل والمفصَّل!!

وما يضرُّ الخلقَ أن لا يعرفوا ذلك ولا يتعلَّمونه.

---

(١) الصَّاخَة: صَيحَةٌ تَصُخُّ الأذنَ، أي تُصِمّ لشِدَّتِها، وتأتي بمعنى: الدَّاهِيَةُ الشَّديدةُ. ويُقَال: كأنَّه فِي أذنه صاخَّة، أي طَنَّة. انظر: «تاج العروس» (٧/ ٢٩٠).

(٢) في (ي): «يا بشر بعد بدا القرآن تهدَّم كلُّ ما أسَّستَ وصراخه في سمعك وتكذيبا زخرفت».

(٣) في (أ) و(م): «وقد وقعتَ من ذلك».

(٤) في (أ) و(م): «وقد أبطلَ كفركَ».

فَقَالَ لَهُ المأمونُ: قد رجعنا إلى الكلام الأوَّل!

فَقَالَ بِشْرٌ: أدهشني -يا أمير المؤمنين- بكلامه وخُطَبه عن تمام الكلام في هذا، وهو يتوهَّم[1] أنَّهُ قد كسرَ قولي بهذا الموصل والمفصَّل، الَّذِي لا يُحتاج إلى معرفته، ولا يُطالَبُ أحدٌ به.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: بل قد تعبَّد الله الخلقَ بأن يعرفوا ذلك ويتعلَّموه؛ لئلَّا يصِلوا ما فصَلَ الله تعالى أو يفصلوا ما وصل الله تعالى.

قَالَ بِشْرٌ: وما الحُجَّة في ذلك، والدَّليل على صدقِ قولك؟

فَقُلْتُ لَهُ: أمَا سمعتَ ما قرأتُ عليك من كتاب الله، وما تلوتُ عليك مِنَ الآيات المحكَمات فيمن وصلَ ما أمرَ الله به أن يُوصَل ومَنْ قطَعَ ما أمرَ الله به أن يُوصل، وما وعدَ الله هؤلاءِ[2] من حسن الثَّواب وعُقبى الدَّار، وما تواعد الله به هؤلاء مِنَ اللَّعْنَة والعذاب وسوء الدَّار؟!

فَقَالَ بِشْرٌ: دَعْ ذِكْرَ ما مضى؛ فمالَك فيه حُجَّة، واحتجَّ السَّاعة بشيءٍ أفهمه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ، فَقُلْتُ لَهُ: صدقتَ؛ إنَّكَ ما فهمتَ ما مضى؛ ولو فهمتَ ما قلتُ ما قلتَ ولأقنَعَكَ بعضُه.

ثُمَّ أقبلتُ على المأمون، فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ في دون ما قد مضى لكفايةً وبلاغًا، ولكنْ بِشْرٌ يزعمُ: أنَّهُ لم يفهم شيئًا مِمَّا مضى، وأنا أتكلَّم في ذكر الموصل والمفصَّل مِنَ القرآن، وأحتجُّ للعرب في صحَّة لُغاتها ومذاهبها في كلامها وخطابها.

---

(١) في (أ): «عن تمام الكلام مفندًا وهو يتوهَّم».

(٢) في (أ): «ومَن قطَعَ ما أمرَ الله به أن يُقطع، وما واعدَ تعالى هؤلاء».

فَقَالَ لِي المأمونُ: يا عبدَ العزيز، إنَّ بِشْرًا لم يفهمُ ما مضى، فكذلك لا يفهَمُ إعادةَ ما يأتي؛ فدَعْ إعادة شيءٍ قد مضى وظهرت لكَ الحُجَّة فيه؛ فإنَّ هذا وقتُ الصَّلاة.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنْ رأيتَ أن تأذن لي أن أتكلَّم بشيءٍ لم أتكلَّم به في هذا المعنى؛ أقيمُ به الحُجَّة على بِشْرٍ، وأرجو أن يستحسنه أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- من غير إطالة الكلام.

فَقَالَ: تكلَّم وأوجِز.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلتُ على بِشْرٍ، فَقُلْتُ: يا بِشْرُ، قلتَ: إنَّ الله لم يتعبَّد الخلقَ بمعرفة شيءٍ من غيره، فمَنْ زادَ فيه(١) أو نقصَ منه كان كافرًا.

قَالَ بِشْرٌ: ما قلتُ هذا يا أميرَ المؤمنين، وهو ذا يدَّعيه عليَّ!

فَقُلْتُ: أخبرني عمَّن قال: إنَّ الله تعالى لم يتعبَّد الخلق بمعرفة شيءٍ من غيره أو زادَ فيه أو نقص، كان كافرًا، أيكون صادقًا أو كاذبًا؟

قَالَ بِشْرٌ: بل كاذبًا، وأنا أقول: إنَّ كُلَّ شيءٍ إذا زِيد فيه أو نُقصَ منه أو غُيِّر عمَّا هو عليه، فكان فاعل ذلك كافرًا؛ لِأَنَّ اللهَ قد تعبَّد الخلق بمعرفته وعلمه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: قد وافقتني وأجبتَ نفسك عنِّي وأقررتَ بما أنكرت.

قَالَ بِشْرٌ: دَعِ الكلامَ والتَّشبيه عنكَ وأقِمِ الشَّاهدَ والدَّليلَ على ما تقول.

---

(١) في (ط): «يتعبَّد الخلق بمعرفة الموصل والمفصَّل فمن زاد فيه شيئًا».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. فأخبرَ اللهُ تعالى: أَنَّهُ لا إله إِلَّا هو، وشهدَ بذلك لنفسه، وشهدَتْ له بذلك الملائكة وأولو العلم، فلو قال رجلٌ: شهِدَ الله أَنَّهُ لا إله. وقطعَ الكلام والصِّلة عامدًا كان كافرًا؛ لأَنَّهُ زعم: أَنَّ اللهَ شهد أَنْ لا إله، وشهدت له الملائكة وأولوا العلم بذلك، ومَنْ قال هذا عامدًا كان كافرًا حلالَ الدَّم[1]؛ لَأَنَّهُ أعظمَ على الله الفِرية وأبطلَ الرُّبوبيَّة، وجحدَ أن يكون الله تعالى إلهًا، وأشهَدَ اللهُ ملائكته وأولي العلم على قوله، فإذا وصلَ الكلمة كما وصلَها اللهُ تعالى فقال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾. كان صادقًا، وقال كما قال الله[2] تعالى وشهدَ به لنفسه وشهدَتْ له به ملائكته وأولو العلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وكذلك كُلُّ ما في القرآن مِنَ التَّهليل -وهو في أربعين موضعًا- فعلى هذا المعنى مَنْ فصَلَهُ من صلتِهِ وزادَ فيه أو نقصَ منه كان كافرًا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦]. فلو أَنَّ قارئًا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ ﴾. وقطع الصِّلة عامدًا[3]، كان كافرًا حلال الدَّم؛ لَأَنَّهُ زعم: أَنَّ اللهَ لا يستحيي، ومَنْ قال هذا فقد أعظم الفرية على الله تعالى؛ إِذْ أخبَرَ عَنِ الله تعالى: أَنَّهُ أخبر عن نَفْسِهِ: أَنَّهُ لا يستحيي، فقد كفر وحَلَّ دمُه بقوله هذا.

وكذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ

(١) في (ي): «ومَن تعمَّد هذا فهو كافر حلال الدَّم».
(٢) في (م): «كان صادقًا وكان قد قال ما قال الله».
(٣) في (م): «وقطع الكلام عامدًا».

ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فلو قال رجلٌ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ ﴾. وقطعَ الصِّلة عامدًا كان كافرًا حلالَ الدَّم؛ حَتَّى يصِلَ ما وصَلَ الله تعالى في الحرفين جميعًا، فيقول في الأوَّل: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾. ويقول في الآخر: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾. فيكون قد وصلَ ما وَصَلَ الله ولم يقطعه؛ فإن لم يصِلْهُ كان كافرًا حلالَ الدَّم.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فلو قال رجلٌ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ ﴾. وقطعَ الصِّلة عامدًا، كان كافرًا حلالَ الدَّم؛ لأَنَّهُ زعمَ: أنَّ اللهَ لا يعلم الغيب؛ ومَنْ زعم هذا فقد ردَّ أخبار الله تعالى وردَّ قولَ الله تعالى وشهادته لنفسِه[1] بعلم الغيب؛ لأنَّهُ قال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرَّعد: ٩]. وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجنّ: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [فاطر: ٣٨]. ومثله في القرآن كثيرٌ جدًّا.

فَمَنْ قال: إنَّ اللهَ تعالى لا يعلَمُ الغيبَ = فقد كفَرَ وحَلَّ دمُه، فإذا وصلَ ما وصلَ الله تعالى ولم يقطَعْهُ، فقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾. كان صادقًا، وكان قد قال كما قال الله، ووصَلَ ما وصَلَ الله. ومثلُ هذا في القرآن كثير جدًّا.

فَقَالَ المأمونُ: أحسنْتَ أحسنْتَ يا عبدَ العزيز.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشرٍ: استمِع لباقي مسألتك[2].

فَقَالَ بِشْرٌ: هَاتِهِ.

(١) في (ط): «ورد قول الله عَزَّوَجَلَّ بشهادته لنفسه».
(٢) في (م): «استمع لما في مسألتك».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: وأمَّا المفصَّل الَّذِي لا تجوز صِلَتهُ، فهو قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [النَّحل: ٦٠]. هاهنا تمام الكلام، ثُمَّ يبتدي القارئ فيقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النَّحل: ٦٠]. فلو قال رجلٌ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ﴾، وقطعَ الكلام عامدًا؛ كان كافرًا حلالَ الدَّم؛ لأَنَّهُ زعمَ: أَنَّ لله المثلَ السَّوء، وجعلَهُ مع الَّذِين لا يؤمنون[1] بالآخرة وأدخلَهُ معهم في المثل السَّوء -تعالى الله عن ذلك-، فإذا فصَلَ الكلام كما فصَلَهُ الله تعالى ولم يصِلْهُ بما فصَله الله تعالى منه[2]، فقال: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [النَّحل: ٦٠]. وقطع الكلامَ كان صادقًا، وكان قد وقفَ على تمام الكلام، وفصلَ ما فصلَ الله ولم يصِل ما فصَلَ الله، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ [التَّوبة: ٤٠]. هاهنا تمامُ الكلام، ثُمَّ يبتدي القارئ ويقرأ: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التَّوبة: ٤٠]. فلو قال رجلٌ: وجعلَ كلمة الَّذِين كفروا السُّفلى وكلمة الله، وقطع الكلام عامدًا كان كافرًا حلالَ الدَّم؛ لأَنَّهُ قد أعظَمَ الفِرية على الله تعالى وزعمَ: أَنَّ الله أخبرَ: أَنَّ كلمتَهُ سُفلى مع كلمة الَّذِين كفروا فشبَّه الله تعالى بالَّذِين كفروا، فإذا فصَلَ الكلام مِنَ الصِّلة، وقال: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾، ووقفَ على ذلك وقطعَ الصِّلة = كان صادقًا، وكان قد فصلَ ما فصلَ الله ولم يصِلْ ما فصَلَ الله تعالى.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلَ عليَّ المأمونُ، وقَالَ: أحسنْتَ أحسنْتَ يا

---

(١) في (م): «لأنَّه زعم: أنَّ لله المثلَ السَّوء، وشبَّهه -جلَّ ذِكْرُه- بالَّذِين لا يؤمنون».

(٢) في (م): «ولم يصله بما لم يصله الله به».

عبدَ العزيز، فقد أبلغتَ فلا تحتاج إلى زيادةٍ.

ثُمَّ أقبلَ على بِشرٍ، فَقَالَ: يا بِشْرُ، هل عندكَ شيءٌ تسأل عبدَ العزيز عنه أو تحتجُّ عليه به؛ فقد ظهرت حجَّته عليك ووضحَ قولُه عندنا.

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- هذا لا يورد إِلَّا نصَّ التَّنزيل لكُلِّ شيء[1] يتكلَّم به أو يلفظ به، وليس كُلُّ ما يتكلَّم به النَّاس ويحتجُّون به يجدون به نصَّ التَّنزيل[2]؛ وإِنَّمَا يجدونَه في التَّأويل والتَّفسير. وهذا لا يقبلُ التَّأويلَ، ويُبطل التَّفسيرَ حَتَّى كأَنَّهُ شاهد التَّنزيل[3]، وهذا مِمَّا لا أسوِّغه أنا للمناظرين ولا أُطلقه[4] للمتكلِّمين؛ إِذْ كان النَّاس لا يجدون علمَ كُلِّ ما يختلفون فيه ويتنازعون من أمر دينهم في كتاب الله بنصِّ التَّنزيل، ولو كان هذا كما يقول عبدُ العزيز؛ لبَطَلَ التَّفسير كُلُّه وبقي النَّاسُ في حَيرةٍ من أمر دينهم، والنَّاسُ جميعًا يوافقوني على قولي ويخالفون عبدَ العزيز.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- كُلُّ ما يتكلَّم النَّاس فيه مِمَّا يحتاجون إليه من علم أديانهم وما يتحاجُّون فيه[5] وما يتنازعون فيه = فهو موجودٌ في القرآن وفي غيره من كتبه؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:

---

(١) في (م): «هذا يريد نَصَّ التَّنزيل بكُلِّ شيء».
(٢) في (م): «ويحتجُّون به يجدونه في نَصِّ التَّنزيل».
(٣) في (أ): «حَتَّى كأَنَّهُ مُشاهد التَّنزيل»، وفي (م): «كأَنَّهُ كان يشاهد التَّنزيل».
(٤) في (م): «ولا أطيقه».
(٥) في (أ) و(م): «وما يختلفون فيه».

١٤٤ - ١٤٥]. فأخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَّهُ ما فرَّط في الكتاب من شيء -يعني: القرآن- وأخبَرَ: أنَّهُ كتبَ في الألواح لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من كُلِّ شيء، فليس من شيءٍ يحتاج النَّاسُ إليه -يا أميرَ المؤمنين- إلَّا وهو موجودٌ في القرآن عَقلَهُ مَنْ عَقلَهُ وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فجثا محمَّدُ بْنُ الجَهْمِ على رُكبتيه، وقَالَ: يا عبدَ العزيز، زعمتَ: أنَّ كُلَّ شيءٍ يتكلَّم به النَّاس ويحتاجون إلى معرفته موجودٌ في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ بنصِّ التَّنزيل بلا تأويلٍ ولا تفسير! فأوجِدْنا[1] أنَّ هذا الحصير مخلوقٌ أو غير مخلوق من كتاب الله تعالى بنصِّ التَّنزيل؟! ووضعَ يده على حصيرٍ مدينيٍّ[2] كان تحتنا مبسوطًا في الإيوان.

فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، عليَّ أن أوجدكَ ذلك.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلتُ عليه، فَقُلْتُ لَهُ: أخبرني عن هذا الحصير، أليس هو من سعف النَّخل وجلود الأنعام؟

قَالَ: بلى.

قُلْتُ لَهُ: فهل فيه شيء غير هذا؟

قَالَ: لا.

فَقُلْتُ لَهُ: هل هاهنا شيء غير هذا؟

قَالَ: لا.

قُلْتُ: بلى؛ هاهنا فيه شيءٌ به صار حصيرًا يُجلَس عليه.

قَالَ: وما هو؟

---

(١) في (أ): «فلو وجدنا».

(٢) في (أ) و(م): «حصير مدني»، وفي (ط): «حصير مرمي».

قُلْتُ: الإنسان الَّذِي صَنعَهُ وألَّفهُ وأحكَمه(١).

قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْتُ: قال الله تعالى -وقد ذكر الأنعام-، فقال: ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النّحل: ٥].

وأمّا السَّعَفُ: فإنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَهُ، فقالَ: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة: ٧٢].

وذكر الإنسان، فَقَالَ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢].

فقد كملَ خلقُ الحصير بنصّ التَّنزيل(٢) بلا تأويل ولا تفسير.

فهل عندك شاهدٌ في خلق القرآن(٣) تذكُره أو تحتجُّ به؟!

وإلَّا فقد بطلَ ما تدَّعونه من خَلْقهِ، وصحَّ قولي: أنَّهُ غيرُ مخلوق؛ ولم يزل صحيحًا أنَّ القرآن كلامُ الله تعالى ليس مخلوقًا، ومن كُلِّ جهة.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَصَاحَ المأمونُ بمحمَّدِ بْنِ الجَهْمِ: ما لَكَ وللكلام؟! خلِّ بين الرَّجُل وبين صاحبه حَتَّى يكلِّمَه، ثُمَّ أقبلَ على بِشْرٍ، فَقَالَ: يا بِشْرُ، هل عندك شيءٌ تُناظر به عبدَ العزيز قبل أن نصرفَهُ ونقوم؛ فقد طال المجلس وما صلَّيْتُ الظُّهر.

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين، عندي أشياء كثيرة؛ إلَّا أنَّهُ يقول بنصّ التَّنزيل وأنا أقولُ بالنَّظر والقياس، فلْيَدَع مُطالبتي بنصّ التَّنزيل

---

(١) في (ي): «وولَّفهُ وأحكَمه».
(٢) في (م): «بنصّ القرآن».
(٣) في (م): «فهل عندك مثل خلق القرآن».

ولْيناظرني بغيره؛ فإنْ ناظَرَني بالنَّظر والقياس ولم يدَع قولَهُ ويرجع عنه ويَقُلْ بقولي ويقرَّ بخلق القرآن السَّاعة = فدمي حلالٌ.

فَقَالَ المأمونُ: لهذا مجلسٌ بعد هذا تتناظرون فيه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إن رأيتَ أن تأذنَ لي فأناظره على ما سأل على جهة النَّظر والقياس، وأدَع مطالبته بالقرآن ونصِّ التَّنزيل، ويكون أميرُ المؤمنين الشَّاهدَ علينا والمتحفِّظ لكلامنا؛ فإن أقام بِشْرٌ عليَّ الحُجَّة -كما زعم- وأقررتُ بشيءٍ مِمَّا قال أو رجعتُ عن شيءٍ مِمَّا قُلْتُ = فدمي حلالٌ كما قال بِشْرٌ، وإن ثبتت الحُجَّة عليه مِنَ القياس والنَّظر، كما ثبتت عليه مِنَ القرآن والسُّنَّة، وشهد عليه أميرُ المؤمنين بذلك؛ فقد حَلَّ دمُه بما شرطَ على نفسه.

فَقَالَ المأمونُ: أنا الشَّاهد عليكما والحاكِم بينكما، فأوجِزَا واقتصِرا ولا تُطيلا فيخرج وقت الصَّلاة.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: أتسألُني أو أسألك؟

فَقَالَ بِشْرٌ: بل سَلْ أنتَ؛ وطمعَ فيَّ هو وجميع أصحابه، وتوهَّموا أنِّي إذا خرجتُ عَنِ التَّنزيل لم أُحسِنْ أن أتكلَّم بشيء غيره.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يَا بِشْرُ، تقولُ إنَّ كلامَ الله تعالى مخلوق؟!

قَالَ بِشْرٌ: أنا أقول: إنَّ القرآن مخلوق.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: يا بِشْرُ، يلزمكَ واحدة من ثلاثٍ لا بُدَّ منها؛ تقول(٤):

---

(٤) في (م): «لا بُدَّ أن تقول».

* إِنَّ الله تعالى خلق القرآن -وهو عندي أنا كلامه- في نَفْسِه!

* أو خَلقَهُ في غيره!

* أو خلَقَهُ قائمًا بذاته ونَفْسِه!

فقُلْ ما عندك.

قَالَ بِشْرٌ: أقول: إِنَّهُ مخلوق، وإِنَّهُ خلَقَهُ كما خلقَ الأشياء كُلَّها.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، تركنا القرآنَ والسُّنن والأخبار عند هروبه منها، وناظرناه بالقياس والكلام لما ادَّعاه وذكر أَنَّهُ يقيم الحُجَّة عليَّ بها وأنِّي أقِرُّ معه بخلق القرآن؛ فقد رجع بِشْرٌ إلى الحَيْدَة عَنِ الجواب وانقطع الكلامُ! فإن كان بِشْرٌ يريد أنْ يناظرني على أنَّهُ يُجيبني عَمَّا أسأله عنه؛ وإِلَّا فأميرُ المؤمنين أعلى عينًا في ما يراه من إصرافي[1]، فإنَّمَا يريد بِشْرٌ أن يقع معه مَنْ لا يفهم فيخدعه عن دينه ويحتجَّ عليه بما لا يعقله فتظهر حجَّته عليه فيبيح بذلك دمه[2].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلَ عليه المأمونُ، فَقَالَ: أَجِبْ عبدَ العزيز عَمَّا سألك عنه؛ فقد تركَ قولَهُ ومذهبهُ وناظركَ على مذهبك وما ادَّعيتَ: أنَّك تُحسِنهُ وتقيم به الحُجَّة عليه.

فَقَالَ بِشْرٌ: قد أجبتُه ولكنَّه يتعنَّت!

فَقَالَ لَهُ المأمونُ: يأبى عليك عبدُ العزيز إِلَّا أن تقول واحدةً من ثلاثٍ.

---

(١) في (م): «في صرفي».

(٢) في (أ): «فإنَّمَا يريد بِشْرٌ أن يقع معه مَنْ لا يفهم، فيخدعَهُ عن دينه، ويحتجَّ عليه فيبيحَ دمَهُ بذلك، ويقيم الحجَّة به عليه».

فَقَالَ: هذا أشَدُّ من مطالبته لي بنصِّ التَّنزيل، وما عندي[1] غير ما أجبتُه به.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبل عَلَيَّ المأمونُ، فَقَالَ: يا عبدَ العزيز تكلَّم أنت في شرح هذه المسألة وبيانها، ودَع بِشْرًا؛ فقد انقطَعَ عَنِ الجواب من كُلِّ جهةٍ.

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين، سألتُه عن كلام الله تعالى أمخلوقٌ هو؟ فقال: نَعَمْ.

فَقُلْتُ لَهُ: ما يلزمه في هذا القول -وهي واحدة من ثلاث لا بُدَّ منها- أن يقول: إنَّ اللهَ خلق كلامَه في نَفْسِه، أو خلقَه في غيره، أو خلقه قائمًا بذاته ونَفْسِه.

فإن قال: إنَّ اللهَ تعالى خلق كلامه في نَفْسِه. فهذا محالٌ لا يجد السَّبيلَ إلى القول به من قياسٍ ولا نظرٍ ولا معقول؛ لأَنَّ اللهَ تعالى لا يكون مكانًا للحوادث، ولا يكونُ فيه شيءٌ مخلوقٌ، ولا يكونُ ناقصًا فيزيد فيه شيء مخلوق، ولا يكون ناقصًا فيزيد فيه شيء إذا خلقَه -تعالى الله عن ذلك وجَلَّ وتعاظَم-.

وَإِنْ قَالَ: خَلَقَهُ فِي غَيْرِهِ. فيلزمه في النَّظر والقياس أنَّ كلَّ كلامٍ خلقَهُ الله في غيره هو كلامُ الله تعالى لا يقدر أن يفرِّق بينهما، فيجعل الشِّعر كلامًا لله تعالى ويجعل قول الزُّور كلامًا لله، ويجعل كلامَ الفُحْشِ والكفر وكُلَّ قولٍ ذمَّه الله تعالى وذمَّ قائله كلامًا لله تعالى، وهذا محالٌ لا يجد السَّبيل إليه ولا إلى القول به؛ لظهور الشَّناعة والفضيحة والكفر على قائلِهِ -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-.

---

(١) في (م): «هذا شرٌّ من مطالبته بالتَّنزيل، ما عندي».

وَإِنْ قَالَ: خَلَقَهُ قَائِمًا بِذَاتِهِ وَنَفْسِهِ. فهذا هو المحال الباطل الَّذِي لا يجدُ إلى القولِ به سبيلًا في قياسٍ ولا نظرٍ ولا معقول؛ لأَنَّهُ لا يكون الكلامُ إِلَّا من متكلِّم، كما لا تكونُ الإرادة إِلَّا من مُريد، ولا العلم إِلَّا من عالمٍ، ولا القُدرة إِلَّا من قادر، ولا رُئي ولا يُرى كلامٌ قطُّ قائمٌ بنفسه يتكلَّمُ بذاته؛ وهذا ما لا يُعقَل ولا يُعرَف ولا يَثبُت في نظرٍ ولا قياس ولا غير ذلك.

فلَمَّا استحالَ من هذه الجهات الثَّلاث أن يكون مخلوقًا ثبتَ أَنَّهُ صفة لله تعالى، وصفاتُ الله تعالى كُلُّها غير مخلوقة، فبطَلَ قول بِشْرٍ -يا أميرَ المؤمنين- من جهة النَّظر كما بطلَ من جهة القرآن والتَّنزيل.

فَقَالَ المأمونُ: أحسنْتَ أحسنْتَ يا عبدَ العزيز.

فَقَالَ بِشْرٌ: سَلْ عن غير هذه المسألة فلعلَّه نخرُج منها بشيء يُسمع.

فَقُلْتُ: نَعَمْ، أنا أَدَعُ هذه المسألة وأسألُ عن غيرها.

فَقَالَ: سَلْ يا عبدَ العزيز.

فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: تقول[1]: إِنَّ الله تعالى كان ولا شيءَ، وكان ولم يفعل شيئًا ولم يخلق شيئًا؟

قَالَ: بلى.

فَقُلْتُ: فبأيِّ شيءٍ حدثَتِ الأشياءُ[2] بعد أن لم تكن شيئًا، أهيَ أحدِثَتْ بنفسها[3] أم الله تعالى أحدَثَها؟

---

(١) في (أ): «ليس تقول».
(٢) في (أ): «فأيُّ شيء أحدثت الأشياء».
(٣) في (م): «أهي أحدثت أنفسها».

قَالَ: بل الله تعالى أحدثَها.

فَقُلْتُ: فبأيِّ شيء أحدثَها؟

قَالَ: أحدثَها بقُدرته الَّتِي لم تَزَلْ.

قُلْتُ لَهُ: صدقتَ؛ إِنَّهُ أحدثَها بقدرته، أفليسَ تقول: إِنَّهُ لم يَزَلْ قادرًا؟

قَالَ: بلى.

فَقُلْتُ لَهُ: أفتقولُ: إِنَّهُ لم يزل يفعَل؟

قَالَ: لا أقول هذا.

قُلْتُ لَهُ: فلا بُدَّ من أن يلزمك أن تقول: إِنَّهُ خَلَق بالفعل الَّذِي كان عن القدرة، وليس الفعل هو القدرة؛ لأَنَّ القدرة صفة لله تعالى ولا يقال لصفة الله هي الله، ولا هي غير الله.

فَقَالَ بِشْرٌ: ويلزمك أنت -أيضًا- أن تقول: إِنَّ الله تعالى لم يزل يفعلُ ويخلق، وإذا قلتَ ذلك فقد ثبت[1] أَنَّ المخلوق لم يزل مع الله تعالى.

فَقُلْتُ لَهُ: ليس لك أن تحكم عليَّ وتُلزمني ما لا يلزمني، وتحكي عَنِّي ما لم أَقُل؛ إذْ لم أقل: إِنَّهُ لم يزَل الخالق يخلقُ ولم يزل الفاعلُ يفعل، فيلزمني ما قلت، وإِنَّمَا قلت: إِنَّهُ لم يزل الفاعل سيفعلُ ولم يزل الخالِق سيخلق؛ لأَنَّ الفعلَ صفة لله تعالى يقدر عليه ولا يمنعُه منه مانع.

فَقَالَ بِشْرٌ: أنا أقول: إِنَّهُ أحدثَ الأشياء بقدرته. فقُلْ أنتَ ما شئت.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد أقرَّ بشرٌ أَنَّ الله

(١) في (م): «فقد أثبت».

تعالى كان ولا شيء معه، وأنَّهُ أحدَثَ الأشياء بعد أن لم تكن شيئًا بقُدرته، وقلت أنا: إنَّهُ أحدثَها بأمره وقوله عن قدرته، فلن يخلو -يا أميرَ المؤمنين[1]- أن يكون أوَّل خَلْقٍ خَلقَهُ الله تعالى بقولٍ قالَهُ، أو بإرادةٍ أرادها، أو بقدرةٍ قدَّرها؛ فأيُّ ذلك كان فقد ثبتَ أنَّ هاهنا إرادةً ومريدًا ومُرادًا، وقولًا وقائلًا ومُقَالًا له، وقدرةً وقادرًا ومَقدورًا عليه، وذلك كُلُّه متقدِّمٌ قبل الخلق، وما كان قبل الخلق متقدِّم[2] فليس هو مِنَ الخلق في شيءٍ.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ قُلْتُ: يا بِشْرُ، مَنِ ادَّعى العلمَ ولم يَحْوِه فحَظُّه منه الجهل. كَسَرْتُ واللهِ -يا أميرَ المؤمنين- قولَ بِشْرٍ ودحضْتُ حُجَّته بإقراره بلسانه، وقد كسَرْتُ قولَه بالقرآن والسُّنَّة واللُّغَة العربيَّة والنَّظر والمعقول، ولم يبقَ إلَّا القياس، وأنا أكسِرهُ بالقياس إن شاء الله تعالى.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: وكان المأمون قد جلس منَّا مجلس الحاكم[3] مِنَ الخصمين.

فَقَالَ المأمونُ: هاتِ ما عندكَ يا عبدَ العزيز في القياس وأوجِز.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، لو كان لبِشْرٍ غلامان، وأنا لا أجد عِلْمَهُما من أحدٍ مِنَ النَّاس إلَّا من بِشْرٍ، يقال لأحدهما خالد وللآخر يزيد، وكان بِشْرٌ غائبًا عنِّي، فكتب إليَّ ثمانية عشر كتابًا يقول في كلِّ كتابٍ منها: ادفع إلى خالدٍ غلامي هذا الكتاب.

وكتب إليَّ أربعةً وخمسين كتابًا، يقول في كُلِّ كتاب منها: ادفع إلى يزيد

(١) في (م): «فلم يخل يا أميرَ المؤمنين».
(٢) في (م): «وما كان قبل الخلق».
(٣) في (م): «قد جلس مِنَّا مقعد الحاكم».

-ولم يقل: يزيد غلامي- هذا الكتاب، ثُمَّ كتب إليَّ كتابًا جمعهما فيه، فقال: ادفع إلى خالدٍ غلامي وإلى يزيد هذا الكتاب، ولم يقل: إلى يزيد غلامي.

ثُمَّ قدم بِشْرٌ من سفره، فقال لي: أليس تعلَم أنَّ يزيد هذا غلامي؟!

فَقُلْتُ لَهُ: قد كتبتَ إليَّ أربعةً وخمسين كتابًا، تقول لي في كُلِّ كتابٍ منها: ادفع هذا الكتاب إلى يزيد، ولم تقل: غلامي، ولم أسمعك تقول: إِنَّهُ غلامي[١]، وأنا لا أجدُ عِلْمَهُ عن أحدٍ غيرك.

وكتبتَ إليَّ ثمانية عشر كتابًا، تقول لي في كُلِّ كتابٍ منها: ادفع إلى خالدٍ غلامي هذا الكتاب، فعلِمتُ: أنَّهُ غلامك، ثُمَّ كتبتَ إليَّ كتابًا جمعتهما فيه، فقلت: ادفع إلى خالدٍ غلامي هذا الكتاب وإلى يزيد، ولم تقل غلامي؛ فمِن أين أعلَمُ أنَّ يزيدَ غلامكَ وأنتَ لم تقُل لي قبل هذا الوقت: إِنَّهُ غلامُكَ، ولستُ أعلَمُ خبرهما[٢] من غيرك.

فَقَالَ لِي بِشْرٌ: فرَّطتَ. فحلفت أنا أنَّ بِشْرًا فرَّط، وحلفَ بِشْرٌ أنِّي أنا فرَّطتُ؛ حيث لم أعلم أنَّ يزيد غلامه من كتبه، فأيُّنا المفرِّط يا أميرَ المؤمنين؟

فَقَالَ المأمونُ: بِشْرٌ -واللهِ- هو المفرِّط.

فَقَالَ بِشْرٌ: وأيُّ شيء هذا[٣] مِمَّا نحن فيه.

فَقُلْتُ لَهُ: إنَّ الله تعالى أخبر في كتابه العزيز عن خَلْقِ الإنسان في

(١) في (م): «إِنَّهُ أحد غلاميك».
(٢) في (م): «وليس أعلم خبرهما».
(٣) في (أ): «وأين هذا».

ثمانية عشر موضعًا من كتابه، ما ذكره في موضعٍ منها إلَّا أخبر عن خلقه.

وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعًا من كتابه فلم يُخبر عن خلقهِ في موضعٍ منها، ولا أشار إليه بشيءٍ من صفات الخلق، ثُمَّ جمع تعالى بين القرآن والإنسان في موضعٍ واحدٍ، فأخبر عن خلق الإنسان ونفى الخلق عَنِ القرآن، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤]. ففرَّق تعالى بين القرآن والإنسان في موضعٍ واحدٍ، فزعمَ بِشْرٌ -يا أميرَ المؤمنين-: أَنَّ اللهَ فرَّط في كتابه، وكان يجبُ عليه أن يُخبر عن خَلْق القرآن، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

فهذا -يا أميرَ المؤمنين- كَسرُ قولِ بشرٍ في القياس، والحمدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ المأمونُ: أحسنْتَ أحسنْتَ يا عبدَ العزيز.

ثُمَّ أمرَ لي بعشرة آلاف درهم، فحُمِلَتْ بين يديَّ وانصرفتُ من مجلسه على أجمل حالٍ وأحسنها[1]؛ قد أعزَّ الله تعالى دينَ الإسلام وأعزَّ أهله وأذلَّ الكفر وأهلَهُ؛ فلَهُ الحمدُ والشُّكر على نعمِهِ كُلِّها وعلى مِنَنِهِ وتوفيقه وتسديده.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ففرح المسلمون جميعًا بما وهَبهُ الله تعالى[2] من إظهار الحَقِّ وقمعِ الباطل، وانكشفَ عن قلوبهم ما كان قَدِ اكتنفَها[3]

(١) في (م): «على أحسن حال وأجملها».
(٢) في (م): «بما وهبهم الله».
(٣) في (ي): «ما كان قَدِ انكشف».

مِنَ الهَمِّ والغَمِّ والحزن؛ وجعلَ النَّاسُ يجيئون إليَّ أفواجًا، حَتَّى أغلقتُ بابي واحتجَبْتُ عنهم خوفًا على نَفْسِي وعليهم من مكروهٍ يلحقُنا.

فَقَالُوا لي: لا بُدَّ أن تملي علينا ما جرى لنعرفه ونتعلَّمه، فتهيبت ذلك[١]، وتخوَّفت سوء عاقبته، فلَمَّا ألحُّوا عليَّ[٢]، قلت: أنا أذكرُ لكم بعضَ ما جرى، مِمَّا لا يكون عليَّ حُجَّة في ذكرِهِ، فرضُوا بذلك، فأمليتُ عليهم أوراقًا يسيرةً مقدارَ عشرة أوراقٍ مختصرة مِمَّا جرى؛ لأَقطعَهُم بها عنِّي وعن ملازمة بابي، ولم يتهيَّأ لي شرحُ هذا كُلِّه؛ لما تخوَّفتهُ على نفسي مِمَّا قد خَفِيَ بعضُه[٣]، وأنا أذكرُ ما قد لحقني بعد هذا المجلس وما جرى بسبب تلك الأوراق الَّتِي كتبها النَّاس عَنِّي في كتابٍ مفرد بعد هذا إن شاء الله تعالى[٤].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ الْكِنَانِيُّ: وكان خلفَ ظهري وأنا في مجلس أميرِ المؤمنين المأمون -أُناظر بِشْرًا المَرِيسِيَّ على ما قد ذكرته في هذا الكتاب- رجلٌ مِمَّن يُعرَفُ بالكلام والنَّظر، فجعل كُلَّمَا سكتَ بِشْرٌ وانقَطَع يحرِّضه ويحضُّه على الكلام، وإذا أردت أنا أن أتكلَّم لا يزال يهذي خلف ظهري[٥] ويقرِّب رأسَهُ من أذني ليُسمِعَني فيدهشني ويقطعني ذلك عن حُجَّتي، فشكوتُ ذلك إلى المأمون؛ فصاحَ به وباعدَهُ منِّي.

فَلَمَّا قُلْتُ لِبِشْرٍ: ما من شيءٍ كان أو هو كائنٌ مِمَّا يحتاج النَّاس

---

(١) في (أ): «فنهيت عن ذلك».
(٢) في (أ): «فلمَّا لجُّوا عليَّ».
(٣) في (م): «لما تخوَّفت على نفسي مِمَّا يلحقني بعضه».
(٤) في (م): «آخر كتاب الحَيْدَةِ».
(٥) في (أ): «لا يزال يهذي خلفِي».

إلى معرفته وعلمهِ إلّا وقد ذكرهُ الله تعالى في كتابه عَقَلَهُ مَنْ عَقَلَهُ وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه[١]، فإذا ذلك الرَّجُلُ يضربُ يدَهُ على فخذهِ ويقول: يا سبحان الله! تزعمُ أنَّ كُلَّ ما هو كائن مِمَّا يحتاج النَّاس إليه قد ذكَرهُ الله تعالى في كتابه، ما أعظَمَ هذا؟! وكيف يعلم ما هو كائنٌ فيذكره؟!

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فالتفتُّ إليه، فَقُلْتُ لَهُ: أنت جَهْمِيٌّ قَدَرِيٌّ -أيضًا-، وأنت تهذي دائمًا[٢]، ثُمَّ أقبلتُ على المأمون، فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنَّ هذا الَّذِي شكوتُ إليكَ أذاهُ منذ اليوم، هو جَهْميٌّ قَدَريٌّ قد جمع الأمر من جهتَين[٣]، يُنكر أن يكون الله يعلَمُ ما يكون قبل أن يكون.

قَالَ المأمونُ: هذا قولُه يا عبدَ العزيز[٤].

فَقُلْتُ لَهُ: إنْ رأى أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- أن يأذنَ لي حَتَّى أكذِّبه وأكسِرَ قوله وأدحضَ حُجَّته وأبطلَ مذهبهُ بنصِّ التَّنزيل السَّاعةَ.

فَقَالَ المأمونُ: لهذا وقتٌ غير هذا ومجلسٌ غير هذا؛ تتكلَّم معه ومع غيره في هذا القدر خاصَّة.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، لست أطوِّل[٥]؛ إنَّما أحتجُّ عليه بآيةٍ واحدةٍ من كتاب الله تعالى.

---

(١) انظر (ص:١٨٧).
(٢) في (أ): «وأنت تهذي إذًا بنا».
(٣) في (م): «قد جمع الأمرين من جهتين».
(٤) في (أ): «هو قولُه يا عبدَ العزيز».
(٥) في (م): «ليس أطول».

فَقَالَ المأمونُ: قُلْ ما تُريد يا عبدَ العزيز.

فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لَهُ[١]: أتُنكر أنَّ الله يعلم ما يكون قبل أن يكون[٢].

قَالَ: نَعَمْ، أنا أُنكر هذا يا عبدَ العزيز.

فَقُلْتُ: والله يا أميرَ المؤمنين، لقد علم الله ما لم يكُن ولا يكون أنْ لو كان كيفَ كان يكون.

فَصَاحَ الرَّجُلُ: سبحان الله! ما أجرأكَ على الله، الحمدُ للهِ الَّذِي أخذَ لي بلسانك[٣].

فَقَالَ لِي المأمونُ: أعِدْ هذا الكلام يا عبدَ العزيز[٤].

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين، واللهِ لقد عَلِمَ اللهُ ما لم يكن ولا يكون أنْ لو كانَ كيف كان يكون.

فَقَالَ لِي المأمونُ: يا عبدَ العزيز، هذا شيءٌ تقولُه من نفسك، أم شيءٌ تحكيهِ عن غيرك؟!

---

(١) في (م): «قال عبدُ العزيز: فقلت له».
ومن هنا بداية نسخة (ق) وفي بدايتها: «مناظرة الشَّيخ عبد العزيز مع بِشْرِ المَرِيسِيِّ القائل بخلق [القرآن] العظيم، وما تقدَّمه من كتاب الحَيْدَةِ ومناظرة الشَّيخ عبد العزيز الهاشميِّ المكِّيِّ مع بِشْرِ بن غِيَاث المَرِيسِيِّ بين يدي أمير المؤمنين المأمون العباسيِّ، فوقع بينهم كلام كثير من جملته: قلت لبشر».
(٢) في (أ): «ما يكون قبل كونه».
(٣) في (م): «فصاح الرَّجُل ما أجرأك على الكذب، الحمد لله الَّذِي أخذك بلسانك».
(٤) في (ي): «أغير هذا يا عبدَ العزيز».

فَقُلْتُ: هذا شيءٌ أخبرنا الله تعالى به في غير آيةٍ من كتابه الَّذِي أنزله على نبيِّه محمَّد ﷺ.

فَقَالَ لِي المأمونُ: وأين ذلك في كتاب الله تعالى؟!

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨]. في قولهم هذا، فأخبر الله تعالى عنهم: أنَّهُم لو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه، وإنَّهُم لكاذبون في قولهم هذا.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٣]. فأخبر الله تعالى: أنَّهُ لو أسمَعَهُم لتولَّوا وهم مُعرضون.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٥]. فأخبر الله تعالى: أنَّهُ لو رحمهم وكشف ما بهم مِنَ الضُّرِّ للجُّوا في طغيانهم يعمهون.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥]. فأخبر تعالى: أنَّهُ لو فتح لهم بابا مِنَ السَّماء فعرجوا فيه، لقالوا: إنَّمَا سُكِّرَت أبصارنا.

فهذا -يا أميرَ المؤمنين- ما لم يكن ولا يكون؛ لأنَّهُم لا يُردُّون لا هُم ولا غيرهم، فأخبر الله تعالى عن علمه السَّابق فيهم أن لو رُدُّوا ما كانوا فاعلين[1]، ولن يُرَدُّوا أبدًا، ولا يُرحمون أبدًا، ولا يُسمعهم أبدًا

---

(١) في (أ): «أن لو رُدُّوا لكانوا فاعلين».

ولا يفتح لهم بابًا إلى السَّماء[١] أبدًا.

فهذا -يا أميرَ المؤمنين- ما لم يكن ولا يكون، فأخبر الله تعالى أن لو كان كيف كان يكون.

فَقَالَ المأمونُ: أحسنْتَ أحسنْتَ يا عبدَ العزيز، ما قلتَ في يومكَ هذا شيئًا أحسنَ ولا أدقَّ من هذا.

فَقُلْتُ: قد أكذبتُ -واللهِ- أهلَ هذه المقالة، وكسرتُ قولهم، ودحضتُ حُجَّتهم، وأبطلتُ مذهبهم[٢]، بنصِّ التَّنزيل بلا تأويلٍ ولا تفسير، والْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[٣].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-: ثُمَّ انصرفت من مجلس أمير المؤمنين المأمون في اليوم الَّذِي جرى بيني وبين بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ المَرِيسِيِّ ما جرى في القرآن، وما أظهرَه الله تعالى من كَسْرِ قولِهِ ودَحضِ حُجَّته وبُطلان مذهبه، ووقوف أمير المؤمنين وسائر الأولياء وأهلُ الفقه والقرآن وأصحاب الحديث، ومَنْ بحضرة مدينة السَّلام[٤] من سائر النَّاس على ذلك، وما أعزَّ الله تعالى به الإسلام وأهلَهُ، وأذلَّ

---

(١) في (أ) و(م): «باب السَّماء».
(٢) في (أ): «وأبطلت حُجَّتهم».
(٣) في (م): «تمَّ كتاب الحَيْدَةِ بعون الله تعالى وتوفيقه، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحبِهِ وسَلَّمَ تَسلِيمًا كثِيرًا، وآخِرُ دَعوَانَا أنِ الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.
وكان الفراغ من نسخه أواخر جمادى الأولى سنة (١١٩١) واحد وتسعين ومائة وألف.
والله ولي التَّوفيق».
(٤) مدينة السَّلام: هي بغداد.

الكُفْرَ وأهلَهُ، وجميع أهلِ الضَّلالة والرَّدى والدُّعاة إلى مخالفة الإسلام ونقض أخبار القرآن والتَّشبيه على عباد الله تعالى؛ فقويتْ قلوبُ المؤمنين وظهرَ سرورُهم، وعلا الحَقُّ وجهرَ به القول، وامتحقَ الله الباطل واستخفى به الصَّوت وكَبَتَ الله تعالى أعداءه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فسار إليَّ جماعةٌ مِنَ الإخوان والشُّركاء في الدِّين، وسألوني أن أُملي عليهم ما جرى بيني وبين بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ المَرِيسِيِّ؛ ليتعلَّمُوه ويتعارفوه ويُشيعوه ويكتبوا به إلى الأمصار، فدفعتُهم عن ذلك وأعلمتُهم بما عليَّ فيه، وما أتخوَّفه على نَفْسِي من أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- إن بلغه ذلك.

وأعلَمْتُهم أنَّ عامَّة مَنْ بحضرته قَدِ اغتمَّ بما جرى من إعزاز الله تعالى لدينه وتسديد الله إيَّاي وتوفيقه لي، وما انصرفتُ عليه من جميل الحال، وأنَّهُم لا يدَعون التَّسبُّب إلى مكروهي بكُلِّ ما يجدون السَّبيل إليه، وأنَّ هذا مِمَّا يتهيَّأ لهم به كُلُّ شيءٍ يريدونه مِنَ التَّشنيع والإغراء بي؛ ودفعتُهم عن ذلك، فأبَوْا عليَّ وقالوا: هذا مِمَّا لا يَحِلُّ كتمانه ولا ستره؛ إذ كان الخلقُ في حَيْرَة، لا يعرفون الحُجَّة فيما هم متمسِّكون به مِنَ الحَقِّ، ولا كسرَ قولِ أهل الباطل والضَّلال ودحض حجَّتهم، وأكثَروا عليَّ ولم يَدَعوني حَتَّى أمليتُ عليهم بعضَ ما جرى بيني وبين بِشْرٍ، وحذفتُ أكثر المجلس وعامَّة الكلام، واقتصرتُ على بعض ذلك لِيَقِلَّ التَّشنيع عليَّ.

وكتَبَهُ عنِّي خلقٌ كثيرٌ، وكَتَبهُ قومٌ عن قومٍ، وشاعَ وذاعَ وكَثُر في أيدي النَّاس، وكُتب به إلى سائر البلدان والأمصار، وظهر القول به واتَّصلت بهم الأخبار؛ فشقَّ ذلك على بِشْرٍ المَرِيسِيِّ وأصحابه وسائر مَنْ كان يقول بقوله ويعتقدُ مذهبه، وغَلُظَ عليهم وعظُم عندهم ما ظهرَ

للنَّاس من كسرِ قولهم ودحضِ حُجَّتهم وفضيحةِ مذهبهم؛ فاجتمعوا عليَّ وتآمروا وتشاوروا فيما قد نزل بهم، فاجتمعَ رأيهم على إعلام أمير المؤمنين وإغرائه بي.

واستعدُّوا[١] ليوم مجلسه الَّذِي يجلسُ فيه في بيت الحكمة، وكان له مجلسٌ في كُلِّ جمعةٍ يجتمعُ فيه أهلُ الحديث وأهلُ الفقه وأهلُ العربيَّة وأهلُ النَّظر وأصحاب الكلام، ويقعد المأمون من وراء السِّتر بحيث يسمع كلامهم ومناظرتهم بعضهم لبعض ولا يخفى عليه منها شيء.

فاجتمعوا جميعًا على رأيٍ واحدٍ، فلَمَّا تكامل بهم المجلس وقعدَ أميرُ المؤمنين حيث كان يقعد، أمرهم الخادم[٢] بالكلام حسبما كان يفعل قبل ذلك اليوم، فقالوا جميعًا: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- لم يبقَ فينا للكلام موضعًا؛ لما قد لحقنا في أنفسنا مِنَ المكروه والذُّلِّ، وتوثُّب العامَّة علينا، ونِدائهم علينا في المساجد والأسواق والطُّرُق، وقد ضاقَ علينا هذا البلد مع سعته.

فَقَالَ لَهُمُ المأمونُ: وممَّ ذلك؟!

فَقَالُوا لَهُ: يا أميرَ المؤمنين، مِمَّا فعل هذا الجاهل عبدُ العزيز المَكِّيُّ؛ خرج من مجلس أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- وجمعَ الغوغاء[٣] والعوامَّ واللَّقيط[٤]، فأملى عليهم ما جرى في مجلس

---

(١) في (ي): «وقعدوا».
(٢) في هامش ي: نسخة (٢) «الحاجب».
(٣) في (أ): «واجتمعَ بالغوغاء».
(٤) في (ق): «والعوامَّ واللَّفيف».

أمير المؤمنين، وزادَ عليه مثليه مِمَّا لم يكن؛ ولم يزل يتحمَّل عندهم ويتسوَّق[١] ويقول بين كُلِّ كلمتين: قال لي المأمون وقلتُ للمأمون!، وقال لي بشرٌ وقلتُ لبشرٍ!، فلا يفرِّق بين أمير المؤمنين وبين غيره بدعاءٍ لأمير المؤمنين، ولا يذكر الخلافة وجلالتها؛ إِلَّا بذكرِ اللَّقب، فأزالَ هيبة أميرِ المؤمنين من قلوب الرَّعيَّة، وأغراهُم[٢] بسائر أوليائه وخدمِهِ وحشَمِهِ، وبجميع أهل الفقه والنَّظر من أوليائه وعبيده، وأمَرَهُم أن يُشيعوا ذلك ويُذيعوه ويكتبوا به إلى سائر الأمصار، ووضع لنفسه كتابًا ترجمه بكتاب (الحَيْدَة)، وأقعدَ جماعةً مِنَ الورَّاقين في مسجده ينسخونه للنَّاس نسخًا.

ولم يزالوا يكثرون عليه ويُغَلِّظون بقلبه ويعظِّمون الأمر عنده حَتَّى غاظَهُ ذلك؛ وأمرَ بعض الخدم بإحضاري، فجاءني الخادم ومعه جماعةٌ، وقد كنتُ قبل ذلك استترتُ في بيتي وأغلقتُ بابي، ومنعتُ النَّاس مِنَ المجيء إليَّ؛ فلم يوافق مجيئه أحدًا على بابي ولا في مسجدي، فدقَّ عليَّ بابي، فأعلِمْتُ بمكانه، فخرجت إليه مسرعًا.

فقال لي: أجِب أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه-.

فَقُلْتُ: السَّمع والطَّاعة لأمير المؤمنين؛ وكنت مترقِّبًا لذلك[٣] متخوِّفًا منه.

فركبتُ وسرتُ إلى دار أميرِ المؤمنين، فأدخلَني وقد جلس أميرُ

---

(١) في (ي): «ولم يزل يتجمَّل عندهم ويتشرَّف».
(٢) في (أ): «وأغواهُم».
(٣) في (ق): «مرتقبًا لذلك».

المؤمنين وهم بحضرته في غير بيت الحكمة[١]، فلَمَّا رأيتُه أنكرتُ وجهه وعلِمت أَنَّهُ مُغضَبٌ، فلَمَّا صرتُ بين يديه، أقبل عليَّ، فَقَالَ لِي: يا عبدَ العزيز! تُخرج خبري، وتتحدَّث عَمَّا كان في مجلسي، وتتفكَّه بذِكري، وتقول: قال لي المأمونُ وقلتُ للمأمون، وتتزيد في القول عليَّ، وتضع الكتب، وتجمع العوام وتُغريهم بأوليائي، وتكفِّرهم وتذكر كَسْرَ قولهم وبطلانَ مذهبهم؛ وإِنَّمَا كان ذلك لما أظهرته من تقريبك وإيناسك، وتصديقكَ واختيار كلامك[٢]، ومنعي للمناظرين من إقامة الحُجَّة عليك؛ وإِنَّمَا جرى الكلام في جزء من أجزاء كثيرة مِمَّا عندهم، وما يقولون إِنَّهُم يكسرون به قولك ويدحضون به حُجَّتك.

ولولا عَدْلي ما ظهرَ دِمَنُ لسانك، ولا انشرحَ صدرك، ولَتَدعدَعَ ما في قلبك[٣]، وَلَوَقرَ في قلبك مِنَ الهيبةِ ما يُنسيكَ حُجَّتك ويُذهب بفهمك، ولكِنِّي بسطتُ لك حَتَّى أنستَ إلى بسطي، وقويتَ على خصمك بعدلي ودقَّة فهمي ومعرفتي بلغة قومي، فضربتَ خصمكَ بسيفي، وظهرتَ عليه بظهور إقبالي عليك.

أفكانَ هذا جزائي مِنْكَ بجميلِ فعلي؟! أم كُفرانًا منك لنعمتي، أم جَراءةً مِنْكَ على عقوبتي، أم اغترارًا منك بقديم حِلْمي وصَفحي عَمَّا كان من عظيم زلَّتك الأولى من قيامكَ في المسجد الجامع والقول بخلاف مذهبي؟!

---

(١) في (أ): «في بيت الحكمة».

(٢) في (أ): «وتخيير كلامك».

(٣) في (أ): «ولو عدلتُ عنك؛ لما ظهر لك مِنِّي ما أنطق لسانك، وشرح صدرك، ولا عبَّرت عَمَّا في قلبك»، وفي (ي) و(ق): «ولو عدلتُ عنك؛ ما ظهر لك شيء مِنِّي ما نطق به لسانك، ولا انشرحَ صدرك، ولَتَدغدَغ ما في قلبك».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- شأني أصغَرُ من هذا، وأنا في نفسي أحقَرُ من أن أتعرَّضَ لمخالفة أميرِ المؤمنين والخروج عن أمره ونهيه؛ وإنَّ الله تعالى -وله الحمد- اختارَ الخلفاء لخَلْقهِ ولإقامةِ دينه والذَّبِّ عن محارمه، والاتِّبَاعِ لأمره والاجتنابِ لنهيه، والأمر بالمعروف والنَّهي عَنِ المنكر.

ووصفَهُم في كتابه وعلى لسان نبيِّه محمَّدٍ ﷺ بأحسَنِ صفة، وأثنى عليهم بأجمل الثَّناء، وخصَّهم بأكرم الأخلاق وأطهرها[1] وأشرفها وأرفعها، فقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ [النُّور: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحجّ: ٤١].

فأخبر تعالى عن وعده للَّذِين آمنوا وعملوا الصَّالحات أنَّهُ يستخلفهم[2] في الأرض، فسبقت الصِّفة لهم والثَّناءُ عليهم قبل استخلافهم؛ فثبتت بذلك الحُجَّة مِنَ الله تعالى لهم، ثُمَّ شهدَ لهم بما يكون منهم بعد استخلافهم، مِمَّا هو موافقٌ لِمَا تقدَّم من أعمال الصَّالحات الَّتِي أكملَها[3] في صفتهم.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [الحجّ: ٤١]. فشهد لهم

---

(١) في (ي): «وأظهرها».
(٢) في (ق): «أن ليستخلفنهم».
(٣) في (أ): «الَّتِي أجمَلَها».

بما يكون من أعمالهم بعد استخلافهم، فكان ذلك موافقًا لخبره الَّذي قدَّمه لهم؛ فثبتت الصِّفَة مِنَ الله تعالى لهم قبل استخلافهم وبعد استخلافهم، فمَنْ أصدقُ مِنَ الله حديثًا ومَنْ أصدَقُ مِنَ الله قِيلًا.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النِّساء: ٥٩]. فأمر الله تعالى المؤمنين -جميعًا- بطاعتهم وتَعبُّدهم بها، وأوجبَها عليهم، وقرَنَها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وجعلَها نظامًا واحدًا، لم يفرِّق بين ذلك بشيءٍ، فمَنْ أطاع أولي الأمر فقد أطاعَ الله، ومَنْ عصاهُم فقد عصا الله؛ وبذلك أمر رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة صحَّت الرِّواية عنه فيها[١].

فطاعة أميرِ المؤمنين على الخلق مفترضةٌ واجبةٌ، ومَنْ خرج عنها فقد خلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عنقه[٢].

وروى زيد بن أرقم عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[٣].

وقال أبو سعيد الخدريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ على المنبر، يقولُ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَقُولُونَ: إِنَّ رَحِمَ رَسُولِ اللهِ لَا تَنْفَعُ قَوْمَهُ،

---

(١) انظر: «صحيح البخاريِّ»: «باب السَّمع والطَّاعة للإمام».

(٢) عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ». رواه أبو داود (٤٧٥٨) وصحَّحه الألبانيُّ.

(٣) لم أظفر بمن أخرجه بهذا السِّياق، وإنَّما هو متن مُلَفَّق من عِدَّة روايات، ولَعَلَّ الكنانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ رواه بالمعنى. والحديث رواه التِّرمذيُّ (٣٧٨٨) وقال: حسن غريب. عن أبي هريرة، ورواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٩) عن زيد بن ثابت. وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٧٦١).

بَلَى وَاللهِ إِنَّ رَحِمِي مَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(١).

وقال جعفر بن محمَّد: عن أبيه قال: خرج عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أَلَا تُهنئوني. فقلنا: بماذا؟ قال: تَزَوَّجْتُ ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ(٢)، وَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبِي وَسَبَبِي»(٣).

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانت امرأةٌ من بني هاشم عند رجلٍ من قريش، فقال لها ذات يوم: واللهِ لا تُغني عنكِ قرابتكِ من رَسُولِ اللهِ ﷺ شيئًا! قال: فجاءَتْ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فأخبرته؛ فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ مُغْضَبًا، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ قَرَابَتِي لَا تُغْنِي شَيْئًا، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَتَرْجُو شَفَاعَتِي صُدَاء وَسَلْهَب»(٤).

فهذه رَحِمُ أمير المؤمنين، وهذه نسبهُ وقرابته الموصولة في الدُّنْيَا والآخرة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١١١٣٦)، وأبو يعلى في المسند (١٢٣٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ.

(٢) في (ي): «زوَّجتُ ابنتي رسول الله ﷺ».

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢٥٠)، وأحمد في فضائل الصَّحابة (١٣٤٧)، والبزَّار (٢٧٤)، وله شواهد يصحُّ بها. انظر: السّلسلة الصَّحيحة (٢٠٣٦).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣١٦٥)، والطَّبرانيُّ في الكبير (٢٤/ ٢٥٩، ٦٦٠)، والطَّحاويُّ في شرح المشكل (٥٢١٣). والبيهقيُّ في البعث والنُّشور (٧)، وبنحوه الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٥٩)؛ وإسناده ضعيف. انظر: الكامل في الضُّعفاء (٥/ ٢٩٥).

وقال عبد الملك بن الحارث بن نوفل: لقيني أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأخذَ بيدي، ثُمَّ قال لي: يا ابن الحارث إنَّ لي إليك حاجةً. قال: قلت: وما حاجتكَ يا أبا هريرة؟ قال: أحبُّ أن تضمنها لي. قال: قلت: وما هي؟ قال: تضمَنُ لي أن تشفعَ فيَّ يوم القيامة. قال: قلت: رحمكَ الله! تقول هذا وأنت صاحبُ رسول الله ﷺ؟! فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[١] شَفَاعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

وقال عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: جاء فَتَيَانِ من بني هاشم إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقالا: يا رسول الله! استعمِلنا على الصَّدقة حَتَّى نُصيبَ منها كما يُصيب غيرُنا. فقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ؛ وَلَكِنْ إِذَا دُفِعَتْ إِلَيَّ مَفَاتِيحُ الْجِنَانِ[٣]، فَهَلْ تَرَوْنِي أُوثِرُ عَلَيْكُمْ أَحَدًا»[٤].

وقال أبو سعيد الخدريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُم الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ؛ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[٥].

ولَمَّا استشهد حمزة بن عبد المطَّلب، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَمْ يَبْقَ

---

(١) في (أ): «ولدِ عبد مناف».
(٢) لم أجده.
(٣) في (ق): «إذا رُفعت إليَّ مفاتحُ الجنان».
(٤) رواه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (١١٠٧٠)؛ وإسناده ضعيف. انظر: «ميزان الاعتدال» للذَّهبيِّ (٤٠٣٩)، و«الكامل في الضُّعفاء» للعقيليِّ (٢/ ٢٤٠).
(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (١١١٠٤) وصحَّحه الألبانيُّ. انظر: «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٧٦١).

عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ[١] مُؤْمِنٌ مِنْ بَيْن نَبِيَّيْنِ إِلاَّ العَبَّاس[٢]، وَهُوَ عَمِّي، وَهُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَّةِ كُلِّهَا مُؤْمِنٌ مِن بَيْنِ نَبِيَّيْنِ إِلَّا حَمْزَة وَالعَبَّاس عَمَّا رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهُمَا أَبَوَاهُ، وَهُمَا ابْنَا إِسْمَاعِيلَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَسِبطَانِ فِي أَظْهَرِ النَّسَبِ مسجحان[٣] فِي أَرْفَعِ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ»[٤].

وقال عكرمة: أتى العَبَّاسُ بن عبد المطَّلب النَّبِيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ لو أذِنت لي فآتي قريشًا وأدعوهم وأمنِّيهم[٥]، وجعلت لأبي سفيان شيئًا يذكر به. فانطلق العَبَّاسُ، فركبَ بغلةَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي، فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَفْعَلَ بِهِ قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ؛ دَعَاهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَقَتَلُوهُ! ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَكِبُوهَا مِنْهُ لَأُضْرِمَنَّهَا عَلَيْهِمْ نَارًا»[٦].

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ سَمَاوَاتٍ سَبْعًا فَاخْتَارَ الْعُلْيَا، فَأَسْكَنَ سَمَوَاتِهِ مَنْ شَاءَ[٧] مِنْ خَلْقِهِ،

---

(١) في (أ): «وجهِ الأرض».
(٢) في (ي): «إلاَّ حمزة والعبَّاس».
(٣) في (أ): «وسِبطانِهِ في أظهر النَّسب سيُجمعان»، وفي حاشية (ي): «نسخة: مشجشجان».
(٤) لم أجده.
(٥) في (أ): «فادعوهم وأمنِّهم».
(٦) قوله ﷺ: «عَمّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ» ثابتٌ رواه مسلم (٩٨٣). وهذه الرِّواية ذكرها ابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٣٨٠٥٧)، والطَّحاويُّ في «معاني الآثار» (٥٤٤٥) ط عالم الكتب. وانظر: «تاريخ دمشق» (٢٦/ ١٩٨-٢٩٩).
(٧) في (أ): «فأسكَنَها مَنْ شاء».

وَخَلَقَ الْأَرْضَ سَبْعًا فَاخْتَارَ الْعُلْيَا فَأَسْكَنَهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ(١)، ثُمَّ خَلَقَ بَنِي آدَمَ فَاخْتَارَ الْعَرَبَ، ثُمَّ اخْتَارَ الْعَرَبَ فَاخْتَارَ مُضَرَ، ثُمَّ اخْتَارَ مُضَرَ فَاخْتَارَ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ قُرَيْشًا فَاخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي هَاشِمٍ فَاخْتَارَنِي مِنْهُمْ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَارًا مِنْ خِيَارٍ»(٢).

فأميرُ المؤمنين -أطالَ اللهُ بقاءَهُ- من خيار الخيار، ثُمَّ اختاره اللهُ تعالى وارتضاه لخلقه فصار خيار الخيار، فأتمَّ اللهُ تعالى لأمير المؤمنين نعمتَهُ وسوَّغه إيَّاها شكرًا، وجعل ما قلَّده من هذا الأمر رشيدًا، وعاقبةَ ما يؤولُ إليه حميدًا.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فرأيتُ أمير المؤمنين قد أطرق يستزيدني في الكلام، وقد سكنَ غَضَبُه وأحبَّ أن أتكلَّم بما يُخرج ما في نفسه؛ فجعلتُ أتكلَّم بما يجري على لساني ويوفِّقني اللهُ تعالى له.

فَقُلْتُ: قال الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: ٢٢].

وقال اللهُ تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال تعالى لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

(١) في (أ): «من خلقه من خلق بني آدم».
(٢) حديث منكر. انظر: «السلسلة الضَّعيفة» (٣٣٨).
وصحَّ عنه ﷺ أنَّهُ قال: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». رواه مسلم (٢٢٧٦).

ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. فلمَّا نزلت هذه الآية على النَّبيِّ ﷺ خرج، وهو يقول: «أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ آخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ»(١).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشُّورى: ٤٠].

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَلْبَهُ رِضًى»(٢).

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِهِ، مَلَأَهُ اللهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا»(٣).

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَعْظَمَ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ، كَظَمَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى»(٤).

وقال عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِجَهَنَّمَ بَابًا لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا مَنْ شَفَا غَيْظَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى»(٥).

وقال أنس بن معاذ الجُهَنيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ؛

---

(١) انظر: «صحيح البخاريِّ» (٤٦٤٣-٤٦٤٤).
(٢) رواه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (١٣٦٤٦-١٢/ ٤٥٣)، وحسَّنه الألبانيُّ. انظر: «الصَّحيحة» (٩٠٦).
(٣) حديث ضعيف. انظر: «السِّلسلة الضَّعيفة» (١٩١٢)، و«ضعيف الجامع» (٥٨٢٢).
(٤) رواه ابن ماجه (٤١٨٩)، وصحَّحه الألبانيُّ.
(٥) رواه البزَّار في المسند (٥١٨٠) وضعَّفه الألبانيُّ. انظر: «الضَّعيفة» (٣١٨٧).

يُخَيِّرُهُ مَنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»[١].

وقال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ على أناسٍ يتحادون[٢] مهراسًا[٣] فقال: «أَتَحْسَبُونَ الشِّدَّةَ فِي حَمْلِ الْحِجَارَةِ، إِنَّمَا الشِّدَّةُ أَنْ يَمْتَلِئَ أَحَدُكُمْ غَيْظًا ثُمَّ يَغْلِبَهُ[٤]»[٥].

وقال الشَّعبيُّ: «لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ الْأُبَّهَةِ[٦] مَنْ لَمْ يُجَرِّعْهُ الْحُكْمُ غُصَصَ الْغَيْظِ»[٧].

وقال عليُّ بن زيد بن جُدْعَان: «أَغْلَظَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَطْرَقَ عُمَرُ طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: أَرَدْتَ أَنْ يَسْتَفِزَّنِي الشَّيْطَانُ بِعِزِّ السُّلْطَانِ، فَأَنَالُ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا تَنَالُهُ[٨] مِنِّي غَدًا»[٩].

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال رجلٌ لعمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٧)، والتِّرمذيُّ (٢٤٩٣)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وحسَّنه الألبانيُّ.
(٢) في (أ): «يتجاذبون».
(٣) قال ابن الأثير: «المِهْرَاسُ: الحجر العظيم الَّذِي تُمتحَن برفعه قُوَّةُ الرَّجُل وشِدَّتُه». «النِّهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٥٣).
(٤) في (أ): «غَضَبًا ويغلبه».
(٥) رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٧٩٢٣)، وضعَّفه الألبانيُّ. انظر: «الضَّعيفة» (١٧٠٢).
(٦) في (ي): «لم يعرف قدْرَ الألم».
(٧) ذكره الزَّمخشريُّ في «ربيع الأبرار» (ص ١٤٦)، وعند ابن عبد البرِّ في «بهجة المجالس» (ص ٨٠) القائل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٨) في (ي): «مثل ما تنالهُ».
(٩) أخرجه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٧٩٧١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٢٠٥).

«وَاللهِ مَا تَقْضِي بِالْعَدْلِ، وَلَا تُعْطِي الْجَزْلَ. فغضب عمر حتَّى عُرف في وجهِهِ الغضبُ، فقالَ له رجلٌ إلى جَنْبِه: يا أميرَ المؤمنين، أَلَمْ تَسْمَعِ اللهَ يَقُولُ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. فهذا مِنَ الجاهلين. فقالَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: صَدَقْتَ صَدَقْتَ، قَدْ عَفَوْتُ قَدْ عَفَوْتُ»(١).

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْحَلِيمَ الْحَيِيَّ الْغَنِيَّ»(٢).

وقال عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الْحَلِيمُ مُحَبَّبٌ فِي النَّاسِ، مُسَوَّدٌ فِي الدُّنْيَا، مَرْضِيُّ الْقَوْلِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى»(٣).

وقال عبد الله بن عبَّاس: «الْحُلَمَاءُ قَلِيلٌ، وَالْجُهَّالُ كَثِيرٌ؛ فَمَنْ رَدَّ الْجَهْلَ بِحِلْمٍ، فَقَدْ أَخَذَ بِالْفَضْلِ وَالأَجْرِ، وَبُشِّرَ بِالَّتِي يُرْجَى ذُخْرُهَا، وَتُحْمَدُ عَاقِبَتُهَا، وَمَنْ رَدَّ الْجَهْلَ بِجَهْلٍ مِثْلِهِ فَقَدِ انْتَصَرَ».

وقال الشَّعبيُّ: «مَا رَأَيْتُ اللهَ تَعَالَى نَحَلَ فِي كِتَابِهِ نَحْلًا هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْحِلْمِ؛ إِذْ يَقُولُ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤]».

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤]، ثُمَّ قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصَّافَّات: ١٠١].

وقال بعض الخلفاء: «إِنِّي لَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عِنْدِي ذَنْبٌ

---

(١) أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقِّه» (٦٧٧)، وبنحوه عند البخاريِّ (٤٦٤٢-٧٢٨٦).

(٢) رواه وكيع في «الزُّهد» (١٣٤-١٣٥)، وصحَّحه الألبانيُّ. انظر: «الصَّحيحة» (١٣٢٠).

(٣) ذكره ابن حِبَّان البستيُّ في «روضة العقلاء» (ص ١٢٣) من قول أبي حاتم.

لَا يَسَعُهُ عَفْوِي، أَوْ جَهْلٌ لَا يَسَعُهُ حِلْمِي، أَوْ عَوْرَةٌ لَا يَسَعُهَا سِتْرِي»[(١)].

وقيل للأحنف بن قيس: «يا أبا بحر، ما أحلَمكَ! فقال الأحنف: تعلَّمتُ الحِلْمَ من قيسِ بنِ عاصم؛ بينما هو ذات يومٍ في مجلسِهِ مُحتَبيًا بردائه يُحدثُ القوم، إذْ أُتِي بقتيلٍ ومكتوفٍ، فقيل له: هذا ابنكَ، قتلَهُ ابنُ عمِّك هذا المكتوف. فما قطعَ حديثَهُ، ولا حَلَّ حَبْوَتَهُ، فلمَّا فرغ من حديثه، التفتَ إلى ابنِ عمِّه وقال له: أما إنَّك ما أضررْتَ إلَّا بنفسك؛ عصَيْتَ ربَّكَ، وقطَعتَ رَحِمَكَ، ونقصتَ عددكَ، ثُمَّ قال لابنٍ له: قُمْ فَوارِ أخاكَ، وحُلَّ كِتافَ ابنِ عمِّك، وسُقْ إلى أُمِّكَ مائة ناقةٍ ديَّةَ أخيك»[(٢)].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فرأيتُ المأمونَ قد مسحَ بيده على وجهه، ونظر إليَّ؛ فعلمتُ أنَّهُ قد رجعَ وكظَمَ غَيظهُ، ثُمَّ أطرقَ؛ فعلمتُ أنَّهُ يستزيدني مِنَ الكلام.

فَقُلْتُ: قال عبدُ الرَّحمن بن شبيب[(٣)]: حدَّثني أبي: أنَّهُ كان يطوفُ حولَ بيت الله الحرام، فلَحِقَهُ أبو جعفر المنصور؛ فأخذَ بيده وشبَّكَ يدَهُ في يدهِ فطافا جميعًا. قال: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أتأذن لي أن أكلِّمك. فقال: هات. فقلت: «إنَّ الله -جلَّ ثناؤه- يومَ قسمَ أقسامَهُ، لم يرضَ لكَ منها إلَّا بأعلاها وأسناها؛ فلم يجعل[(٤)] فوقكَ أحدًا في الدُّنْيَا، ولا ترضَ لنفسك إذ لم يجعل فوقكَ أحدًا في الدُّنْيَا، أن يكونَ

---

(١) ذكره الثَّعالبيُّ في «التَّمثيل والمحاضرة» (ص ١٣٣)، والقيروانيُّ في «زهر الآداب» (ص ١٩٩)، من قول معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الدِّينوريُّ في «المجالسة وجواهر العلم» (٨٠٤-٣٣٢٨). وانظر: «البداية والنِّهاية» (٨/ ٣٦).

(٣) في (ي): «عبد الرَّحمن بن شعيب».

(٤) في (أ): «فلا تجعل».

فوقكَ في الآخرة أحد.

يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله تعالى قد أعطاكَ الدُّنيَا بأسرِها؛ فاشْتَرِ نفسك مِنَ اللهِ ببعضها.

يا أميرَ المؤمنين، اتَّقِ الله؛ فإنَّهَا وصيةُ الله إليكُم جاءت، وعنكُم قبِلَتْ، وإليكُم تُرَدُّ.

يا أميرَ المؤمنين، إنَّ اللهَ لم يرضَ مِنْ آل داود ﷺ وقد نفَّلَهُم الدُّنيَا، وَرَفَّلَهُم فيها[١]، فلم يجعل ما أنفقوا سَرفًا، ولا ما أمسكوا كنزًا، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥]. ثُمَّ لم يرضَ منهم مع ذلك كُلِّهِ إلَّا بالشُّكر، فقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. وإنَّ شكركَ في عبادِ الله تعالى أن تُحسِنَ إلى مُحسِنهم، وتتجاوزَ عن مُسيئهم، وتحلُمَ عن جاهلهم»[٢].

وقال المبارك بن فضالة: «إنِّي لعند أبي جعفر المنصور، إذْ أُوتي برجلٍ فأمرَ بقتله. فقلت: يُقتَلُ رجلٌ وأنا حاضرٌ وهو مِنَ المسلمين. فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، ألا أحدِّثك بحديثٍ سمعتهُ مِنَ الحسن. قال: وما هو؟ قلت: سمعت الحسن يقول: «إذا كان يومُ القيامة جُمع النَّاس في صعيدٍ واحدٍ، يسمعهم الدَّاعي، وينفذهم البصر، فيقوم منادٍ من عند الله، فيقول: لِيَقُمْ مَنْ لهُ عند الله يَدٌ، فلا يقومُ إلَّا مَنْ عَفَا. فقال المنصور: آلله، أسَمِعتَهُ مِنَ الحسن؟! فقلت: آلله، سَمعتُهُ مِنَ الحسن. قال: خَلِّيَا عنه. فخُلِّي عنه»[٣].

---

(١) في (أ): «ورفَّهَهُم فيها».
(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٦٦).
(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٢٨٠).

وقال أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن الزُّبير: إنِّي لعند سليمان بن عبد الملك، إذْ دخلَ عليه أعرابيٌّ، فقال له سليمانُ بن عبد الملك: تكلَّم يا أعرابيُّ. فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي لمكلِّمكَ بكلامٍ فاحتملهُ إنْ كَرِهتَهُ؛ فإنَّ وراءه ما تحبُّ إنْ قَبلتَهُ. فقال له سليمان: وَاللهِ يا أعرابيُّ إنَّا لنجودُ بسعَة الاحتمال على مَنْ لا نرجو نُصْحَهُ ولا نأمن غِشَّهُ، فقُل. فقال: يا أميرَ المؤمنين، أما إذا أَمِنْتُ بادرةَ غضبكَ فسأُطلِقُ لساني بما خرسَتِ الألسنُ[1] عن عِظَتِكِ به؛ تأديةً لحقِّ الله، وحَقِّ إمامتك، يا أميرَ المؤمنين، إنَّكَ تكنَّفكَ[2] رجالٌ أساءوا الاختيارَ لأنفسهم؛ فابتاعوا دنياكَ بدينهم، ورضاكَ بسخطِ ربِّهم، خافوكَ في الله، ولم يخافوا الله فيك، حَرْبٌ للآخرة، وسِلْمٌ للدُّنيَا؛ فلا تأمَنْهُم على ما ائتمنكَ اللهُ عليه، فإنَّهُم لم يألوا للأمانة تضييعًا، وللأمَّة خَسفًا وعسفًا، وأنتَ مسؤولٌ عمَّا اجترَحُوا، وليسوا بمسؤولين عمَّا اجترحْتَ، فلا تُصلِحْ دنياهم[3] بفسادِ دينكَ وآخرتك، فإنَّ أعظمَ النَّاس غُبْنًا بائعُ آخرته بدنيا غيره.

قال: فبكى سليمان بكاءً شديدًا[4].

ودخل -يا أميرَ المؤمنين- ابْنُ السَّمَّاك على أميرِ المؤمنين الرَّشيد -رضوان الله عليه-، فقال له: عِظني وأوجِز، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّهُ ليس أحدٌ من هذا الخلق إلَّا له مقامٌ بين يدَي الله تعالى ومنصرَفٌ؛

---

(١) في (ي): «أما إذا أَمِنْتُ بادرةَ غيظكَ فسأُطلِقُ لساني عَمَّا خرسَتِ الألسنُ».
(٢) في (ي): «إنَّك يكفيك».
(٣) في (أ): «فلا تُصلِحْ دنياكَ».
(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٨/ ١٧٥).

فانظُرْ إلى أين يكونُ[١] مُنصرَفُكَ، إلى جنَّةٍ أو إلى نار.

قال: فقال له الفضل بن الرَّبيع -وهو على رأسه-: إلى أين يكون مُنصرفهُ؟! إلى جنَّةِ الله ورضوانِهِ ومجاورةِ نبيِّه محمَّد ﷺ.

فقال له ابْنُ السَّمَّاك: يا أميرَ المؤمنين، لا يغرَّنَّكَ هذا من نفسكَ[٢]؛ فإنَّك يومئذٍ لا تراهُ ولا يراكَ، وأنت أعلَمُ بنفسك منه.

فبكى أميرُ المؤمنين -رضوان الله عليه- بكاءً شديدًا[٣].

ودخل -يا أميرَ المؤمنين- رجلٌ على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: تكلَّم. فقال: ما أتكلَّم به؟! وقد عَلِمْتُ: أنَّ كلَّ كلامٍ يتكلَّم به المتكلِّم وبالٌ عليه إلَّا ما كان لله طاعةً.

فبكى عبد الملك، فقال: يرحمكَ الله تعالى لم يزل النَّاسُ يتواعظون.

فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ للنَّاس في القيامةِ جَوْلةً لا ينجو من غُصَصِ تلك الجولة وحَرارتها[٤]، ومُعاينة الرَّدَى فيها إلَّا مَنْ أرضَى الله تعالى بِسَخَطِ نَفْسِه.

فبكى عبد الملك حتَّى اشتدَّ بكاؤه، ثُمَّ قال: لَا جَرَمَ لَا جَرَمَ؛ لأجعلنَّ هذه الكلمات نُصْبَ عَيني ما عِشتُ، ثُمَّ كتَبها بيده[٥].

---

(١) في (ي): «فانظُرْ أن يكونُ».
(٢) في (ي): «لا يغرَّنَّكَ بهذا من نفسه».
(٣) ذكره الذَّهبيُّ في «سير أعلام النُّبلاء» (٨/ ٣٢٩)، وابن كثير في «البداية والنِّهاية» (١٣/ ٦٢٣) مختصرًا.
(٤) في (ق): «ومرارتها».
(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٨/ ١٦٥).

ودخل رجلٌ على عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أميرَ المؤمنين، احذَرْ قاتلَ الثَّلاثة. فقال عمرُ بن الخطَّاب: ويحك! وما قاتلُ الثَّلاثة؟ قال: هو الرَّجُلُ يأتي القومَ بالحديث الكذِب، فيقتلُ الإمامُ ذلكَ بحديثِ هذا الكذَّاب، فيكون قد قتل نفسَه وصاحبَه وإمامَه. فبكى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: نظرَ عمرُ إلى رجلٍ، وقد أذنبَ ذنبًا، فتناولَهُ بالدِّرَّة، فقال الرَّجُلُ: واللهِ يا عمرُ، لئن كنتُ أحسنتُ لقد ظلَمْتَني، ولئن كنتُ أسأتُ فما أَعْلَمْتني. فقال عمر: صدقْتَ! أستغفر الله، دونكَ؛ فافتدِ من عمر[2] وألقى الدِّرَّة إليه، فقال: بل أهبُها لله عَزَّوَجَلَّ[3].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فبكى المأمونُ بكاءً شديدًا وأنا أتكلَّم، لا أقطعُ الكلامَ حتَّى رأيتُه قد مسحَ وجهَهُ بالمنديل؛ فأمسكتُ وقطعتُ ما كنتُ فيه، فنظر إليَّ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّمَا بدأتُ بحَقِّ الله عليَّ، بذكرِ ما خصَّ[4] الله به أميرَ المؤمنين من عظيم الأخلاق، وجميل الأفعال، وما أوجَبهُ الله تعالى على الخلْقِ من طاعته، ووصلتُهُ بما شرَّفه الله تعالى به من الحِلْم، وزيَّنه به مِنَ العلم، وكرَّمهُ به مِنَ العفو، وأتبعتُ ذلك بما روي عن آبائه[5] -رضوان الله عليهم- ليكونَ زايدًا في نِعَم الله عنده، ومُرَجًّى للصَّفح[6] عمَّا كان منِّي من جهلٍ أو خطأ، فإنِّي

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنَّف» (٢٠٦٤٥-١١/ ٣١٧)، والبيهقي في «الكبرى» (١٧١٢١ - ٨/ ١٦٧).
(٢) في (أ): «فاقتَعَدَ منه عمرُ».
(٣) ذكره الماورديُّ في «الحاوي الكبير» (١٧/ ٢٩).
(٤) في (ي): «بحقِّ الله تعالى على ذكرِ ما خصَّ».
(٥) في (أ): «آبائهم».
(٦) في (ي): «ومرجي للصُّلح»، وفي (أ): «وموجبًا للصَّفح».

أعترفُ بالذَّنب، وأُقِرُّ بالإساءة، وأستعتب أمير المؤمنين[(١)]، وأسأله الصَّفحَ والتَّجاوزَ؛ فإنَّ الله تعالى قال -في كتابه النَّاطق على لسان نبيِّه الصَّادق-: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التَّوبة: ١٢٠]. والـ«عسى» مِنَ الله تعالى واجبٌ؛ فأخبرَ اللهُ تعالى باعترافهم: أنَّهُ يتوبُ عليهم ويغفرُ لهم لما اعترفوا على أنفسهم.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النِّساء: ١١٠].

فهذه أخبارُ الله تعالى عن نفسِهِ: أنَّهُ يغفرُ لمن اعترفَ واستغفرَ ولم يُصِرَّ على ما فَعَلَهُ.

ثُمَّ بعد هذا أعترف أنا بما[(٢)] يوجِبُ العُذْرَ لي ويُزيلُ عنِّي اللَّومَ، والحُجَّة فيما فعلْتُ، إنْ أذِنَ لي أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- في ذلك.

فَقَالَ المأمونُ: قُلْ ما تريدُ مِمَّا تُبَيِّن به عُذْرَكَ، وتُزيلُ به الحُجَّة عنكَ فيما فعلتَ[(٣)].

---

(١) في (أ): «وأستغيثُ بأمير المؤمنين».
(٢) في (أ): «ثُمَّ أنا بعد هذا أعتذرُ بما».
(٣) في (أ): «قُلْ ما تريدُ مِمَّا يبيِّن فيه عذرَكَ، ويُزيلُ فيه الحُجَّة عليكَ فيما فعلتَ».

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ اللهَ تعالى ذكرَ الملائكة بأجملِ ذِكْرٍ، ووَصَفَهُم بأحسَنِ صفةٍ، وامتدحهم بأحسنِ مدحةٍ، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٧].

وقال تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥- ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠- ١١].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحريم: ٦].

فأخبرَنا اللهُ تعالى عن طاعتهم له وقَبولهم لأمره، وشهِدَ لهم أنَّهُم لا يعصونَه وأنَّهُم من خَشيتِهِ مُشفقون.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. فأخبَرَنا اللهُ تعالى عن مُراجعتهم إيَّاهُ فيما أعلمَهُم أنَّهُ فاعله، ومعارضَتِهم له فيما اختاره، وتعريضِهم بأنفسهم لطلَب الخلافة، وأنَّهُم أحَقُّ بها مِمَّن اختاره؛ وهم أهْلُ الطَّاعة الَّذين قد أثبتَها اللهُ تعالى لهم ونفى عنهم العِصيان، وكان فعلُهم هذا ومراجعتهم إيَّاه عندهم مباحًا مطلقًا غيرَ محرَّمٍ ولا محظورٍ؛ لأنَّهُم لم يَنْهَهُم عنه قبلَ ذلك ولم يحظره عليهم[١]، فعلموا بإمساك

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٩٥).

الحظر عليهم ما لم يرضه منهم[١]، فأراد تعالى أن يُثبتَ عليهم الحُجَّة، ويعلمهم أنَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أحَقُّ بالخلافة منهم، وأنَّ مراجعتهم إيَّاه مِمَّا قد كَرِهَهُ منهم؛ فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]. يعني في قولكم: إنَّكم أحقُّ بالخلافة من آدم، ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢]. فاعترفوا بالعجز عن علم الله، وعمَّا لم يُعلِمهُم الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣].

فدلَّ هذا على أنَّهُ امتحنَ الملائكة بالمسألة عَنِ الأسماء الَّتِي عجزوا عن عِلْمِها وعَلِمَها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ سألوا آدمَ[٢] فأنبأهُم بها؛ ليُعلمهم فضلَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عليهم بالعلم الَّذِي أودعَه إيَّاه، وأنَّهُ أحَقُّ بالخلافة منهم لفضلِ علْمِهِ، فأثبتَ الحُجَّة عليهم من أنفسهم، وبإقرارِ ألسنتِهِم[٣] واعترافِهِم بالعجز عمَّا عَلِمَهُ آدم، وأنَّهُ كان أعلَمَ بما اختاره منهم، ثُمَّ أعرضَ عنهم بعد إثبات الحُجَّة عليهم، حَتَّى لاذوا بالعرش وطافوا حولَهُ واستغفروه، فغفر لهم.

ولم نجِد الله تعالى ذمَّهم مِمَّا كان[٤] من أمر مُراجعتهم إيَّاه، ولا ألزَمَهُم ذنبًا ذكَرهُ عنهم، ولا خرجوا بمراجعتهم إيَّاه من صفتِهِ ومِدْحَتِهِ لهم؛ إذ كانوا إنَّمَا عملوا في ذلك بإمساكِ الحظر عليهم، وهم عند

---

(١) في (أ): «ما لم يرض منه».
(٢) في (أ): «ثُمَّ سأل آدمَ».
(٣) في (أ): «وبإقرارِ أنفسِهِم».
(٤) في (أ): «فيما كان».

أنفسهم غيرُ حَرِجين ولا مأزورين(١)، ولقد تمَّت مِدْحَةُ الله لهم وصفتهُ بطاعتهم إلى أن بعثَ اللهُ نبيَّه محمَّدًا ﷺ وهو آخرُ الأنبياء، فامتدَحَهُم في كتابه الَّذِي أنزلَهُ عليه -وهو القرآن- وأخبرَهم(٢) بكرامتهم عليه، وأنَّهُم لا يعصونه ولا يخرجون عن طاعته، ولم تزل الأنبياء أجمعون بعدَ الملائكة يعملون(٣) فيما لم يُنهَوا عنه، ولم يحرِّم عليهم بإمساكِ الوحي عنهم، حَتَّى إذا نُهوا عَنِ الشَّيء أو حُظِرَ عليهم فعلُه انتهَوا عنه، فلم يفعلوه ولم يَقْرَبُوه وتَحامَوهُ وجانبوا مَنْ أتاه أو فعَلَهُ، وكان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أوَّلَ الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- خَلْقًا، خلَقَهُ الله تعالى بيده ونفَخَ فيه من روحه، واصطَفاه لنفسه، وأسجَدَ له ملائكته، وأسكَنهُ جنَّته، فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥].

فمَنْ يبلغ عقلُه أو فهمهُ أن يصِفَ قَدْرَ منزلة آدم ﷺ عند ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وقد أسجَدَ له صفوتَهُ وأهلَ الكرامة عليه مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ أسكَنهُ الجنَّة وأباحَهُ إيَّاها، يأكل منها(٤) ما شاءَ مِنْ حيثُ شاء مُباحًا مطلقًا، غير ممنوعٍ ولا محذورٍ عليه، ولا حَرجٍ عليه فيما يفعل، فقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [الأعراف: ١٩].

---

(١) في (ي): «ولا مأمورين».
(٢) في (أ): «وأخبرَهُ».
(٣) في (أ): «يعلمون».
(٤) في (أ): «فأكلَ منها».

فأخبر تعالى: أنَّهُ أباحهُما(١) الجنَّة يأكُلان من حيث شاءا، ثُمَّ أمرَهُما ونهاهُما، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في غير موضع مِنَ القرآن.

وقال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝١١٦ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٦ - ١١٧].

فلمَّا جاء الأمرُ والنَّهيُ، ووقعَ التحريمُ والحظرُ عليهما؛ كانا بذلك ممنوعَين مِمَّا كان مباحًا لهما مطالَبين بالأمر والنَّهي، وقد أعلَمَهُما تعالى أنَّهُمَا إنْ خالَفا أمرَهُ وارتكَبا نَهيَه كانا مِنَ الظَّالمين؛ فأوجبَ عليهما بهذا الخبر الطَّاعةَ فيما أمرَهُما به، والانتهاءَ عَمَّا نهاهُما عنه، والحذرَ مِمَّا حذَّرهما منه، والخوفَ مِمَّا تواعَدَهُما به، وهما أعظم خَلْقِهِ عنده قَدْرًا، وأرفعُهُم منزلةً وأعلاهُم مَرتبةً، فلَمَّا خالَفا أمرَهُ وارتكَبا نَهيَه، وسكنا إلى مَنْ حذَّرهما منه؛ حَقَّ عليهما عقوبته، فسلَبهما لباس كرامته، وأخرجَهما من داره، وباعدَهُما من قُربه وجواره، وأهبَطَهما من سمائه إلى أرضه، فكان فعلهُ هذا بهما بعدَ مخالفتهما للأمر وارتكابهما للنَّهي، فقال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ -يعني الشَّجرة الَّتي نهاهما عنها- ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

---

(١) في (أ): «أباح لهُما».

فأعلمَهما تعالى[١]: أنَّهُ إنَّمَا سلبهما لباسَ كرامته، وأخرجَهما من دارِهِ، وأهبطَهما مهبطَ العاصين، وأسكنَهُما دار الخاطئين بعد مخالفتهما أمرَهُ وارتكابهما نهيَهُ، ولم نجِد الله تعالى احتجَّ عليهما بعلمِهِ السَّابق فيهما، وإنَّمَا احتجَّ عليهما بمخالفة الأمر وارتكاب النَّهي، بقوله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]. فلمَّا سمِعا الخِطابَ مِنَ الله تعالى علِمَا أنَّهُمَا قد أخطأا وظلَما أنفسَهُما بمخالفتهما أمره وارتكابهما نهيه، فندِما واعترَفا بالخطأ، وقالا مقالةَ الخاطئين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فكان اعترافهما لله تعالى بخطَئِهما عند ثباتِ الحُجَّة لله تعالى عليهما ومخاطبته إيَّاهما بها، ولم نجِد الله تعالى ذمَّهما على شيءٍ كان منهما قبل مخالفتهما أمرَهُ وارتكابهما نَهيَه؛ وبذلكَ جرَتْ سُنَّة الله تعالى في ولدهما وذُرِّيتهما من بعدهما.

وكان نوح ﷺ بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أبو الخلق بعد آدم، وهو صفوة الله تعالى؛ اصطفاه الله تعالى وارتضاهُ، وسلَّم عليه وأثنى عليه، وسمَّاه عبدًا شكورًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصَّافَّات: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقد ذكره الله[٢] تعالى بأجمل ذكرٍ، وأثنى عليه بأحسنِ الثَّناء،

---

(١) في (أ) و(ق): «فأعلمَنا تعالى».
(٢) في (أ): «فذكره الله».

وقصَّ علينا قصصَهُ وما لبث في قومه، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

فصبر على أذاهُم ومكروههم[١] محتسبًا صابرًا رجاءَ أن يهديهم الله تعالى فيؤمِنوا، وهو -مع ذلك- يُكثر مخاطبة الله تعالى في أمرهم، ويسأله تأخيرَ العذاب عنهم، ويذكر له ما يرجوه من إيمانهم ولا يشكوهم ولا يذمُّهم؛ حتَّى جاء الوقت الَّذي أذِنَ الله تعالى في هلاكهم، وقضى فيه غرقَهم، فقال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٦ - ٣٧].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

فأعلَمَنا تعالى أنَّهُ لم يزل نوح ﷺ يُكثِرُ خطابَ ربِّه في أمر قومه، ويسألهُ تأخيرَ العذاب عنهم لما يرجوه من إيمانهم؛ لأنَّ قوله تعالى في غير موضع: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾. دليلٌ على خطابٍ قد تقدَّم كثيرٌ منه في أمرِهم، فنهاهُ عن ذلك ليتمَّ قضاؤه وقدره عليهم، فكان نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يعملُ في مخاطبة ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومراجعتِهِ في أمر قومِهِ بإمساكِ الوحي عن نهيه، وأنَّ ذلك مباحٌ مطلَقٌ غير محرَّمٍ ولا محظورٍ؛ فلَمَّا جاء الأمر والنَّهي وَجَب على نوحٍ ﷺ الطَّاعة لله تعالى في اتِّباع أمره والانتهاء عَمَّا نهاه عنه؛ فانتهى ﷺ عَنِ المخاطبةِ لله تعالى في أمرِ قومِهِ ومعاودة

---

(١) في (أ): «فصبر على أذاهُم ومكرِهم».

المسألة له فيهم، ويئِسَ من إيمانهم، وثقُلَ عليه ما كان خفيفًا، وعظُمَ عليه ما كان يسيرًا مِنَ الصَّبر على مكروههم الَّذِي كان يتقرَّب به إلى الله تعالى ويؤمِّل به عظيمَ ثوابه، وعلم ﷺ أنَّ اللهَ تعالى قد أذِنَ في هلاكهم فأحَبَّ ما أرادَ اللهُ تعالى فدعا عليهم، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

كُلُّ ذلك(١) طاعةً لله تعالى وتقرُّبًا إليه، ولم نجد أنَّ اللهَ تعالى ذمَّ نوحًا، ولا أثبتَ عليه حُجَّةً فيما كان من خطابه قبل النَّهي في قومه؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَ الحُجَّة إِنَّمَا تكون بعد الأمر والنَّهي.

ثُمَّ ذكر تعالى قِصَّة نوح وابنه، فقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

فلم يزَلْ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ينادي ابنه حَتَّى يئِسَ منه وعلم بغرَقِه، فلَمَّا علم بغرقهِ رجعَ إلى رَبِّهِ يسأله في أمره، ويذكر(٢) ما كان وَعدَهُ من نجاة أهله، وكان الله تعالى وعد نوحًا ﷺ قبل الغرق أن ينجِّي أهلَهُ المؤمنين خاصَّةً دون الكافرين، فكان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يعمل في نداء ابنه ومناجاة ربِّه في أمره، بإمساكِ الوحي عن نهيِهِ والحظر عليه؛ وهو يرى أنَّ ابنه من أهله الَّذِين وعَدهُ بنجاتهم، وأنَّهُ غير حَرِجٍ ولا مأزورٍ في فعله، فلَمَّا نهاه اللهُ تعالى عن ذلك وحظَرهُ عليه، وأعلَمَهُ أنَّهُ ليس من

---

(١) في (أ): «كان ذلك».

(٢) في (أ): «ويذكر له».

أهله المؤمنين الَّذِين وعَدَهُ بنجاتهم بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]. يقول: ليس من أهلك المؤمنين الَّذِين وعدتكَ بنجاتهم، ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]. فلَمَّا نهاه الله تعالى عَنِ المسألة في أمر ابنه؛ وجبَ عليه الطَّاعةُ لأمر رَبِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والانتهاءُ عَمَّا نهاه عنه، فأمسكَ نوحٌ ﷺ عن معاودة رَبِّه تعالى بذِكره ولده والمسألة في أمره، وندم على ما تقدَّم من مسألة ربِّه في أمره، فاعتذر إلى ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

ولم نجد الله تعالى ذمَّ نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ في ما كان من ندائه لابنه، ولا في مراجعته لِرَبِّه قبل النَّهي، ولا أوجبَ عليه بذلك ذنبًا؛ لأَنَّهُ كان قبل النَّهي غيرَ ممنوعٍ ولا محظورٍ، وإنَّمَا ثبتت له الحُجَّة بعد النَّهي، وبذلك جرَتْ سُنَّة الله تعالى في ولده وذُرِّيَّته من بعده.

ثُمَّ ذكر تعالى قِصَّة إبراهيم الخليل ﷺ وما كان مِن استغفاره لأبيه، فقال تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشُّعراء: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

فلم يزَلْ إبراهيم ﷺ يستغفر لأبيه، وهو كافرٌ يعبد الأصنام من دون الله تعالى وهو يعلَمُ أنَّهُ عدوٌّ لله بإمساك الوحي عن نهيهِ والحظرِ

عليه، فكان استغفارهُ له للموعد الَّذي وعَدَهُ إبراهيم ﷺ، فلَمَّا تبيَّن له أنَّهُ عدوٌّ لله تبرَّأ منه، فكان ﷺ غيرَ حَرِجٍ ولا مَلومٍ في ذلك؛ لأنَّهُ لم يكن نُهيَ عَنِ الاستغفار ولا حُرِّم عليه، فلَمَّا نهاه الله تعالى عَنِ الاستغفار لأبيه وأعلَمهُ أنَّهُ عدوٌّ لله يموت على كفره فيدخله النَّار، فأمرَهُ بالتَّبرُّؤ منه ومن قومه، ووجب على إبراهيم ﷺ الطَّاعة لله عَزَّوَجَلَّ، وقبولُ ما أمرَه به والانتهاءُ عمَّا نهاهُ عنه، فتبرَّأ إبراهيم ﷺ من أبيه وقومه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزُّخرف: ٢٦ - ٢٧]. فانتهى عَنِ الاستغفار لأبيه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التَّوبة: ١١٤].

فأخبر تعالى عَنِ انتهاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الاستغفار لأبيه طاعةً لربِّه وانتهاءً عمَّا نهاه عنه، فدلَّ قولُه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [التَّوبة: ١١٤]. أنَّهُ عذر(١) لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ(٢) في استغفاره لأبيه، وأنَّهُ إنَّما فعلَ ذلك بإمساكِ النَّهي والحظرِ عليه، وأنَّهُ كان في ذلك غيرَ حَرِجٍ ولا مأزورٍ حتَّى وقعَ التَّحريمُ والحظر عليه وجاء النَّهي.

ولم نَجِدِ اللهَ تعالى ذمَّه فيما كان منه قبل النَّهي ولا ثبتت له عليه حُجَّة؛ لأنَّ الحُجَّة له إنَّما تثبتُ بعد الأمر والنَّهي، وبذلك جرت سُنَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ولد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذُرِّيَّته من بعده.

---

(١) في (أ): «أنَّهُ وعد».
(٢) في (ق): «فلَمَّا تبيَّن له أنَّهُ عَدُوٌّ لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ».

ولم يزل النَّبِيُّ ﷺ يستغفر لأُمِّه آمنة بنت وهب ما شاء الله تعالى من دهرِهِ إلى أن فَتَحَ مكّة، فركِب إلى قبرها في ألف مُدجَّج[١]، فنزلَ على قبرها فلم يزل يستغفر لها، وكان ذلك منه ﷺ بإمساكِ الوحي عن نهيه والحظر عليه، وهو في ذلك غيرُ حرِجٍ ولا مأزورٍ، فكان ذلك له مباحًا مطلقًا إذ لم يُنهَ عنه، وكان في علمِ الله تعالى أنَّ مَنْ كان معه مِمَّنْ قد سَمِعَهُ يستغفِر لها سيتفرَّقون ويتحدَّثون بذلك؛ فنزلَ الملكُ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ونهاهُ عَنِ الاستغفار لأُمِّهِ، فبكى رحمةً لها[٢]، ودخلَهُ ما يدخلُ الولدَ لوالدته، فزجرَهُ ونهاهُ فاشتدَّ بكاؤهُ وشهيقُهُ، وجعل يُرَاجِعُ رَبَّهُ في أمرِها، ويذكرُ استغفارَ إبراهيم لأبيه وأنَّهُ لم ينهَهُ عن ذلك، ولم ينزل في القرآن عليه أنَّهُ قد نهاهُ عن ذلك؛ فهبطَ عليه جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوحي مِنْ عند الله تعالى وهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣][٣].

فحرَّم عليه وعلى سائر المسلمين[٤] أن يستغفِروا للمشركين ولو

---

(١) في (أ): «في ألف مُقنَّع».

(٢) روى مسلم في صحيحه (٩٧٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي». وَأمَّا حديثُ بكائه رحمةً لها، فقد رواه أحمد (٢٣٠٠٣) وغيره عن بريدة، وإسناده صحيح.

(٣) مراجعة النَّبِيِّ ﷺ لربِّه في استغفاره لأُمِّه، رواه ابن أبي حاتم (٦/ ١٨٩٣)، والحاكم (٢/ ٣٦٦)، والأزرقيُّ في «أخبار مكّة» (٢/ ٢١٠)، والطَّحاويُّ في «المشكل» (٢٤٨٧) عن ابن مسعود، وإسناده ضعيف. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٢٢).

(٤) في (ق): «وعلى سائر المؤمنين».

كانوا أولي قربى، وحظرَ ذلك عليهم جميعًا، وأعلمَ نبيَّه ﷺ أنَّهُ قد نهى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الاستغفار لأبيه وأَمَرَهُ بالتَّبرُّؤ منه، وأنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أمسَكَ عَنِ الاستغفار لأبيه، وتبرَّأ منه قبولًا من رَبِّه وانتهى عَمَّا نهاه عنه، وأنَّ ذلك كان بوحْيٍ أنزلَهُ على إبراهيم، ولم ينزله في القرآن، ولم يذكره لنبيِّه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التَّوبة: ١١٤].

فدَلَّ هذا على أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد كان نُهي عَنِ الاستغفار لأبيه، وأمرَهُ بالتَّبرُّؤ منه بوحيٍ أوجبَ عليه قبوله، وأنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد قَبِلَ أمره وانتهى عَمَّا نهاه، وعلم النَّبِيُّ ﷺ أنَّ إبراهيم الخليل ﷺ داخلٌ في جملة المؤمنين الَّذِين ليس لهم أن يستغفروا للمشركين؛ فوجبَ على النَّبِيِّ ﷺ الانتهاء عَمَّا نهاه الله تعالى عنه، فانتهى ﷺ عَنِ الاستغفار لأُمِّهِ آمنة بنت وهب، وتبرَّأ إلى الله تعالى منها، وقال بحضرة أصحابه ومَنْ حضرَ كلامه: «اللهُمَّ إِنِّي أَتَبَرَّأُ إِلَيْكَ مِنْ آمِنَةَ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَبِيهِ»[1].

ولم نَجِدِ اللهَ تعالى ذَمَّ نبيَّنا ﷺ فيما كان مَنِ استغفاره لأُمِّهِ قبل الأمر والنَّهي، ولا ألزمَهُ لومًا ولا أثبتَ عليه حُجَّةً؛ إذ كانَتِ الحُجَّة إِنَّمَا ثبتت بعد الأمر والنَّهي، وبذلك جَرَتْ سُنَّتُهُ في أمرِ أُمَّتِه كُلِّها من بعده.

ولقد ذكر الله تعالى قِصَّة إبليس وما كان فيه في السَّماء مع الملائكة

---

(١) حديث ضعيف، رواه الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١٢٠٤٩-١١/ ٣٧٤)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٢٩٧): «وهذا حديث غريب وسياق عجيب، وأغرب منه وأشد نكارة..». وانظر: «السِّلسلة الضَّعيفة» (٥١٣١).

في الجنَّة، وهو في سابق عِلْمِهِ [يعلم] أَنَّهُ ملعونٌ(١) رجيمٌ عدوٌّ له ولخلْقِهِ، مخالفٌ لأمره مرتكبٌ لنهيِهِ عاصٍ له، خَلَقَهُ من نارٍ وجعلَ مَصِيرَهُ إلى النَّار، فلم يُخرجه بسابق عِلْمِهِ فيه من جَنَّتِهِ، ولا باعدَهُ من قُرْبِه، ولا نفاه عن أهلِ طاعته، ولا أهبَطَهُ من سمائه إلى أرضه إلَّا بعد خروجه عن أمرِهِ ونهيِهِ، وثبات الحُجَّة عليه بمخالفته وعصيانه، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨-٣١].

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]. يريد: أَنَّهُ في علم الله كافر، سبق فيه الحكم.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص: ٧١-٧٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٦-١١٧].

فأخبرَنا تعالى: أَنَّهُ خالفَ أمره وأبى قولَه؛ فغضبَ عليه ولَعنهُ وجعله مِنَ المرجومين(٢)، وأخرجه مِنَ الجنَّة وهو مِنَ الصَّاغرين، وأهبطَهُ إلى الأرض فصار مِنَ المدحورين بقوله تعالى: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا

---

(١) في (ي): «أَنَّهُ شيطان».

(٢) في (ق): «وجعله مِنَ المجرمين».

يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣].

وبقوله تعالى: ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر: ٣٤ - ٣٥].

وبقوله تعالى في موضع آخر: ﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [ص: ٧٧ - ٧٨].

فأخبرنا تعالى: أَنَّهُ إِنَّمَا غضبَ عليه ولعنه وجعلَهُ مِنَ المرجومين من بعد خروجه عن أمره ومخالفته إيَّاه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف: ٥٠].

فدَلَّ هذا على أَنَّهُ إِنَّمَا وجبتْ عليه الحُجَّة بعد خروجه عن أمر ربِّه، ولم نجد الله تعالى احتجَّ على إبليس -لعنه الله- بعِلْمِهِ السَّابق فيه، وإِنَّمَا احتجَّ عليه بمخالفته أمره، وبذلك جرَتْ سُنَّةُ الله تعالى في جميع خَلْقِهِ.

ولقد ذكرَ اللهُ تعالى قِصَّة فرعون، وما كان مِنْ تَجَبُّرِهِ وعُتُوِّه وتكبُّره وادِّعائه إلى الرُّبوبيَّة، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

وقوله: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشُّعراء: ٢٩].

وقوله: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النَّازعات: ٢٣ - ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزُّخرف: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [القصص: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣].

فأخبرنا الله تعالى عن كُفْرِه وادِّعائه الرُّبوبيَّة، وعُتوِّه وتجبُّره في مواضعَ كثيرة مِنَ القرآن، وإمهاله إيَّاه حتَّى أرسلَ الله تعالى إليه موسى ﷺ بالأمر والنَّهي والآيات والعلامات، فلَمَّا كذَّبَ وعصى وجحَد بما جاء به موسى ﷺ وخالفَ الأمرَ وارتكبَ النَّهي = أخذَهُ الله وغرَّقه هو وقومَهُ بعد تكذيبهم وعصيانهم ومخالفتهم رسلَ رَبِّهم وثبات الحُجَّة بذلك عليهم، فقال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ٩-١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المُزَّمِّل: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النَّمل: ١٣- ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وأعلمَنا تعالى[1] أنَّهُ إنَّمَا أهلكَ فرعون وقومَهُ بعد تكذيبهم الرُّسُل ومخالفتهم الأمر وارتكابهم النَّهي، ولم نَجِدِ الله تعالى احتجَّ على فرعون بعلمِهِ السَّابق فيه، وإنَّمَا احتجَّ عليه بادِّعائه الرُّبوبيَّة، وما كان منه من عظيم الكفر والعتوِّ والتَّجبُّر والتَّكبُّر على الله تعالى؛ لِأَنَّ ذلك إنَّمَا كان قبل ثبات الحُجَّة عليه وعلى قومه، وإنَّمَا ثبتت الحُجَّة

---

(١) في (ق): «وأعلمَنا الغالب».

على فرعون وقومه بعد توجيه الرُّسُل بالأمر والنَّهي، وإِنَّمَا احتجَّ عليهم بإرسال رسله بأمرِهِ ونهيه.

ولقد أخبرنا الله تعالى عَنِ الأمم السَّالفة، وقصَّ علينا أخبارَهُم وتوجيه الرُّسُل إليهم، وإنزاله الكتب عليهم بالأمر والنَّهي والوعد والوعيد والتَّرغيب والتَّرهيب، فلم نجده تعالى ذكر هلاك أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ، إِلَّا بعد تكذيبهم الرُّسُلَ ومخالفتهم الأمر والنَّهي، ولا وجدناه تعالى احتجَّ في هلاك أُمَّةٍ منهم في عذابهم إِلَّا بمخالفة الأمر(١) وارتكاب النَّهي وتكذيب الرُّسُلِ فيما أدَّوْا إليهم في ذلك عَنِ اللهِ تعالى، فقال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ﴾ [الفرقان: ٣٧].

وقال في قِصَّة عاد: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ [الشعراء: ١٣٩].

وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٤-٦].

وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ [القمر: ٣٣ - ٣٤].

وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [إلى قوله:] ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٨٩].

وقال تعالى في موضعٍ آخر -وقد ذكرَ الأمم فقصَّ قصصَها- ثُمَّ قال: ﴿ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [ص: ١٤]. يقول: حَقَّ عليهم

(١) في (أ): «فلم نجده تعالى ذكر هلاك أُمَّةٍ منهم وفي عذابهم، إلاَّ بمخالفة الأمر».

العقابُ بتكذيبهم الرُّسُلَ ومخالفتهم الأمر والنَّهي الَّذِي جاؤوهم به.

وقال تعالى في موضعٍ آخر -وقد قصَّ قصص الأمم-: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤]. يقول: حَقَّ عليهم الوعيد بتكذيبهم الرُّسُل ومخالفتهم الأمر وارتكابهم النَّهي.

وقال تعالى في موضعٍ آخر -وقد قصَّ قصصَ الأمم-: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]. فأعلمنا الله تعالى أَنَّهُ ما أخذَ أحدًا منهم إِلَّا بذنبه، ولا أهلكَهُ إِلَّا بعد استحقاقه.

فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وقال في موضعٍ آخر: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١].

وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ [يونس: ٧٤].

وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠٠-١٠١].

وقال تعالى في موضعٍ آخر: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦]. فأخبرنا تعالى: أَنَّهُمْ عَتَوْا عمَّا نُهُوا عنه فجعلهم بعد عتوِّهم قردة خاسئين.

وإِنَّمَا قامت حُجَّة الله تعالى على كُلِّ أُمَّةٍ بالكتاب الَّذِي أنزله

عليهم، والرَّسُولِ الَّذِي أرسله إليهم؛ لِأَنَّ علم النُّبُوَّةِ كان في النَّاس من قبل جهل الجاهليَّة، فلم يزل كُلُّ نبيٍّ يأتي أُمَّته بحُجَّةٍ على أوَّلها وبحُجَّةٍ على آخرها بالبلاغ، إلى مبعث النَّبِيِّ الَّذِي بعدَهُ؛ حَتَّى بعثَ الله تعالى نبيَّه محمَّدًا ﷺ إلى النَّاس كافةً، فكان حُجَّةً على النَّاس كُلِّهِم إلى أن تقوم السَّاعة، وبيان ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فإِنَّمَا قامت الحُجَّة على النَّاس لربِّهم تعالى بالكتب والرُّسُل الَّتِي احتجَّ بها عليهم، وجعل الله تعالى الدَّلالة عليه[1] بخبرِهِ عن نَفْسِه الَّذِي قالت به كتبُهُ وجاءت به رسلُه، وبذلك اهتدى إليه المهتدون الَّذِين وفَّقهم الله للهدى واستنقَذَهُم بتوفيقه مِنَ الرَّدى، وبيانُ ذلك قولُهُ تعالى لنبيِّه محمَّد ﷺ: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠].

فأمرَ الله تعالى نبيَّه محمَّدًا ﷺ: أن يخبر أُمَّته: إِنَّمَا يهتدي بما يوحى إليه، وهو دليل النَّاس كافَّة الَّذِين هداهم الله تعالى به.

فأُمَّته أَحرى وأَحَقُّ أَلَّا تهتدي إِلَّا بالوحي الَّذِي يهتدي به نبيُّهم ﷺ.

وقوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النَّازعات: ١٧-١٩].

فكانت الرِّسالة الَّتِي جاء بها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون فعرضَ عليه أن يهديه بها إلى الله تعالى، وأبى فرعونُ أن يقبلَ الدَّلالة الَّتِي هي

---

(١) في (أ): «الدَّلالة عليهم».

خبرُ الله تعالى عن نفسه الَّتِي يهتدي بها إليه، وبها احتجَّ الله تعالى على فرعون، فقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المُزَّمِّل: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥-٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

فهدى الله تعالى النَّاسَ بنعمتهِ وفطَرَهُم على معرفته، ثُمَّ قدَّم إليهم الأمرَ بالإيمان والنَّهيَ عَنِ المنكر، فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥ - ٣٦].

فأخبرَهُم الله تعالى: أنَّ كتبَهُ ورسلَهُ حُجَّةٌ عليهم، وقدَّم ذلك إليهم ليُثبتَ الحجَّة عليهم، حَتَّى إذا قامت بذلك حُجَّته عليهم، وكانت مِنَ الكافرين معصيتهُ ومخالفة لأمرهِ وارتكاب لنهيه؛ أخبر الله تعالى: أنَّهُ جعلَ بعد المعصية عقوبته، وله أن يفعلَ بخَلْقهِ ما يشاء، غيرَ أنَّ الله تعالى قضى أن يكون حكمُه هكذا.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١]. فحكَمَ الله تعالى: بأن يحتجَّ على بني آدم بالحُجَّة يوم القيامة الَّتِي كان قدَّمَ عِلْمَهَا إليهم، كما احتجَّ على أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحُجَّة الَّتِي قدَّمها إليه وعهد بها إليه في أكل الشَّجرة، فأمره

ونهاه فخالَفَ فأكلَها، وكذلك قدَّم إلى بني آدم الأمر والنَّهي، ليكون ذلك حُجَّةً عليهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النِّساء: ١٦٥].

فقصَّ الله تعالى على بني آدم علمَ ما يحتجُّ به عليهم يوم القيامة، وأخبَرهُم بما كانوا يعتذرون به إليه ويحتجُّون به عليه يوم القيامة لو لم يبعث إليهم الرُّسُلَ ولم يُنزل عليهم الكتب، فقال تعالى في كتابه النَّاطق على لسان نبيِّه الصَّادق، قولَ حَقٍّ قطعَ به عُذْرَهُم ودحضَ به حُجَّتهم وأبطَلَ به عِلَّتهم، فقال تعالى[1]: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ٤٧].

ثُمَّ أخبَرَ تعالى عن إقرارهم في النَّار واعترافِهم بثبات الحُجَّة

(١) في (أ): «وأبطَلَ به عِلْمَهُم عليهم».

عليهم، فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزُّمر: ٧١].

وقال تعالى مخبرًا عن قولهم في النَّار: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر: ٤٩ - ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٦ - ١١].

فلو كانت الحُجَّة عليهم غيرَ الرُّسُل والآيات الَّتِي تُتلى عليهم بالأمر والنَّهي لقرَّرتهُم الخَزَنةُ بها واحتجَّتْ عليهم بها في جهنَّم؛ لِأَنَّ الله تعالى قضى عليهم بأن يدخلوها مُقرِّين له بالحُجَّة الَّتِي كانوا لها في الدُّنيا جاحدين، ولولا أنَّ الحُجَّة تقديم الله تعالى إليهم بالوعيد في كتبه الَّتِي جاءتهم بها رسلهم ما احتجَّ عليهم بالوعيد، وإنَّما قامت حُجَّةُ الله تعالى على الخلق جميعًا بالرُّسُل والكتب ومخالفة الأمر وارتكاب النَّهي، فلمَّا بعثَ اللهُ تعالى نبيَّه محمَّدًا ﷺ أمرَهُ تعالى: أنْ

يَدْعُو النَّاسَ كُلَّهم إلى الإيمانِ خاصَّةً دون العمل؛ وهو القولُ وحده، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فكانت الدَّعوة إلى الإيمان عامَّة لجميع النَّاس(١)، وكانت الدَّعوة إلى الفرائض للمؤمنين خاصَّةً، فأقام النَّبِيُّ ﷺ بمكَّة عشر سنين -أو بضع عشرة سنةً- يدعو النَّاس إلى الإيمان؛ فمَنْ آمَنَ بكُلِّ ما أمرَ، وعقَدَ على ذلك قلبَهُ، وصدقَتْ به جوارحه = كان مؤمنًا، وإن مات ماتَ مؤمنًا، وليس عليهم في ذلك فرضٌ يؤدُّونه ولا ينتهون عن محرَّمٍ يرتكبونه، وهم في ذلك غيرُ مأزورين ولا عاصينَ لله تعالى، ولا يُكتَبُ عليهم شيءٌ مِمَّا فعلوه، ولا يُطالَبون به في الدُّنْيَا ولا في الآخرة؛ إذ كان الله تعالى لم يَنْهَهُم ولم يحرِّم عليهم ما يفعلون، وكان ذلك تخفيفًا مِنَ اللهِ تعالى عليهم وترفُّقًا بهم في بدء الإسلام لقُرب عهدهم بالجاهليَّة وجفائها.

ولو جَعَلَ اللهُ تعالى الفرائضَ كُلَّها مضافةً إلى الإيمان فأمرَ نبيَّه ﷺ أن يدعوهم إلى الإيمان والفرائض كُلِّهَا معًا في وقتٍ واحدٍ = لَنفرَتْ قلوبُهم ولضاقت بها صدورُهم وثقلتْ على أبدانهم؛ فلا يُجيبوا إلى ذلك. وكذلك لو حرَّم الله عليهم جميعَ المحارم الَّتِي كانوا يتلذَّذون بها مِنَ الخمر والزِّنى والرِّبا، وجميع الفواحش كُلِّهَا معًا في وقتٍ واحدٍ، ما احتملَته نِيَّاتُهم ولا بلَغَهُ إيمانهم. وكان اللهُ غنيًّا عنهم قادرًا على أن يهلكهم، ويدمِّر عليهم إذا أبَوْا أن يؤدُّوا فرائضَهُ ويقبلوا أمرَهُ

(١) في (أ): «عليه لجميع النَّاس».

وينتهوا عن محارمه، حَتَّى لا يدعَ على الأرض منهم أحدًا خرجَ عن أمره وارتكبَ نهيَه، ولكنَّه تعالى بخَلْقِهِ وعباده رحيم، عالمٌ بتدبيرهم صَبورٌ على أذاهم.

فلم يزل المسلمون كذلك إقامتهم بمكَّة وبضعةَ عشرَ شهرًا بالمدينة بعد الهجرة، فلَمَّا سارعَ النَّاسُ إلى الإيمان، وعلم اللهُ تعالى ثباته في قلوبهم وتصديقَ جوارحهم به وصِحَّة عقيدتهم(١)، وحُسْنَ رغبتهم في طاعته، فرضَ عليهم الصَّلاة وجَعَلَ عِدَّتها خمسًا، وصرفَها إلى الكعبة بعد أن كانت إلى بيت المقدِس، فقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [هود: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فلم يزل الفرضُ عليهم بالإيمان وإقام الصَّلاة؛ لا يؤمرون بشيء

(١) في (ق): «وصحَّة عقودهم».

غير ذلك، ولا يُنهَون عَنِ المحارم[1] الَّتِي يَركبونها، وهم مع ذلك غيرُ مأزورين، ولا مطالَبين بما يفعلون، ولا حُجَّة عليهم في شيءٍ مِمَّا أُمروا به؛ إِلَّا بإمساكِ الوحي عن نهيهم[2].

فلَمَّا أجابوا الله تعالى والرَّسُولَ ﷺ إلى الصَّلاة وأقاموها وحوَّلوا قبلَتهُم إلى الكعبة كما أُمروا، ثبتتْ نِيَّاتهم فيها، وحسُنَتْ رغبتهُم في إقامتها، وقويَتْ عزائمهُم فيها، وصارت عندهم بمنزلة الإيمان الَّذِي أوجبَ عليهم، وأنَّـهُ مَنْ تَركَها كان عاصيًا لله تعالى مخالفًا لأمرهِ لا إيمانَ له! وأقاموا على ذلك برهةً من دهرهم، وعلم اللهُ تعالى صِدْقَ نِيَّاتهم = ففرض عليهم الزَّكاة في أموالهم وأضافها إلى الصَّلاة، فقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣].

فصار الفرضُ عليهم بعد الإيمان الصَّلاة والزَّكاة، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البيِّنة: ٥].

فكان الفرضُ عليهم بعد الإيمان إقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، وهم مع ذلك يأتون كُلَّ ما حُرِّم عليهم بعد ذلك غير مأزورين ولا مأثومين ولا مُطالَبين بشيءٍ مِمَّا يأتونَه، ولا يُكتَبُ عليهم فيه ذنبٌ، ولا تجب عليهم حُجَّة إِلَّا بتضييع شيءٍ مِنَ الصَّلاة أو بترك شيءٍ من أداء الزَّكاة الَّتِي قد أُمروا بها.

---

(١) في (ق): «ولا ينتهون عن شيءٍ مِنَ المحارم».

(٢) في (أ): «لإمساكِ الوحي عن نهيهم».

ثُمَّ فرض عليهم الصِّيام بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ -يقول: فرض عليكم الصِّيام- ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ثُمَّ فرض عليهم الحجَّ بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ثُمَّ أمرهم بالقتال وفرَضَه عليهم بقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [التَّوبة: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحجّ: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [التَّوبة: ٢٩].

ثُمَّ تتابعت نزولُ الأوامر أوَّلًا فأوَّلًا؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ [المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ [النَّحل: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨].

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فقالَ لي المأمونُ: اقتصر؛ فهذا يطولُ جدًا.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّمَا أدرسُ درسًا وأتكلَّم بما يُجريه اللهُ تعالى على لساني وما أَدَعُ أكثرُ مِمَّا أتكلَّم به؛ وإنَّمَا أريدُ بهذا وضوحَ العُذر عند أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- لي، ولا بُدَّ من ذكرِ ما حُرِّم عليهم وما نُهوا عنه.

فَقَالَ لِي المأمونُ: قُلْ واقتصِر على بعضه.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- قال اللهُ تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزُّمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]. يعني بالإثم: الخَمْرَ.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٦٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النُّور: ٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النُّور: ٣].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا أَوْ يُصَلَّبُوٓا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ ﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]. يعني به: الخَمْرَ.

وقال تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا

خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢].

فَقَالَ المأمونُ: حَسْبُكَ يا عبدَ العزيز، فإنَّ هذا يطول.

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، فكان القومُ يعملون في ارتكاب المحرَّمات[١] قبل نزول الأمر والنَّهي، وهي مباحةٌ لهم مطلقةٌ لهم غيرُ محظورة عليهم، فلَمَّا جاء الأمر والنَّهي ووقع التَّحريمُ والحَظْر صاروا ممنوعين مِمَّا كان مباحًا لهم، وحُظِرَ عليهم ما كان مطلقًا لهم؛ فوجَبَ عليهم الطَّاعة لله تعالى فيما أُمِرُوا به والتَّناهي عَمَّا نُهُوا عنه، ولم يأمر بعقوبة أَحَدٍ مِمَّن وجبَ عليه عقوبته أو أقامَ عليه حدًّا في الدُّنْيَا إِلَّا بعد مخالفة الأمر والنَّهي وارتكاب النَّهي، كما وجبَ عليهم الإيمان والصَّلاة والزَّكاة والصَّوم والحجُّ؛ لا فرق بين ذلك.

فمَنْ أطاعَ أمر رَبِّهِ وتناهى عَمَّا نهاه اللهُ عَزَّوَجَلَّ؛ كان مطيعًا لله له الثَّواب والجزاء.

ومَنْ خالفَ أمرَهُ وارتكبَ نهيه؛ كان عاصيًا لله مستحِقًّا للعذاب والعقاب؛ إنْ شاء عذَّبه وإنْ شاء عفا عنه.

وأنا أذكرُ ما وعدَ اللهُ[٢] لأهل طاعته وطاعة رسوله ﷺ، ومن قبل

(١) في (ي): «في ارتكاب الحرمات».
(٢) في (أ): «وأنا أذكرُ ما أعدَّ الله».

ما أمر وعمل به، وما تواعدَ به أهل الخلاف والعِصيان مِنَ العذاب والعقاب في كُلِّ شيء؛ فقدَّمتُ [ما] ذكرَهُ مِنَ الأمر والنَّهي ليَقِفَ أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- على أنَّ الله تعالى تجاوزَ عَنِ الخلق فيما كان منهم قبل نزول الأمر والنَّهي، ولم يُطالبهم بشيءٍ كان منهم في تركِ فرضٍ ولا ارتكابِ محرَّمٍ حَتَّى أمرَهُم ونهاهم، ووجبَ عليهم الطَّاعة بالأمر والنَّهي، وقامت الحُجَّة عليهم بالأمر والنَّهي، ولم نَجِدِ اللهَ تعالى احتجَّ على أحدٍ منهم إلَّا بالمخالفة للأمر والارتكاب للنَّهي، ولم يأمر بعقوبة أحدٍ مِمَّن أوجبَ عليه عقوبةً وأقام عليه حدًّا في الدُّنيَا، إلَّا بعد مخالفة الأمر وارتكابه للنَّهي، ولم يذمَّ أحدًا مِنَ المؤمنين بشيءٍ كان منه قبل نزولِ الأمر والنَّهي؛ إذ كانت الحُجَّة إنَّمَا ثبتت عليهم بالأمر والنَّهي.

فيُبسَطُ العذرُ لي فيما أتيتُ(١) إذ كان لي مباحًا مطلقًا بإمساكِ النَّهي لي عنه وتأخير الحظر لي فيه، وإنِّي كنتُ غيرَ ملومٍ ولا مذمومٍ في فعلي، وغيرَ مخالفٍ لأمير المؤمنين ولا مُرتكبٍ لنهيه لما جرَتْ به سُنَّة الله تعالى في ملائكته وأنبيائه وأعدائه، فأمَّا ما وَعَدَ اللهُ تعالى أهْلَ الطَّاعة من عظيم الثَّواب فهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النِّساء: ٦٩].

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال اللهُ بقاءك- إنَّهُ لا يفرُغ من هذا إلى اللَّيل! وكُلُّ مَنْ ها هنا يعلَمُ ما وعدَ اللهُ تعالى أهلَ طاعته مِنَ الثَّواب وما توعَّد به أهلَ معصيته مِنَ العقاب؛ وقد تكلَّم اليوم وهَذَى

(١) في (ي): «فيما أثبتُ».

ودَرَّسَ ما لو كتب في مائة ورقةٍ ما كَفاهُ مِمَّا لا عُذرَ له في شيء منه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- مَنْ أبْلَغُ قولًا وأحسَنُ قصصًا وأظهَرُ عذرًا مِمَّنْ تلا بعُذرِه قرآنًا واحتجَّ لنفسه وفِعلهِ بما أباحَهُ الله تعالى وأطلَقهُ ولم يحرِّمه ولم يَنْهَ عنه ولم يذمَّ فاعله، وجَرتْ بذلك سنَّته في كتابه لأهل ولايته وعداوته؟!

فَقَالَ بِشْرٌ: هذه خرافاتٌ قد عملتها[1]، أتظُنُّ أنَّ أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- يسمعُها أو يقبلها أو يلتفتُ إليها؛ هذا متاع القُصَّاص الَّذِي يصلُح للعوامِّ، وقد حفظتَهُ لتجمعهُم به وتُغريهم بأهل العلم.

فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنِّي لم أخاطِب بِشْرًا ولم أعتذِر إليه؛ وإنَّمَا اعتذرتُ إليك لما أوجبَهُ الله تعالى من طاعتكَ، وأسكَنهُ قلبي من هيبتكَ وإعظامكَ وإجلالكَ، وما وهَبهُ الله تعالى لك من دِقَّة الفهم وكمال المعرفة، والتَّواضُع للحَقِّ[2]، والرِّقَّة والوجَل عند تلاوة القرآن، وحُسْنِ الاستماع والقَبول لما جاء في كتاب الله تعالى وعن سُنَّة رسوله ﷺ.

وألزمتُ نَفْسِي ذنبًا وأنا غيرُ مذنبٍ، واعترفتُ بالخطأ وأنا غيرُ مخطئٍ؛ خضوعًا وتذلُّلًا لطاعتكَ واستكانةً لأمرك. وبِشْرٌ يُعارضني بردِّ كتاب الله والتَّكذيب به؛ يزعمُ: أنَّ كتابَ اللهِ تعالى وكلامَ رسولِهِ ﷺ خرافاتٌ عَملتها![3] وأنَّ ما جرى منذ اليوم متاعُ القُصَّاص الَّذِي لا يصلُح إلَّا للعوامِّ؛ يقول قَوْلَ الكُفَّار، ولقد ذمَّ اللهُ تعالى مَنْ قال مثلَ

(١) في (أ): «قد علمتها».
(٢) في (أ): «والتَّواضع للخلق».
(٣) في (أ): «خرافات علمتها».

قولِهِ ولعَنهُ في كتابه وأكذَبَه في غير موضع منه؛ فإنْ أذِنَ لي أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- انتزعتُ مائة آية أبيِّن فيها كذبَ بِشرٍ وكُفرَهُ وافتراءَه على الله تعالى.

فَقَالَ المأمونُ: لهذا وقتٌ غير هذا. وقد صفحتُ عَمَّا كان منكَ وقبلتُ عذركَ، ولقد أبلغتَ في الاعتذار وأوضحتَ الحُجَّة فيما كان لك مباحًا قبل الأمر والنَّهي، والآن فقد نَهيتُكَ عن مُعاودةِ مثل ذلك وحظرتُه عليك.

فَقُلْتُ: السَّمع والطَّاعة، فمتى خالفتُ هذا الأمر وارتكبتُ النَّهي لَزِمَني الذَّنبُ ووجبت عليَّ العقوبة.

قَالَ بِشرٌ: وكُلُّ مَنْ قتلَ أو زنى أو شرب خمرًا أو أتى مُحرَّمًا، فقد نهاهُ اللهُ تعالى نهيًا خاصًا أو دخل[1] في عموم النَّهي.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ شيءٍ نهى اللهُ تعالى عنه في كتابه وعلى لسان نبيِّه محمَّدٍ ﷺ وحرَّمه على خلقه فهو حرامٌ على جميعهم وعلى كُلِّ واحدٍ منهم، وقد خُوطِبَ به الجميع وخُوطِبَ به كُلُّ واحدٍ منهم، وهو عامُّ التَّحريم على الخلق، وخاصٌّ على كُلِّ واحدٍ منهم.

فَقَالَ بِشرٌ: وكُلُّ مَنْ خرج على أمير المؤمنين، ومَرَقَ مِنَ الدِّين، وشقَّ عصا المسلمين؛ قد أمره أميرُ المؤمنين أو نهاهُ عن ذلك نهيًا خاصًّا، إنَّمَا هو داخل في عموم النَّهي، وكذلك أنت داخلٌ في عموم نهيهِ الَّذِي قد تقدَّم منه -أطال الله بقاءه- في أن لا تُخْرِجَ له سرًّا ولا تتحدَّث عنه حديثًا ولا تذكر شيئًا مِمَّا جرى في مجلسه وبين يديه إلَّا ما أمر بإذاعته.

---

(١) في (ق): «نهيًا خالصًا ودخل».

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: أما سمعتَ ما قلتُه منذ اليوم واحتججتُ به؟! إِنَّمَا تثبتُ الحُجَّة على الخلق كُلِّهِم بالرُّسُل والكتب والأمر والنَّهي، فما جاءني لأمير المؤمنين رَسُولٌ ولا كِتَابٌ، ولا أمرني ولا نهاني مشافهةً، ولا تقدَّم له إلى رعيَّته رسولًا ولا كتابًا ينهاهُم عن ذلك؛ فتثبت عليَّ الحُجَّةُ وتجب عليَّ الطَّاعة لأمره والانتهاء عن نهيه.

فإن يكُن هذا حَقًّا -وقد تقدَّم به أميرُ المؤمنين إلى أوليائه وأهل مجالسته، ومَنْ حضر بين يديه، ومن يأتمِنُهُ على سِرِّه خاصَّةً دون سائر النَّاس- فأولى النَّاس باتِّباع أميرِ المؤمنين مَنْ قد بلَغَهُ أمرُ أميرِ المؤمنين وانتهى إليه خبرُه وصَحَّ عنده نهيه؛ أقْرَرْتَ يَا بِشْرُ، أنَّكَ مِمَّن قد بلغَهُ أمرُ أميرِ المؤمنين ونهيُه وصحَّ عندك، ووجبت عليك الطَّاعة لأمره والانتهاء عن نهيه، ثُمَّ إِنَّكَ بعد ذلك أوَّلُ مَنْ خالف أمرَ أميرِ المؤمنين، وخرجَ عن طاعته، وارتكب نهيه، وعدلَ عن موافقته، وأبدى أخباره وأظهرَ أسرارَهُ وباحَ بكتمانه!

والدَّليلُ على ذلك والشَّاهد عليك به وضعكَ الكتاب الَّذِي ترجمته[1] بكتاب (الكمالُ فِي الشَّرح والبيان بخلق القرآن ردًّا على أهل الكفر والضَّلال)؛ تذكُر فيه مذهبَ أميرِ المؤمنين واعتقادَه وما جرى في سائر مجالسه مِنَ الكلام، ومناظرة كُلِّ مَنْ ناظرْتَهُ بين يديه، حَتَّى بلغ ذلك الكتاب إليَّ، فألحقتَني في آخر الكتاب تذكر أنَّكَ أكفَرتني وأثبتَّ الحُجَّة عليَّ في خلق القرآن بالشَّرح والبيان، وأنَّ أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- أقالَني واستبقاني بعد وجوب القتل عليَّ، وصَفَحَ عَمَّا كان مِنِّي لميلِهِ إلى العرب!! فمَنْ أشَدُّ خلافًا على أميرِ المؤمنين

(١) في (أ): «الَّذِي سمَّيته».

وخروجًا عن طاعته مِمَّنْ عصاه وارتكب نهيه، وقد عرفه ووقفَ على صحَّته وشَهِدَ على نَفْسِه أنَّهُ قد بلغه نهيه، ومَنْ أنصَفُ وأعْدَلُ مِمَّنْ أقام الشَّاهدَ على خصمِه من كتابه وقوله؟!

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبلتُ على أمير المؤمنين، فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، دمي مُرتهنٌ بما قلت؛ فليأمر أمير المؤمنين بإحضار هذا الكتاب الَّذِي قد ترجَمهُ بكتاب الكمال، فإن يكن ما قد وصفتُ حَقًّا علم أنَّ بِشْرًا قد خالف أمرَهُ وارتكبَ نهيَه، وأبدا أخباره[1] وأظهرَ أسرارهُ، وتكذَّب عليه، وباح بما يجب كتمانه، وأشاع ما كان في سائر مجالسه كُلِّها، ونسب أميرَ المؤمنين إلى موافقته على قوله بخلق القرآن، وقد جَلَّ قدرُ أمير المؤمنين عن أن يظهر له مقالة، أو يقفَ له على مذهب غير موافقة الكتاب والسُّنَّة، وما مضى عليه الرَّاشدون المهديُّون[2]؛ ثُمَّ أيدَّه اللهُ تعالى أعلى عينًا بما يراه بعد وقوفه على صِحَّة قولي.

وهذا كتابي الَّذِي ذكر بِشْرٌ أنِّي وضعتُه وأملَيْتُه على النَّاس وتكذيبي فيه، وحكيْتُ أضعافَ ما جرى بيننا -فأخرجته من كُمِّي ورميْتُ به بين يديه- فليأمُر أمير المؤمنين بقراءته عليه، فإن يكن فيه ربع ما جرى في المجلس[3]، أو يكن حرفٌ زائدٌ غيرُ ما جرى أو حرفان زائدان مِمَّا لم يسمعه أميرُ المؤمنين؛ فهو في حِلٍّ وسَعَةٍ من دمي.

وإِنَّمَا كتبْتُ -يا أميرَ المؤمنين- هذا الكتاب ليقِفَ الخلق كُلُّهُم على عَدْلِ أميرِ المؤمنين ونَصَفَتِهِ، وميله إلى الحَقِّ، وموافقته

---

(١) في (أ): «وبيَّن أخباره».
(٢) في (أ): «الرَّاشدون المهتدون».
(٣) في (أ): «فإن يكن فيه زَيغٌ عَمَّا جرى في المجلس».

إِيَّاه، واتِّباعه له حيثُ كان، وعُدولِهِ عَنِ الباطل، وانحرافِهِ عن أهله حيثُ كان.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأقبلَ المأمون على بِشْرٍ، فَقَالَ لَهُ: قد وضعتَ هذا الكتاب الَّذِي ذكره عبدُ العزيز مترجمًا بكتاب الكمال؟!

فَقَالَ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين، وإِنَّمَا وضعتهُ أحتجُّ به على مَنْ خالفني في خلق القرآن، وأذكرُ الشَّرح والبيان، وأمَّا ما حكى عبدُ العزيز مِمَّا فيه فقد أبطلَ، وما فيه مِمَّا حكاه شيء؛ وأنا أحضره حَتَّى يقف أمير المؤمنين على بطلان قوله.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فلَمَّا علم المأمونُ أَنَّهُ كما قلتُ، وأَنَّهُ ما تزيَّدتُ، وأَنَّهُ كذبَ فيما قال.

فأقبل عليه، فَقَالَ: أنتَ تضع مثل هذا الكتاب وتقرؤه على النَّاس وتُمليه عليهم، وتجيء وتذكر ما فعله غيرُك مِمَّا تقدَّم فعلُكَ فِعْلَه؛ فأَيُّ حُجَّةٍ أبلغ لخصمكَ عليك من أن يكون تأسَّى بِكَ واقتدى بك وفَعَلَ مِثْلَ فعلك؟! وما الحُجَّة عليه بأثبتَ منها عليك، إِلَّا أَنَّهُ أعْلَمُ بما يأتي منك، فما الحُجَّة له بألزَم منها لك.

فَقَالَ بِشْرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- أنا أمدحُ أميرَ المؤمنين في كُلِّ كلمةٍ، وأدعو له، وأنسبه إلى الخلافة الَّتِي لا شيءَ أَجَلُّ منها، وعبدُ العزيزِ يلقِّب أمير المؤمنين في كُلِّ كلمة ولا ينسِبهُ إلى الخلافة ولا يدعو له، وإِنَّمَا جُعِلَ اللَّقَب للخلفاء بعد الأسماء والنُّعوت والصِّفات ليفرق بها بين بعضهم وبعض، إِلَّا أَنَّهَا لا تذكر عن واحِدٍ منهم مفردةً، فمَنْ أفرد أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- باللَّقب فإِنَّمَا أراد تنقُّصه وعَيْبَهُ؛ وهذا هو الَّذِي أباحَ دمَهُ، وأوجبَ عقوبته، وكُلُّ

شيء يقع فيه الاعتذار إلَّا هذا، فلا عذرَ فيه لقائلٍ ولا حُجَّة لمحتجٍّ.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لِبِشْرٍ: اسكُتْ أخرَسَ اللهُ تعالى لسانكَ، وأعمَى بصرَكَ، كما أعمَى قلبكَ يا عدوَّ اللهِ تعالى، تستقبل أميرَ المؤمنين بمثل هذه الألفاظ(١) القبيحة الذَّميمة الَّتي تُشبهكَ وتشبه أسلافكَ الَّتي لم يَرْضَها اللهُ تعالى لعباده المؤمنين ونهاهُم عنها في كتابه وعلى لسان نبيِّه محمَّدٍ ﷺ، فقال: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. فنهى اللهُ تعالى المؤمنين عَنِ الألقاب والتَّنابُز، فتزعمُ -يا عدوَّ اللهِ تعالى-: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ خالفَ أمْرَ رَبِّه تعالى ولم يقبل قولَه وارتكبَ نهيه؛ لِأنَّهُ لقَّبَ أبا بكر بالصِّديق، ولقَّبَ عمرَ بالفاروقِ، ولقَّبَ عثمانَ بذي النُّورين، وقد حلَّ دَمُكَ -يا عدوَّ اللهِ- بدعواك هذا على رسول اللهِ ﷺ، وعلى أصحابه رضي الله عنهم وعلى الخلفاء الرَّاشدين؛ إذ اختاروا الألقابَ لأنفسهم ولأولادهم خلافًا لأمر الله تعالى وارتكابًا لنهيه، وقد برَّأهم الله تعالى من ذلك ووصفَهُم ونعتهُم بغير ما قلت؛ فقال اللهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

فقد حَلَّ دمُكَ بردِّكَ على اللهِ تعالى قولَهُ وإخبارَهُ ونعتَهُ وصفته ومِدْحَتهُ لخلفائه في أرضه، وقَدِ امْتَدَحَ اللهُ تعالى أهْلَ ولايته وذَمَّ أهْلَ عداوته وفرَّق بين مِدْحَتِهِ وذَمِّه، فجعل ما كان مِنْ حسَنٍ وجميلٍ وخيرٍ وفضلٍ وتُقًى وعملٍ صالح مديحًا لأهلِ ولايته، فقالَ تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦].

---

(١) في (أ): «بهذه الألفاظ».

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣].

وقال تعالى: ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٥- ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: و﴿ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، و﴿ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾، و﴿ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، و﴿ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾، و﴿ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، و﴿ الطَّيِّبين ﴾.

فامتدَحَهُم تعالى بهذه الأشياء وصيَّرها مديحًا وصفةً لهم ونعتًا لهم وزينًا لهم.

وذكر تعالى أعداءه، فقالَ: ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، و﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾، و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾، و﴿ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، و﴿ الطَّاغين﴾، و﴿ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

فذمَّهم اللهُ تعالى بهذه الأشياء وصيَّرها ذمًّا لهم وعَيبًا لهم وشَينًا لهم.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨].

فنفى تعالى عن نَفْسِه الشَّريفة أن يجعل أعداءه كأوليائه، أو يمدح أعداءه كما امتدح أولياءه.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وأنت تزعُمُ: أنَّ مِدْحَةَ اللهِ تعالى وذمَّه واحدٌ، وأنَّ المدحَ الَّذِي امتدحَ به أولياءَه لقبٌ لهم، وأنَّ اللهَ تعالى نهى عَنِ اللَّقَب وتواعَدَ عليه، ولقَّبَ أنبياءه وأصفياءه وأولياءه، وارتضى لهم اللَّقَبَ كما ارتضاهُ لأعدائه، فقد أعظمَ الفِرْيَةَ على اللهِ تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى خلفائه الرَّاشدين مَنْ جعلَ المدحَ لقبًا والذَّمَّ لقبًا، ولم يفرق بينهما؛ لأنَّ مِنْ سُنَّة العرب ولغاتها -وما لم تزل تتعامل به في خطابها- أنَّ كُلَّ شيء مِنَ النُّعوت والصِّفَات الصَّالحات الزَّكِيَّة والخير والفضل والتُّقَى والورع والخشوع والتَّواضُع وأشباه ذلك = تسمِّيه مدحًا وزينًا.

وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الأعمال القبيحة والشَّرِّ والأذى والرَّدى[(١)] والخنا والفُسُوق والظُّلم والفجور وأشباه ذلك = تسميه ذمًّا وعَيْبًا وشَيْنًا.

وتفرِّقُ بين المدح والذَّمِّ بأن تنسبَ كُلَّ ما كان عندها مِنَ المدح إلى الاسميَّة، فتقول: هذه اسميَّة؛ لأنَّ الاسميَّة غاية المدح عندها وأعلاها وأرفعها درجة، وتنسبُ الذَّمَّ وكُلَّ ما كان عندها من جنسه إلى اللَّقب؛ وهو عندها غاية الذَّمِّ والعيب، وأعلى درجات العيب والذَّمِّ اللَّقبُ؛ فكان الفرقُ عند العرب في المدح والذَّمِّ بهذا: أن تجعل غاية المدح والنِّهايةَ في الوصف الاسميَّة، وتجعل غاية الذَّمِّ والنِّهايةَ في العيب اللَّقَب.

---

(١) في (أ): «والأذى والرِّزء».

فهذا كان الفرق بين المدح والذَّمِّ عند العرب، وبذلك خاطَبها الله تعالى؛ فعقلَتْ عنه ما أراد.

وكذلك كان فِعلُ رسولِ اللهِ ﷺ في مدح أبي بكر بالصِّدِّيق، وعمر بالفاروق، وعثمان بذي النُّورين -رضوان الله تعالى عليهم- أنَّهُ بالغَ مدحتهم وشرفهم، وجعل ذلك اسميَّةً لهم.

وكذلك الخلفاء من بني العبَّاس اقتدَوْا بنبيِّهم محمَّدٍ ﷺ وسلَكُوا سبيل الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين[١]، واحتذوا على مِثالِهم، وتشبَّهُوا بهم، ورغبوا في سنَّتهم واتِّباع مناهجهم، ولم يرغبوا في سُنَّة مَنْ تقدَّمهم من خلفاء بني أُمَيَّة الَّذِين رغبوا عن سُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين[٢] وعن مدحتهم، فجُعِلَت المدحةُ للخلفاء من ولد العبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتمت النِّعمة عليهم، وتكاملت الصِّفات الجميلة فيهم.

وأميرُ المؤمنينِ -أطال الله بقاءه- يعلَمُ ويشهد لي بذلك وبصِحَّة ما أقول؛ إذ كان بيتَ اللُّغَةِ وأعلَمَ خلقِ الله تعالى بقول العَرَبِ، وإنَّهُ لَيعلَمُ -أيَّده اللهُ تعالى- أنَّ قوليَ: المأمونُ. أعلى وأجَلُّ من قولي الخليفة والمَلِك؛ إذ كانت هذه الصِّفَات قد وقعت على غير مستحقِّها مِمَّن تقلَّد هذا الأمرَ من قبل ولد العبَّاس؛ فإنَّ اللهَ تعالى شرَّف وَلَدَ العبَّاس بأن شرعَ لهم هذه الفضيلة الَّتِي هي غايةُ المدح والنِّهايةُ عند العرب وجعلَها باقيةً فيهم يتوارثونها واحدًا عن واحدٍ؛ وهي الاسميَّة.

فَقَالَ بِشرٌ: ليس كُلُّ ما تحكيه عَنِ العرب يقبله منك[٣]؛ لأنَّكَ

---

(١) في (أ): «فسلَكوا مسلك الخلفاء الرَّاشدين المهتدين».
(٢) في (أ): «الرَّاشدين المهتدين».
(٣) في (ق): «تقبله منك»، وفي (أ): «أقبله منك».

تحكي شيئًا كثيرًا ليس هو مِنْ قولها، فإنْ كان هذا كما تزعم من قولها فأخبرنا بشيءٍ من قولها يستدَلُّ به على صدق قولك.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: كيفَ يتهيَّأُ لي التَّزيُّد على العرب وبيتُ اللُّغَة ومَعْقِلُهَا يسمعُني؟! فافهَمْ واسمَع ما سألْتَ عنه: إنَّ العربَ تقولُ: اسم واسميَّة ولقب.

فأمَّا الاسمُ: فعبد الله، ومحمَّد، وزيد، وبكر، وما أشبه ذلك.

وأمَّا الاسمِيَّةُ: فما كان مدحًا؛ مثل قولهم: المهديُّ والرَّشيد، والمأمون. ومثل قولهم: البطل، والكامل، ونحو ذلك.

وأمَّا اللَّقبُ: فمثل قولهم: رَأسُ الكلب، وذَنَب العنز، ووَجْه النَّعجة[١]، وأشباه ذلك. مِمَّا يغضَب مَنْ ينسب إليه ومِمَّا هو ذَمٌّ؛ وهو الَّذِي نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]. فهذا هو الَّذِي تتعارفه العرب في لغاتها وكلامها.

فَقَالَ بِشْرٌ: أوجِد لنا من كلامها شيئًا مدحَتْ به إنسانًا أو ذمَّتهُ أو غيَّرتْ ذمَّهُ بمدحٍ نقلته إليه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ: قد فعل ذلك رسولُ اللهِ ﷺ بزيدٍ، كان لقبهُ: زَيْدَ الْخَيْلِ. وكان يكره ذلك اللَّقب؛ فنقله رسولُ الله ﷺ إلى المدح، فجعله زَيْدَ الْخَيْرِ؛ فصار بهذا مدحًا له، وأزالَ عنه اللَّقَب الَّذِي كان يُغْضِبُه.

وكان بنو الأبناء ابن شمَّاس يُلقَّبون ببني أنف النَّاقة، فيُغضِبُهم ذلكَ ويبلغ منهم؛ فمدحَهُم الحُطيئة الشَّاعر، فقالَ:

قَوْمٌ هُمُ الْأَنفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ   وَمَنْ يُسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا

---

(١) في (أ): «ووجه النَّعجة، وذَنَب البعير».

فَمَدَحَهُم وصيَّره اسمًا لهم، وأزالَ عنهُم اللَّقَبَ الَّذِي كان يُغضِبهم، فصار مديحًا لهم، حَتَّى أَنَّ أهلَهُم يمتدحونهم بذلك.

وهذا كثيرٌ موجود في كلام العرب وخطابها وأشعارها، وإِنَّمَا تجب مطالبتي بإقامة الدَّليل والشَّاهد على ما يقع فيه خلافٌ، فأَمَّا ما لا اختلاف فيه فما مطالبتي بإقامة الدَّليل عليه، وأميرُ المؤمنين يعلم ويشهد لي بِصِحَّة قولي؛ إذ كان بيتَ اللُّغَة.

فَقَالَ المأمونُ: قد أحسنت يا عبدَ العزيز في الاعتذار وإزالة الحُجَّة عنك[1]؛ وقد صفحتُ عَمَّا كان منكَ، وما قلتَ إِلَّا ما تتعارفهُ العربُ وتتعاملُ به في خطابها ولغاتها.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: ثُمَّ أقبل المأمونُ على بِشْرٍ، فَقَالَ لَهُ: الخطأ لكَ ألزمُ منه لعبدِ العزيز في كُلِّ حال؛ ولكِنِّي أُرْجِعُه إلى قِلَّة معرفتك باللُّغَة واختلاطِك بالعوامِّ، ومذهبكَ في كلامك وكثرة تخطيك وزللك، فأنت تُخطئ من حيث لا تدري، ومن حيثُ ترى أَنَّكَ مُصيب! وقد صفحتُ عنك -أيضًا- كما صفحتُ عن عبدِ العزيز.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: ثُمَّ أقبل المأمونُ عليَّ، فَقَالَ: يا عبدَ العزيز، تَلافَ ما كان منك فيما تستقبل، ولا تَدَعَنَّ أحدًا مِمَّن كتب هذا الكتاب عنك إِلَّا طالبتَهُ بِرَدِّه إليك؛ حَتَّى لا يبقى منه عند أحدٍ نُسَخة يُخرجها بعد اليوم ولا تذكر شيئًا مِمَّا كان؛ فإِنَّهُ متى اتَّصل بي أَنَّهُ عند أحدٍ منه نسخةٌ، أو بلغني أَنَّ أحدًا أخرج هذا الكتاب لَحِقَكَ مِنِّي ما تَكرَه، ولم أُفارقك على ذلك[2] بعد الأمر والنَّهي الَّذِي كان قد شافهتُك به.

---

(١) في (أ): «في الاعتذار وإقامة الحُجَّة».
(٢) في (أ): «ولا أُقرُّك على ذلك».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فَقُلْتُ لَهُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- أمَّا أنَّهُ في خاصَّة نَفْسِي فقد سمعتُ ما أمر به أميرُ المؤمنين وما نهى عنه، وقد وجب عليَّ قبول أمره والانتهاء عَمَّا نهى عنه؛ فلا أذكر شيئًا مِمَّا جرى في المجلس، ولا فيما يجري في سائر مجالسه بعد هذا الوقت، ولا أكتبه لأحدٍ مِنَ النَّاس ولا يسألني عنه أحَدٌ فأخبره به.

فأمَّا استرجاعُ ما كُتِبَ عنِّي وأخذُ كُلِّ نسخةٍ في أيدي النَّاس حَتَّى لا يبقى في يدِ أحَدٍ نسخةٌ يذكرها ولا يُظهرها بعد هذا الوقت = فهذا -والله- يا أميرَ المؤمنين ما لا يقدر عليه أنتَ، وقد مكَّنكَ الله وأعلى يدك وبسَطَها على الخلق، فكيف أقدِر أنا في ضعفي ومَهانتي وعجزي[1] وقصور يدي؟ ولستُ أضمَنُ لأمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- ما لا أوفي به ولا أقدر عليه، فيقف -أيَّده الله- على خُلْفِ موعدي وتزيُّدٍ في كلامي، فإنَّ هذا مِمَّا لا أقدر عليه وإن اجتهدت.

فَقَالَ لي المأمونُ: ولم ذاك؟!

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد كتبَهُ واحدٌ عن واحدٍ ودارَ في أيدي النَّاس، فلا يُعرف مَنْ كتبه ولا مَنْ هو عنده فيقصد بمطالبته؛ فإنْ أحَبَّ أميرُ المؤمنين -أطال اللهُ بقاءَه- أن لا يظهر منه نسخةٌ ولا يُذكر منها شيءٌ بعد هذا الوقت فليأمر -أيَّده اللهُ تعالى- بالنِّداء في الجانبين: أنَّهُ مَنْ أظهر لهذا المجلس نسخةً أو ذكرَ منه شيئًا عُوقِبَ أغلظ عقوبة وأبلغها، فإن هذا ينتشر ولا يخفى[2]، ولا يتهيَّأ لأحدٍ إظهار شيء منه بعد النِّداء، فإن اتَّصل بأمير المؤمنين -أطال اللهُ بقاءه- أنِّي ذكرتُ حرفًا واحدًا بعد هذا اليوم، أو أمليتُه على أحَدٍ، أو دفعتُ إلى أحدٍ

---

(١) في (أ): «ومَهانتي وهجري».

(٢) في (ي) و(ق): «فإنَّ هذا يتستَّر ويخفى».

نسخةً يكتب منها؛ فدمي لأمير المؤمنين حلال.

فلم يرضَ بهذا الجواب منِّي، وأظهَرَ التَّسخُّطَ له.

وَقَالَ: إن كنتَ لا تقدر على هذا فالزَمْ بيتك ولا تخرُج إلَّا إلى الصَّلاة والجُمُعة، أو إلى حاجةٍ إن عرضَتْ لك، ولا يجلِس إليك جماعة في المسجد الجامِع(١)، ولا في غيره مِنَ المواضع، ولا يدخل إلى منزلك أحدٌ، واحذر أن تتكلَّم بشيءٍ تستوجبُ به عقوبتي.

فَقُلْتُ: السَّمع والطَّاعة لله ولأمير المؤمنين.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فانصرفتُ على تلك الحالة.

فلَمَّا خرجتُ من بين يديه أقبل على بِشْرٍ وغيره مِمَّنْ كلَّمه في أمري وأغرَاهُ بي قبل إحضاري؛ فَقَالَ لَهُمْ: هذا الرَّجُل أوْحَد دهره؛ واللهِ لَاعتذارُهُ في حالة الخوف والجزع على غير أهبةٍ كانت منه أحسنَ من كلامه ومناظرته في اليوم الأوَّل، ولقد اعتذر بما لو خرجَ علينا وفارقَنا وشقَّ عصا المسلمين(٢) ثُمَّ اعتذر بمثله لَوَجَبَ الصَّفح عنه وقَبول عذره فكيف ولا ذنبَ له؟

وإِنَّمَا تزيَّدتم عليه وأغريتموني به، وإِنَّهُ لمن ذميم الأخلاق أن ينصرِف من بين يديَّ بعد حُسن الاعتذار على مثل هذه الحالة؛ ولكِنِّي فعلتُ به ما فعلت ليسكُنَ عنكم ما شكَوتُموه من توثُّب الرَّعيَّة عليكم، وما يتَّصل بكم عنهم فينكسِروا إذا بلغهم سخطي على عبدِ العزيز ويرجِعوا إلى الخوف والرَّهبة.

---

(١) في (ي) و(أ): «في المجلس الجامِع».
(٢) في (ي) و(ق): «وفارق عصا المسلمين».

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: أخبرني بهذا الكلام الَّذِي ذكرتُ أنَّهُ كان من بعد خروجي من بين يديه وما كان مِنَ الكلام الَّذِي جعلتُه أوَّلَ كتابي مِمَّا كلَّمُوا به أميرَ المؤمنين قبل توجيهه إِلَيَّ = أبو كامل الخادِمُ؛ وكان من أهل السُّنَّةِ شديدَ المحَبَّة لي والميلَ إليَّ، وكان له مِنَ المأمونِ مَحَلٌّ لطيفٌ جدًّا يقوم على رأسه فلا يخفى عليه شيءٌ مِمَّا يجري.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فلم أزَلْ في منزلي أيَّامًا لا يدخلُ عليَّ أحدٌ، وجُعِلَتْ الأرصادُ عليَّ رجاء أن يقفوا على دخول أحدٍ إليَّ أو كلام لأحد؛ فيجدوا بذلك السَّبيل إلى مكروهي، وحذرتهم حذرًا شديدًا.

فلَمَّا كان بعد أيَّامٍ اتَّصلَ بي كثرةُ ذِكْرِ أميرِ المؤمنين لي إذ حضروا وتكلَّموا بين يديه، فكَتبتُ إليه قصيدةً أستَعتِبهُ فيها، ودفعتها إلى أبي كامل الخادم، وسألتُه أن يضعَها بين يديه إذا خلا به ورآه طيِّبَ النَّفْسِ، فلم يزل أبو كامل يترقَّب ذلك منه حَتَّى وجدَهُ، فوضع الرُّقْعَة بين يديه فأخذَها وقرأها، وجعل يُرَدِّدُ شيئًا منها لم يقف عليه؛ وكان عالمًا بالغريب مِنَ الشِّعر وغيره، فلَمَّا لم يقِف على ما فيها ولم يعرفه، قال لأبي كامل: اركب فجِئني بعبدِ العزيز السَّاعة.

فجاءني أبو كامل فقالَ لي: أَجِبْ أميرَ المؤمنين؛ وعرَّفني الخَبَرَ وما عمِلَه، وما كان مِنَ المأمون وحَيْرته عند قراءة الرُّقعة وطولِ فكره، فعلِمتُ ما خفي عنه منها، وهذه القصيدة الَّتِي كتبتها إليه:

أَيَا جَاعِلَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ جُنَّةً ... فَـذَلَّ بِهَا لِلدِّينِ غَـاوٍ وَطَامِعُ
هَلِ الْعُذْرُ إِلَّا مَا اعْتَذَرْتُ بِمِثْلِهِ ... إِلَيْكَ لَوَ أَنَّ الْعُذْرَ أَدَّاهُ سَامِعُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ قَوْلِي لَدَيْكَ بِمُسْمِعٍ ... وَلَمْ يُرَ سَمْعٌ مِنْكَ عَنْهُ يُطَالِعُ
فَإِنِّي وَمَنْ قَدْ ضَرَّ ضَعْفًا رَعِيَّةً ... يَرَى اللهُ أَنِّي فِيهِمُ لَكَ نَافِعُ

غَدًا تَنْجَلِي سَاعَاتُنا[١] لِشَتَاتِهَا وَيَرْدَعُنِي عَنْ جَمْعِهَا عَنْكَ رَادِعُ
لمُسْتَعْتِبُ النُّعْمَانِ مِنْ وَشْليٍ بِهِ شَفَاكَ بَرِيِّ نَاصِح الْحُبِّ خَاضِعُ[٢]
حَمَلْتَ عَلَيَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ
كَذَاكَ يُدَاوَى الْجِسْمُ مِنِّي مُصَحَّحًا وَذَاكَ لَهُ جِسْمٌ بِهِ الدَّاءُ نَاقِعُ
فَلَمْ يَشْفِهِ أَنِّي تَجَرَّعْتُ دُونَهُ أَمَرَّ دَوَاءٍ طَعْمُهُ مُتَقَاصِعُ[٣]
وَذُو الْعُرِّ يَشْفِيهِ مُدَاوَاةُ غَيْرِهِ[٤] إِذَا مَا اكْتَوَى عَنْهُ الصَّحِيحُ الْمُضَارِعُ

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فلَمَّا دخلت على المأمون؛ إذا هو جالسٌ والقصيدة بين يديه على مخدَّة وهو ينظر فيها[٥].

فلَمَّا دخلتُ قَالَ لي: اجلس. فجلستُ بين يديه، ثُمَّ قَالَ لِي: أيش هذا الَّذِي كتبتَه في قصيدتك مِمَّا لا يُعرف في كلام العرب.

فَقُلْتُ: وما هو يا أميرَ المؤمنين؟! فإنِّي ما كتبتُ إلَّا ما تتعارفه العرب وتتعاملُ به في لغاتها وأشعارها.

فَقَالَ لِي: هذا البيت، ووضع يده على البيت الَّذِي قلت فيه:

حَمَلْتَ عَلَيَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، هذا من أصحِّ بيتٍ تقوله العرب وأوضحِهِ معنًى؛ لكثرة مشاهدتها لما ذكرته منه[٦].

---

(١) في (ي) و(ق): «ساعيا».
(٢) في (ي) و(ق):
«كمُشعب النُّعمانِ مِمَّن وَشَى بِهِ فقال بري ناصِح الحبيب خاضِعُ».
(٣) في (ي) و(ق): «أمَرَّ ذواقا طَعمُهُ مُتقاطعُ».
(٤) في (ي) و(ق): «وذو العُرِّ يشْفيهِ مُداراةُ غيرِهِ».
(٥) في (أ): «على فخذِهِ وهو ينظر فيها».
(٦) في (ي): «وأوضحِهِ، يعني لكثرة مشاهدتها له».

فَقَالَ المأمونُ: أيش معنى قولك(١):

كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، عندنا في البادية دَاءٌ يقع على الجمال يقال له: العُرُّ؛ من جنس الجرَب، إِلَّا أَنَّهُ ليس بجَربٍ، فإذا أصابَ البعير وظهرَ به، لم يكن له دواءٌ في الدُّنْيَا إِلَّا أن يُجاء بهذا البعير -الَّذِي قد أصابه العُرُّ- فيبرك ثُمَّ يُجاء ببعير صحيح ليس به عِلَّة فيبرك بحيال السَّقيم؛ فلا يزال يُكْوَى أبدًا الصَّحيح حَتَّى يبرأ السَّقيم(٢).

فَقَالَ المأمونُ: هذا شيءٌ لا أقبله ولا يكون مثله!

فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، هذا شيءٌ تتعارفه العرب ولا تدفعُه ولا بينهم فيه خلافٌ؛ يشاهدونه كُلَّ وقت وكُلَّ ساعة(٣).

فَقَالَ المأمونُ لعمرو بن مسعدة: انظر مَنْ ها هنا مِنَ العرب فأحضره.

فتوجَّه فأحضر جماعة منهم.

فَقَالَ لَهُ: سَلْهم: أيش هو العُرُّ عندكم؟

فَقَالُوا -بِأَجْمَعِهِمْ-: هو داءٌ يقع على الجمال قريبٌ مِنَ الجرب.

فَقَالَ لَهُمْ: فما دواؤه عندكم؟

فَقَالُوا: ليس له دواءٌ في الدُّنْيَا إِلَّا أن نبرك البعير السَّقيم ويُجاء ببعيرٍ صحيحٍ فيبرك بحياله؛ فلا يزال يكوى الصَّحيح أبدًا حَتَّى يبرأ السَّقيم.

---

(١) في (ي): «فقالَ المأمونُ: مامعناه؟!».

(٢) في (ي): «فإذا أصابَ البعير ذلك، فيرك ثُمَّ يُجاء ببعير صحيح ليس به قلبة فيبرك بحيال السَّقيم؛ فلا يزال يكوى الصَّحيح أبدًا حَتَّى يبرأ السَّقيم».

(٣) في (ي): «يشاهدونه كُلَّ يوم وكُلَّ ساعة».

ثُمَّ أمرَ بهم فصرفوا.

قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: ثُمَّ أقبل عليَّ المأمونُ، وَقَالَ لي: يا عبدَ العزيز! ما أعجَبَ هذا، ولَمعرفتي به اليوم أحبُّ إليَّ من مائة ألف دينار.

ثُمَّ قَالَ: فأيَّ شيءٍ أردت بقولك:

حَمَلْتَ عَلَيَّ ذَنْبَهُ وَتَرَكْتَهُ

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أمير المؤمنين، حملت عليَّ ذنبَ بِشْرٍ وقد وقفتَ على أنَّهُ خالفَ كتابَ الله تعالى وسُنَّةَ رسولِهِ ﷺ وبدَّلهما وحرَّفهما عن مواضعهما، وخالفَ أمرَ اللهِ تعالى وأمرَ رسولِهِ ﷺ، وأمرَ خليفته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأمرَ المسلمين، وأنَّهُ قد حَلَّ دَمُه وعقوبته، وحَلَّ غضبُ أميرِ المؤمنين وسَخَطُهُ عليَّ؛ فحملتَ عليَّ ذنبَه وأنا بريءٌ منه، فسَخِطْتَ عليَّ وتَرَكتَه، كذا العُرُّ؛ يُكوى عنه الصَّحيح حَتَّى يبريه، وكذلك أُكْوَى أنا، وأنا صحيحٌ حَتَّى يبرأ بِشْرٌ ويشتفي مِنِّي[1].

فَقَالَ: فأيش معنى قولك:

كَذَاكَ يُدَاوَى الْجِسْمُ مِنِّي مُصَحَّحًا وَذَاكَ لَـهُ جِسْـمٌ بِـهِ الـدَّاءُ نَـاقِعُ

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يا أميرَ المؤمنين، إِنَّمَا سخطتَ عليَّ وأنا بريءُ السَّاحة ليرضى بِشْرٌ وهو سقيم، وقد ظهر كُفْرُه وضلاله وقُبْح مذهبه ودحض حجَّته بين يديك.

فَقَالَ المأمونُ: قد قبلتُ عُذْرَكَ وصفحتُ عَمَّا كان مِنْك كُلّه؛ فارجع إلى القعود في المسجد الجامع وفي مسجدك، وتكلَّم معهم فيما شئتَ مِنَ الكلام، فقد أبحتُك ذلك وأطلقتُه لك، وقد زدتُ في

---

(١) في (أ): «ويُشفى مِنِّي».

رزقك مثله؛ فاحضُر الدَّار واقعُد مع المتكلِّمين إذا حضروا، وناظِرْ وتكلَّم بما تريد، فليس لك عندي إلَّا ما تُحبُّ.

فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ: فأكثرتُ مِنَ الدُّعاء له، وانصرفتُ على أجمل حالٍ، وكنتُ أقعدُ للنَّاس ويجتمع إليَّ خلقٌ كثيرٌ، وأحضُر مجالسَ أميرِ المؤمنين كُلَّها، ولا أخلو منها، وأناظر وأردُّ عليهم في كُلِّ شيءٍ يتكلَّمون فيه.

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ -رحمه الله تعالى-: وإنَّمَا كتبتُ ما جرى كما جرى، والَّذِي تركتُ مِمَّا لم أحتجَّ به ولم أذكره أكثر مِمَّا احتججتُ به، وإنَّمَا كُنْتُ أدرس درسًا مِمَّا يُجريه الله تعالى على لساني، فمَنْ قرأ كتابي هذا أو قُرِئ عليه فلا ينسِبني إلى قِلَّة الفهم ويقول: هذا مبلغُ عِلمه؛ فإنَّهُ كان وقتًا يلحَقُ في مثله الحَيْرة، فمَنْ أحبَّ أن يعلم أنَّهُ ما بقي عليَّ شيءٌ إلَّا قد أتيتُ عليه[1]، فليقرأ رسالتي في (فضل بني هاشم) الكبيرة، ويقرأ كتاب (السُّنن والأحكام)، وكتاب (الاعتذار)؛ فإنَّهُ يقِفُ على دقَّة فهمي وحُسن انتزاعي وفضل علمي.

جَعَلَ اللهُ تعالى جميع ذلك خالصًا لوجهه، وفي سبيله ومرضاته، إنَّهُ سميع الدُّعَاء فعَّالٌ لما يشاء، لا إله إلَّا هو العزيز الحكيم[2]، والحمد لله رَبِّ العالمين.

---

(١) في (أ): «إلاَّ قد أجبتُ عليه».

(٢) في (ق): «تمَّ الكتاب بحمد الله ومنِّه وعونه وصلواته على خير خلقه محمَّد وآله وصحبه، في آخر يوم الجمعة مستهلِّ ربيع الآخر سنة أربعين وثمان مائة. على يد أضعف خلقه المعترف بذنبه: محمَّد بن أنس غلام الفقراء، جعلنا الله تعالى من الَّذِين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه. آمين».

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ خاتم النَّبيِّين وعلى آله وصحبه وسلَّم(١)، آمين.

وحسبنا الله ونعم الوكيل(٢).

❁ ❁ ❁

(١) في (أ): «تَمَّ الكتابُ بعون الملك الجليل على يد العبد الضَّعيف عبيد الله بن المرحوم! خليل كرك، لستٍّ وعشرين مضت من شهر ربيع الآخر؛ أحد شهور سنة ثلاثٍ وسبعين ومائة وألف في إسلامبول.
والحمد لله رَبِّ العالمين.
بلغ مقابلته على النُّسخة الَّتِي نقل منها بحمد الله تعالى».

(٢) في (ي): «بتاريخ الثَّالث والعشرين من رمضان المعظَّم، سنة تسع وخمس مائة، والحمد لله وحده»، في هامش (ي): «بلغ مقابلته حسب الطَّاقة على نسخة المؤلِّف».
قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَثَرِيّ -عَامَلَهُ اللهُ بِلُطْفِهِ الخَفِيّ-:
وكان الفراغ منه في غرة شهر رجب لسنة ١٤٣٢هـ في مدينة النَّبِيِّ ﷺ. وفي الرَّأس ثِقل، وفي البدن عِلل، وفي القلب غُمَّة، وفي الفؤاد لذعة، سائلًا ربي تفريج الكرب، والرِّضى والقبول، إِنَّهُ خير مسؤول.
ثم راجعته، وأعدتُ النظر فيه؛ سلخ ذي الحجة سنة (١٤٤١هـ).
وصلَّى الله على عبده ونبيِّه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
مقدِّمة المُؤَلِّف	٧٥
وصول عبد العزيز الكنانيِّ إلى بغداد	٧٦
إظهار عبد العزيز الكنانيِّ قوله في المسجد الجامع	٧٨
ما حدث لعبد العزيز الكنانيِّ وابنه بعد إعلانه عقيدته	٧٩
طلب عبد العزيز المناظرة أمام الخليفة المأمون	٨١
موافقة الخليفة المأمون على طلب عبد العزيز	٨٢
إحضار عبد العزيز إلى دار الخلافة	٨٣
عرض عمرو بن مسعدة على عبد العزيز التَّراجع عَنِ المناظرة	٨٣
تثبيت الحاجب لعبد العزيز	٨٦
دخول عبد العزيز على الخليفة المأمون	٨٨
إيناس المأمون لعبد العزيز	٩٠
أمر المأمون بالمناظرة	٩١
طلب عبد العزيز مِنَ المأمون استماع شيء من كلامه قبل المناظرة واعتذار المأمون	٩٢
رَدُّ عبد العزيز على من استشنع خلقته	٩٩
تأصيل أصلٍ بين عبد العزيز وبشر يرجع إليه عند الاختلاف	١٠٠
طلب عبد العزيز الرُّجوع إلى الكتاب والسُّنَّة عند الاختلاف واستفسار بشر عن ذلك	١٠١
من ألحد في كتاب الله جاحدًا أو زائدًا لم يناظر بالتَّأويل ولا بالتَّفسير ولا بالحديث	١٠٢

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

❁ ❁ ❁